جين ويبستر

عدوّي اللّدود

ترجمة: بثينة الإبراهيم





عدوي اللدود

الكاتب: جين وبستر

عنوان الكتاب: عدوي اللدود

ترجمة: بثينة الإبراهيم

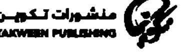
تصميم الغلاف: الشاعر محمد النبهان

تنضيد داخلي: سعيد البقاعي

ر.د.م.ك: 5-04-723-9921-978

الطبعة الأولى - سبتمبر / أيلول - 2018

2000 نسخة



الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة

تلفون: 40 04 81 98 965 +

بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي

تلفون: 60 58 00 11 78 964 +

publishing@takweenkw.com takweenkw

www.takweenkw.com @takweenKw

لبنان - بيروت / الحمرا

تلفون: 683 345 1 961+ / 980 541 1 961+

بغداد - العراق/ شارع المتنبي، عمارة الكاهجي

تلفون: 07810001005 / 07830070045

daralrafidain@yahoo.com Dar alrafidain

info@daralrafidain.com Dar.alrafidain

www.daralrafidain.com @Dar alrafidain

جين وبستر

عدوي اللدود

رواية

ترجمة

بثينة الإبراهيم





اللهم أنزل على قبرها الضياء والنور
والفسحة والسرور
اللهم اقبلها في عبادك الصالحين
واجعلها من ورثة جنة النعيم
ذكرى لـ نورسين

ستون غيت، وورسستر

ماساتشوستس

السابع والعشرون من ديسمبر

عزيزتي جودي

وصلت رسالتك، وقد قرأتها مرتين مذهولة. هل أفهم أن جيرفِس قد خولك ترميم ميتم جون غرير ليكون ملجأ نموذجيًا هديةً لك لعيد الميلاد، وأنك قد اخترتِني لفعل ذلك؟ أنا، سالي مكبرايد، أصبح مديرة لملجأ أيتام! هل جننتما يا صديقيّ المسكينين، أم أنكما أدمنتما تعاطي الأفيون وهذا هو هذيان عقليكما المحمومين؟ أنا مهيئة للاعتناء بمئة طفل بقدر ما أنا مهيئة لأكون قيّمة على حديقة حيوان.

وتحاولين إغرائي بوجود طبيب اسكتلندي؟ أقول لك يا عزيزتي جودي؛ ولك يا عزيزي جيرفِس أيضًا، أقول إنني أفهمكما! أعرف بالضبط أي اجتماع عائلي عقدتماه قرب مدفأة آل پندلتن.

«أليس من المؤسف أن سالي لم تفعل شيئًا منذ أن تخرجت في الكلية؟ عليها القيام بشيء نافع عوضًا عن تبديد وقتها في الحياة الاجتماعية المحزنة في وورسستر. كما أنها [والحديث لجيرفِس طبعًا] تزداد إعجابًا بذلك الشاب الوسيم والغريب الأطوار جدًا

هالوك؛ وأنا لا أحب السياسيين. علينا أن نصرفها عنه بوظيفة راقية وفاتنة حتى يزول الخطر. ها! وجدتها! سنجعلها مديرة لميتم جون غرير».

أوه، أستطيع سماعه بوضوح كأنني كنت معكما! لقد حظينا أنا وجيرفِس، في زيارتي الأخيرة إلى منزلك الجميل جدًا، بنقاش رزين حول (١) الزواج، (٢) والمبادئ الوضيعة للسياسيين، (٣) والحياة العابثة التافهة التي تعيشها نساء المجتمع.

أخبري زوجك الأخلاقي من فضلك أنني أؤمن بكلماته عميقًا، وأنني منذ عودتي إلى وورسستر أخذت أقضي بعد الظهيرة ليوم واحد كل أسبوع في قراءة الشعر مع نزيلات مأوى النساء المدمنات الخمر، وأن حياتي ليست بلا هدف كما تبدو.

ودعيني أخبرك أيضًا أن السياسي ليس خطرًا محدقًا، وأنه، على أية حال، سياسي لطيف للغاية حتى وإن لم تكن آراؤه حول الرسوم الجمركية والضريبة الواحدة[1] ونقابات العمال تنسجم مع آراء جيرفِس.

إن رغبتك في تكريس حياتي للنفع العام عذبة للغاية، لكن

---

(١) فيه تفرض الضريبة على السلعة عند مرحلةٍ معينةٍ من المراحل التي تمر بها السلعة في إنتاجها أو توزيعها حتى وصولها إلى المستهلك النهائي (كفرضها مثلاً في مرحلة شراء المواد الأولية، أو فرضها في مرحلة انتقال السلعة من المُنتِج إلى تاجر الجملة). ويتوقف عادةً تحديد المرحلة التي تفرض فيها الضريبة على الظروف الاقتصادية والاجتماعية في الدولة، وعلى كفاءة الجهاز الضريبي فيها. (الموسوعة القانونية المتخصصة، جميل الصابوني).

عليك أن تنظري إليها من وجهة نظر الملجأ. ألا تشعرين بالشفقة على أولئك الأطفال الصغار اليتامى المساكين العاجزين؟

أنا أشعر بالشفقة، إن لم تكوني كذلك، وأرفض بكل احترام الوظيفة التي عرضتها.

غير أنني سأسعد أيضًا بقبول دعوتك لزيارتك في نيويورك، رغم أن علي التنويه أنني لست متحمسة جدًا لقائمة المباهج التي حضرتها.

أرجوك أن تضيفي قليلًا من المسرحيات وحفلات الأوبرا ودعوات العشاء أو ما شابه ذلك، بدلًا من زيارة ملجأ نيويورك للأيتام ودار اللقطاء. لدي ثوبان مسائيان جديدان ومعطف باللونين الذهبي والأزرق له ياقة من الفراء الأبيض.

سأذهب لحزمها، لذا أرسلي برقية بسرعة إن لم تكوني راغبة برؤيتي بصفتي صديقتك، بل بصفتي خلفًا للسيدة ليبيت.

المخلصة لك على الدوام،

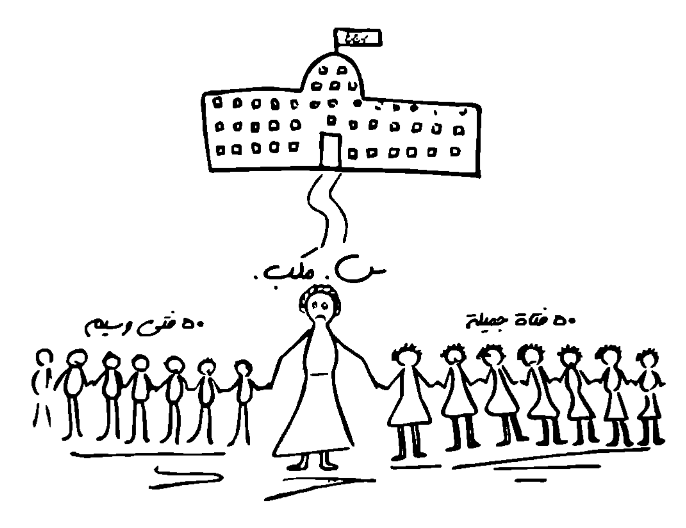
اللاهية تمامًا،

وتنوي أن تظل كذلك،

سالي مكبرايد.

ملاحظة: إن دعوتك مناسبة للغاية، إذ سيكون في نيويورك الأسبوع المقبل سياسي ساحر يدعى غوردن هالوك، وأنا واثقة أنه سيعجبك حين تعرفينه أكثر.

ملاحظة ٢: سالي تتنزه بعد الظهيرة كما تود جودي أن تراها.



أسألكما ثانية، هل جننتما؟

ميتم جون غرير
الخامس عشر من فبراير

عزيزتي جودي

وصلنا، أنا وسنغاپور وجين، في عاصفة ثلجية الساعة الحادية عشرة ليلة البارحة. ليس من المألوف كما يبدو أن تجلب مشرفات دور الأيتام معهن وصيفاتهن وكلابهن من نوع التشاوتشاو. فقد انتاب غضبٌ عارمٌ الحارسَ ومدبرة المنزل، اللذين ظلا مستيقظين لاستقبالنا، إذ لم يسبق لهما أن رأيا شبيهًا بسنغ، وظنا أنني جلبت معي ذئبًا فأكدت لهما كلبيته. وبعد أن فحص الحارس لسانه الأسود، أطلق دعابة سائلًا إن كنت أطعمه فطيرة عنبية الأحراش.

كان العثور على مأوى لعائلتي أمرًا عسيرًا، فقد جُر سنغ المسكين وهو يئن إلى عرزال غريب للحطب وأعطي قطعة من القنب. ولم يكن حظ جين أفضل بكثير، فلم نجد لها سريرًا إضافيًا في المبنى، سوى مهد طوله خمسة أقدام عثرنا عليه في العيادة. ويبلغ طولها، كما تعرفين، ست أقدام تقريبًا، فحشرناها فيه، وقضت ليلتها مطوية مثل مدية جيب. كانت تعرج اليوم، وهي تشبه حرف s هرم، مبدية استنكارها لهذه المغامرة الطائشة التي اقترفتها مخدومتها المتهورة، وتائقة إلى اللحظة التي نعود فيها إلى صوابنا ونعود إلى مدفأة أبويّ في وورسستر.

أعلم أنها ستفسد كل فرصي في أن أكون محبوبة لدى بقية العاملين. لقد كان إحضارها هنا أسخف فكرة اقتنعت بها، لكنك تعرفين عائلتي. لقد حاربت كل اعتراضاتهم واحدة تلو الأخرى، لكنهم قالوا كلمتهم الأخيرة فيما يتعلق بجين. فإن اصطحبتها لتتأكد أنني أتناول طعامًا مغذيًا ولا أسهر حتى وقت متأخر من الليل، فيمكنني الذهاب مؤقتًا. أما إن رفضت، يا إلهي، لست واثقة من أنني كنت سأجتاز عتبة ستون غيت ثانية! وها قد جئنا، وأخشى أن كلتينا لا تلقيان الترحيب هنا.

استيقظت على جرس الساعة السادسة هذا الصباح، واستلقيت لبعض الوقت أستمع إلى جلبة خمس وعشرين فتاة صغيرة قرب المغسلة فوق رأسي. اتضح لي أنهم لا يستحمون هنا، بل يكتفون بغسل الوجوه، لكنهم يلعبون بالماء ويرشّونه بقدر ما يفعل خمسة وعشرون جروًا في حوض. نهضت وارتديت ثيابي وتجولت قليلًا. لقد كنت حكيمة في ألا تجعليني ألقي نظرة على المكان قبل أن أقبل الوظيفة.

بدا وقت تناول صغاري إفطارهم وقتًا سعيدًا يمكنني فيه أن أقدم نفسي إليهم، فمضيت إلى غرفة الطعام. فاستولى علي الرعب تلو الرعب؛ تلك الجدران الباهتة والطاولات المغطاة بمفارش مبقعة بالزيت والأكواب وصحون الصفيح والمقاعد الخشبية. كما كتب على أحد الجدران -على سبيل الزينة- هذا العبارة التنويرية «سيطعمنا الرب»! لا بد أن الوصي الذي أضاف هذه اللمسة الأخيرة له مزاج مروّع.

صدقًا يا جودي، لم أعرف قبلًا بوجود بقعة في العالم قبيحة إلى هذا الحد، وحين رأيت هذه الصفوف والصفوف من الأطفال الشاحبين الخاملين ذوي البزات الزرق، صدمني المنظر الكئيب بأكمله صدمة أوشكت على الإغماء بسببها. يبدو هدفًا مستحيلًا أن يتمكن شخص واحد من إعادة الضياء إلى مئة وجه صغير؛ في حين أن ما يحتاجونه هو أم لكل واحد منهم.

لقد انغمست في هذا الأمر بهدوء، ويعود ذلك في جزء منه لأنك كنت شديدة الإقناع، ولكن سبب ذلك غالبًا، وسأكون صادقة معك، لأن ذلك السفيه غوردون هالوك قد ضحك بصخب من فكرة قدرتي على إدارة ملجأ. لقد نومتماني مغناطيسيًا. وعندها طبعًا، بعد أن بدأت القراءة حول الموضوع وزيارة كل تلك المؤسسات السبع عشرة، تحمست للأيتام وأردت أن أطبق أفكاري. لكني الآن مذعورة لوجودي هنا، يا له من مشروع هائل. إن مستقبل مئة إنسان وصحتهم وسعادتهم في يدي، ناهيك عن أبنائهم الثلاثمئة أو الأربعمئة، وحفدتهم الألف. إن الأمر يكبر هندسيًا، وهذا مريع. فمن أنا لأقبل هذه الوظيفة؟ ابحثي، أوه ابحثي عن مشرفة أخرى!

تقول جين إن العشاء جاهز. وبعد أن أكلت وجبتين من وجبات ملجئك، علي القول إن فكرة تناول أخرى لا تغريني.

لاحقًا

تناول العاملون السبانخ بلحم الضأن المفروم، وعصيدة التبيوكة للتحلية، وأكره التفكير بما تناوله الأطفال.

بدأت إخبارك عن خطابي الأول على الإفطار هذا الصباح. إذ تضمن كل التغييرات الرائعة التي ستطبق في ميتم جون غرير في ظل سخاء السيد جيرفِس پندلتن، رئيس مجلس الأوصياء، والسيدة پندلتن، «العمة جودي» العزيزة على كل ولد وفتاة صغار هنا.

أرجو ألا تعارضي تسميتي آل پندلتن صراحة، فقد فعلت ذلك لأسباب سياسية. لقد رأيت، مستغلة وجود كل طاقم العمل، أنها فرصة مواتية للتأكيد على حقيقة أن كل البدع المزعجة تأتي بأمر مباشر من الرئيس، لا من عقلي المجنون.

توقف الأطفال عن تناول الطعام وحدقوا بي. لا شك أن لون شعري الصارخ والانحراف الضئيل لأنفي سمتان جديدتان على المشرفة. كما قال زملائي أيضًا صراحة إنني صغيرة جدًا وغرة جدًا لأستلم زمام الأمور. لم ألتق طبيب جيرفِس الاسكتلندي العجيب بعد، لكني أؤكد لك أن عليه أن يكون عجيبًا جدًا لينسجم مع بقية الأشخاص هنا، وبخاصة معلمة الروضة. اصطدمنا أنا والآنسة سنيث لأني حدثتها عن موضوع الهواء النقي، لكني أنوي التخلص من الرائحة الكريهة لهذه الدار الكئيبة، حتى لو تحول كل طفل إلى تمثال من الجليد.

كانت بعد ظهيرة اليوم مشمسة براقة باردة، وأمرت بإغلاق زنزانة غرفة اللعب وإخراج الأطفال إلى الهواء الطلق. «إنها تطردنا إلى الخارج»، سمعت قنفذًا صغيرًا يهمهم وهو يجاهد لارتداء معطف يناسب طفلاً يصغره بعامين على الأقل.

لقد اكتفوا بالوقوف في الفناء، وكلهم وقد التفوا بثيابهم ينتظرون، منتظرين بصبر أن يُسمح لهم بالعودة إلى الداخل. لم يركضوا ولم يصرخوا ولم يتراشقوا بكرات الثلج. تخيلي ذلك! هؤلاء الأطفال لا يعرفون كيف يلعبون.

لاحقًا أيضًا

لقد بدأت بالمهمة الممتعة في إنفاق نقودك، فاشتريت بعد الظهر إحدى عشرة قربة ماء ساخن (كل ما عثر عليه في متجر القرية) بالإضافة إلى بعض البطانيات الصوفية واللحف المحشوة. وفتحت النوافذ كلها في مهجع الأطفال الصغار. سيستمتع المواليد الصغار بالإحساس الجديد تمامًا بالقدرة على التنفس ليلًا.

هناك مليون أمر أود الحديث عنه، لكن الساعة العاشرة والنصف، وجين تقول إن علي الخلود للنوم.

المخلصة طوع إشارتك،

سالي مكبرايد.

ملاحظة: تسللت قبل قليل إلى الممر لأتأكد أن كل شيء على ما يرام، وماذا وجدت برأيك؟ وجدت الآنسة سنيث تغلق النوافذ بهدوء في مهجع الأطفال! سأسرّح هذه المرأة، حالما أعثر لها على مكان مناسب في مأوى السيدات المسنات.

أخذت جين القلم من يدي.

ليلة سعيدة.

ميتم جون غرير
العشرون من فبراير

عزيزتي جودي

زارنا الطبيب روبِن مَكراي بعد ظهر اليوم ليتعرف بالمشرفة الجديدة. ادعيه على العشاء من فضلك في المرة القادمة التي يزور فيها نيويورك، وانظري بنفسك ما فعله زوجك. لقد شوه جيرڤِس الحقيقة للغاية حين جعلني أظن أن إحدى أكبر مزايا قبولي الوظيفة هو التواصل اليومي مع رجل بمثل أدب الطبيب مكراي وذكائه وعلمه وجاذبيته.

إنه طويل ونحيف بعض الشيء، له شعر بلون الرمل (ذهبي مائل للبني) وعينان رماديتان باردتان. لم يضئ خط ثغره ظل ابتسامة خلال الساعة التي قضاها في مؤسستي (وقد كنت نشطة للغاية)، هل يمكن للظل أن يضيء؟ ربما لا يمكنه، لكن على أية حال ما خطب هذا الرجل؟ هل اقترف جريمة يندم عليها، أم أن تحفظه عائد إلى طبعه الاسكتلندي؟ إن رفقته أشبه برفقة شاهد قبر من الغرانيت!

من الواضح أن هذا الرجل أحبني بقدر ما أحببته! فهو يراني طائشة ولست مناسبة أبدًا لأكون موضع الثقة. أستطيع التكهن إن جيرڤِس تلقى رسالة منه يطالبه بتسريحي.

أما فيما يتعلق بالحوار فلم يكن حديثًا وديًا البتة، إذ أخذ يتحدث فلسفيًا ويتوسع عن شرور الرعاية المؤسسية للأطفال المعوزين، في حين أنني استهجنت تسريحات الشعر القبيحة التي انتشرت بين فتياتنا.

ولأثبت وجهة نظري استدعيت سادي كيت، الفتاة التي جعلتها مبعوثتي الخاصة لبعض المهام، فقد كان شعرها مشدودًا للغاية، كأنه شد بمفتاح ربط، وضفر من الخلف بضفيرتين ملتويتين صغيرتين. لا بد أن تطرى آذان الأيتام. لكن الطبيب مكراي لا يكترث سواء أجُدعت آذانهم أم لا، فما يهتم به هو بطونهم. كما تطرقنا إلى موضوع التنانير الداخلية الحمراء، ولست أدري كيف يمكن لأي فتاة أن تشعر باحترام الذات إن ارتدت تنورة داخلية من القطن أطول ببوصة من ثوبها القطني الأزرق ذي المربعات وتظهر منه، لكنه يرى أن التنانير الداخلية الحمراء مبهجة ودافئة وصحية. إني أتنبأ بنزاع على السلطة تواجهه المشرفة الجديدة.

ثمة أمر وحيد علي أن أكون ممتنة له؛ وهو أن الطبيب جديد مثلي، ولا يمكنه أن يلقنني تقاليد الملجأ. ولا أظنني كنت سأستطيع العمل مع الطبيب السابق الذي، بالنظر إلى نماذج من حرفته التي خلّفها، يعرف عن الأطفال بقدر ما يعرف جراح بيطري.

وفيما يتعلق بآداب السلوك في الملجأ، فقد تكفل كل الطاقم بتثقيفي، حتى الطاهية أخبرتني بحزم هذا الصباح أن ميتم جون غرير يقدم عصيدة الذرة في ليالي الأربعاء.

هل تبحثين بجد عن مشرفة أخرى؟ سأبقى هنا حتى تصل، لكن أرجو أن تعثري عليها سريعًا.

المخلصة لك،

وقد اتخذت قراري،

سالي مكبرايد.

مكتب المشرفة
ميتم جون غرير
السابع والعشرون من فبراير

عزيزي غوردن

أما زلت تشعر بالاستياء لأنني لم آخذ بنصيحتك؟ ألا تعلم أنه لا يمكن إجبار امرأة حمراء الشعر وتنحدر من أصول إيرلندية وقليل من الاسكتلندية، بل يجب إرشادها بهدوء؟ لو أنك لم تكن شديد الإلحاح على نحو بغيض لكنت أصغيت إليك بهدوء ونجوت. وما دام الأمر حدث، فإني أعترف صراحة أنني أمضيت الأيام الخمسة الماضية في الندم على شجارنا، فقد كنت مصيبًا، وكنت مخطئة، وها أنت ترى أني أقر بذلك بوضوح. إن كتبت لي النجاة من هذا المأزق الراهن، فسأسترشد بآرائك مستقبلًا (على الدوام تقريبًا)، هل يمكن لأي امرأة أن تقدم تنازلًا كاسحًا أكبر من هذا؟

إن السحر الرومانسي الذي أضفته جودي على ملجأ الأيتام يكمن في مخيلتها الشعرية فحسب. لا يمكن للكلمات أن تصف مدى كآبته ووحشته ونتانته؛ بممراته الطويلة وجدرانه العارية ونزلائه ذوي البزات الزرقاء والوجوه الصغيرة الشاحبة، الذين لا يشبهون أطفال البشر أدنى شبه. وأوه، يا لرائحة الدار البغيضة! إنها

مزيج من رائحة الأرضيات المدعوكة الرطبة، والغرف غير المهوّاة، وبخار الطعام لمئة شخص يعلو فوق الموقد.

•

لا يحتاج الميتم إلى ترميم فحسب، بل يحتاج ذلك كل طفل أيضًا، وإنها لمهمة هرقلية ينوء بها امرؤ أناني ومترف وخامل مثل سالي مكبرايد. سأقدم استقالتي في اللحظة التي تعثر فيها جودي على خليفة مناسبة، لكني أخشى ألا يحدث ذلك قريبًا. فقد سافرت إلى الجنوب تاركة إياي حبيسة هنا، وبعد أن وعدتها فليس بوسعي التخلي عن الملجأ طبعًا. لكني أؤكد لك في هذه الأثناء أنني أشعر بالحنين إلى البيت.

اكتب لي رسالة مبهجة، وأرسل لي زهرة تنير غرفة جلوسي الخاصة، فقد ورثتها -مفروشة- من السيدة ليبيت. الجدار مغطى بسجف مزخرف باللونين الأحمر والبني، والأثاث باللون الأزرق الفاقع، باستثناء طاولة الوسط المذهبة. ويحتل الأخضر السجادة، وإن أرسلت بعض براعم الورود الزهرية، فستكتمل نماذج الألوان.

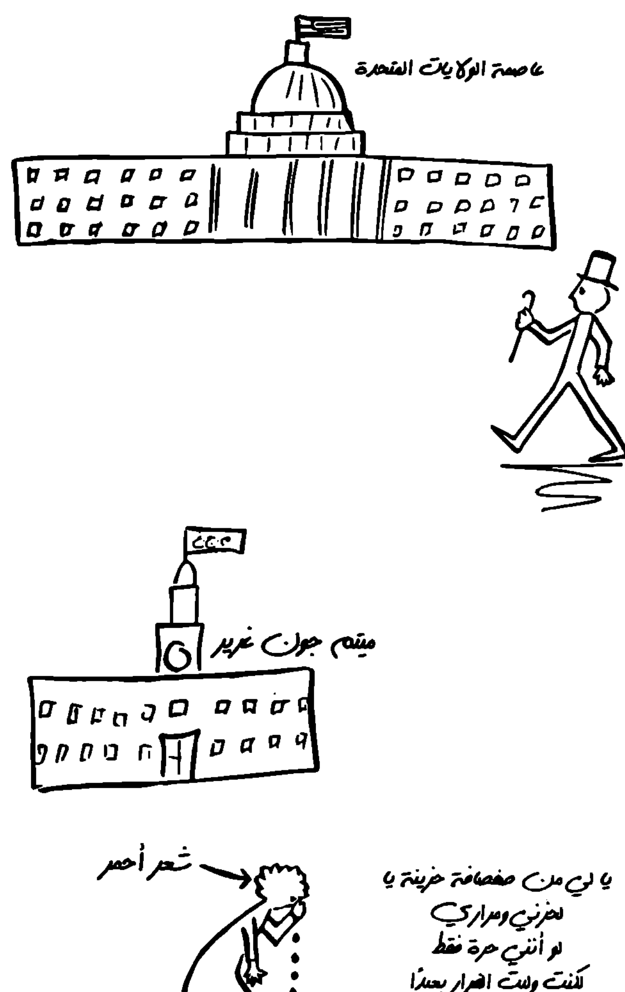
لقد كنت بغيضة حقًا تلك الأمسية الأخيرة، لكن قد أُخِذ بثأرك.

المخلصة النادمة،

سالي مكبرايد.

ملاحظة: ليس عليك أن تكون نزقًا من وجود الطبيب الاسكتلندي، فالرجل حرون بكل ما تعنيه كلمة «اسكتلندي». لقد

كرهته من النظرة الأولى، كما أنه كرهني. أوه، كم سنحظى بوقت جميل في العمل سويًا!



ميتم جون غرير
الثاني والعشرون من فبراير[1]

عزيزي غوردن

وصلت رسالتك البليغة والثمينة. أعلم أنك تملك مالًا وفيرًا، لكن لا سبب يدعوك إلى تبديده بطيش هكذا. حين تشعر برغبة عارمة بالكلام؛ وأن برقية بمئة كلمة ستريحك من الانفجار، فأرسلها في برقيات الليل على الأقل. يمكن أن ينتفع أيتامي بالمال إن لم تكن بحاجته.

كما أرجو منك يا سيدي العزيز أن تتحلى بنزر يسير من المنطق. لا يمكنني حتمًا ترك الملجأ بالطريقة التي ألمحت إليها، فلن يكون ذلك صائبًا بحق جودي وجيرفِس. لقد كانا صديقين لي لسنوات تفوق سنوات معرفتي بك، واعذر لي صراحتي، وليس لدي نية في التخلي عنهما. لقد جئت هنا بروح -حسن يمكنك أن تصفها بروح المغامرة- ولا بد أن أرى المشروع. لم أكن لأعجبك لو كنت قصيرة النفس. كما أن هذا لا يعني أيضًا أنني أحكم على نفسي مدى الحياة، إذ في نيتي تقديم الاستقالة حالما تسنح الفرصة. لكن علي

(١) هكذا ورد التاريخ في الأصل، الرسالة السابقة كانت بتاريخ ٢٧ وهذه والتي تليها بتاريخ ٢٢ و٢٤.

أن أشعر بشيء من الامتنان نحو آل پندلتن لثقتهما بي وتعييني في منصب المسؤول. ورغم أنك لا تتوقع ذلك يا سيدي العزيز، ألا أنني أتمتع بمَلَكة إدارية واضحة، ومنطق أكثر مما يظهر على السطح. لو اخترت أن أضع كامل جهدي في هذا المشروع، فبوسعي أن أكون أروع مشرفة قد يحظى بها يتيم على الإطلاق.

أظنك ترى هذا مضحكًا؟ هذه حقيقة، وجودي وجيرڤِس يعرفان ذلك، ولهذا طلبا مني المجيء. وإن كانا قد أظهرا ثقة كبيرة بي كما ترى، فلا يمكنني أن أخذلهما بطريقة تعوزها الكياسة كما اقترحت. سأمضي لتحقيق ما يمكن لأي شخص واحد أن يحقق كل يوم ما دمت هنا، وسأسلم المكان إلى خليفتي وقد جعلت الأمور تتحرك سريعًا في الاتجاه الصحيح.

لكن لا تتخلَّ عني في الوقت الراهن من فضلك بظنك أنني شديدة الانشغال حتى لا أشعر بالحنين؛ لأنني لست كذلك. إذ أستيقظ كل صباح وأحدّق بورق جدران السيدة ليپيت بشيء من الدوار، شاعرة أنه ليس سوى حلم سيء، وأنني لست هنا حقًا. ما الذي كنت أفكر به بحق السماء لأدير ظهري لمنزلي السعيد والأوقات الحلوة التي هي من نصيبي بموجب القانون؟ كثيرًا ما أوافقك الرأي حول سلامة عقلي.

لكن إن سمحت لي أن أسألك لمَ تحدث كل هذه الجلبة؟ لن تتمكن من لقائي على أية حال، فوورسستر بعيدة عن واشنطن بقدر ميتم جون غرير. وسأضيف، لتشعر بمزيد من الراحة، باعتبار أنه

ليس ثمة رجل في المنطقة المجاورة للملجأ من يعجب بالشعر الأحمر، لكنهم كثر في وورسستر. لذا، اهدأ من فضلك، يا أقسى الرجال. لم آت هناك لأغيظك أبدًا، فقد أردت مغامرة في حياتي، وأوه يا إلهي! يا إلهي! أنا أعيشها!

اكتب لي قريبًا من فضلك، وأسعدني.

المخلصة لك التي ترتدي مسوح الندم،

سالي.

ميتم جون غرير
الرابع والعشرون من فبراير

عزيزتي جودي

أخبرني جيرفِس أنني لست سريعة في إطلاق الأحكام، فلي طبع عذب مرح غير متشكك، كما أنني أحب الجميع، تقريبًا. لكن لا يمكن لأحد أن يحب الطبيب الاسكتلندي، إنه لا يبتسم مطلقًا.

لقد زارني مرة أخرى بعد ظهيرة اليوم، فدعوته أن يجلس على واحد من كراسي السيدة ليپيت ذات اللون الأزرق الفاقع، فجلس قبالتي لنحظى بالانسجام. كان يرتدي ثيابًا بسيطة بلون الخردل، مع مسحة من الأخضر ولمعة من الأصفر في النسيج، «مزيج خلنجي» قصد أن يضفي الحياة على السبخة الاسكتلندية. وقد أكملت الصورة جوارب بنفسجية وربطة عنق حمراء، ومشبك أرجواني. من الواضح أن تصورك للطبيب لن يقدم أي عون كبير في رفع الحس الجمالي لهذه المؤسسة.

لقد حدد باختصار مفيد، أثناء الدقائق الخمس عشرة لزيارته، كل التغييرات التي يتمنى رؤيتها تنجز في هذه المؤسسة. حقًا! وما مهام المشرفة، إن سمحت لي بالسؤال؟ هل هي رئيس صوري تتلقى الأوامر من الطبيب الزائر؟

لقد قامت الحرب بين مكبرايد ومكراي!

أنا،

المخلصة الساخطة،

سالي.

ميتم جون غرير
الاثنين

عزيزي د. مكراي

أرسل إليك هذه الرسالة مع سادي كيت، نظرًا لاستحالة التحدث إليك عبر الهاتف كما يبدو. هل المرأة التي تسمي نفسها السيدة مكُّرَكّ وتغلق السماعة في منتصف جملة هي مدبرة منزلك؟ لست أدري كيف يتحلى مرضاك بالصبر إن كانت هي التي تجيب الهاتف معظم الوقت.

اضطررت، نظرًا لعدم قدومك هذا الصباح -حسب الاتفاق- وقدوم الدهانين، إلى اختيار لون مشرق لطلاء الجدران في غرفة المختبر الجديدة، وأنا واثقة من عدم وجود أي شيء غير صحي في اختيار لون الذرة.

وأيضًا، إن استطعت أن تخصص قسطًا من وقتك بعد ظهر اليوم، فعرج من فضلك على عيادة الطبيب برايس في ووتر ستريت، وألق نظرة على كرسي الأسنان وملحقاته التي سنحصل عليها بنصف السعر. وإن استطعنا تأمين الأدوات اللازمة لمهنته هنا -في زاوية من عيادتك- فسيكون بوسع الطبيب برايس أن يفرغ من مرضاه الثلاثة الجدد أسرع مما لو اضطررنا لنقلهم إلى العيادة

في ووتر ستريت. ألا ترى أن هذه فكرة حسنة؟ لقد خطرت لي منتصف الليل، لكن لم يسبق لي أن ابتعت كرسي أسنان من قبل، وسأكون ممتنة لمشورتك المهنية.

المخلصة بحق،

س. مكبرايد.

ميتم جون غرير
الأول من مارس

عزيزتي جودي

كفي عن إرسال البرقيات إلي!

أعلم طبعًا أنك تودين معرفة كل ما يحدث، وسأرسل تقريرًا يوميًا، لكني لا أجد دقيقة حقًا، إذ أكون منهكة للغاية حين يحل الليل، للحد الذي يجعلني أود الذهاب إلى الفراش بثيابي، لولا قوانين جين الصارمة.

حين ننخرط في نظام يومي في وقت لاحق، وحين أثق أن كل مساعديّ يؤدون مهامهم المحددة، فسأكون مراسلتك الأكثر انتظامًا.

لقد مرت خمسة أيام منذ آخر رسالة مني، أليس كذلك؟ حدثت أمور في هذه الأيام الخمسة. وضعنا أنا ومكراي خطة للقيام بحملة، وتحريك الأعماق الراكدة لهذا المكان. يقل حبي له يومًا بعد يوم، لكننا أعلنا ما يشبه هدنة للعمل. والرجل مجدّ حقًا. كنت أظنني أملك طاقة كبيرة، ولكنني أسعى لاهثة في أعقابه حين نقوم بإصلاح ما. إنه حرون وعنيد ولا يستسلم بقدر أي اسكتلندي، لكنه يفهم الأطفال؛ أعني أنه يفهمهم من النواحي الجسدية. غير

أنه لا يحمل أدنى شعور تجاههم أكثر من كونهم عددًا من الضفادع التي قد يشرّحها.

هل تذكرين إطناب جيرفِس ذات مساء في حديثه عن مبادئ طبيبنا الإنسانية الجميلة للغاية؟ هذا مضحك! إن الرجل يعتبر ميتم جون غرير مختبره الخاص، حيث يمكنه إجراء تجاربه العلمية دون اعتراض آباء الأطفال المحبين. ولن أفاجأ يومًا إن وجدته يضع مستنبتات بكتيريا الحمى القرمزية في عصيدة الأطفال بغية اختبار مصل حديث الابتكار.

إن الشخصين الوحيدين اللذين فوجئت بكفاءتهما حقًا من بين كل موظفي الدار هما معلمة الابتدائية وعامل التدفئة. لا بد لك أن تري كيف يجري الأطفال نحو الآنسة ماثيوز باحثين عن الدلال، ومدى تهذيبهم الجاد مع المعلمات الأخريات. إن الأطفال سريعون جدًا في تقدير الشخصيات، وسأشعر بالحرج الشديد إن كانوا مهذبين معي.

ما إن أتمالك نفسي قليلًا وأعرف ما نحتاجه فعلًا، سأقوم بحملة تسريح واسعة، وأود أن أبدأ بالآنسة سنيث، لكنني عرفت أنها ابنة أخت أحد أوصيائنا الكرام، ولا يمكن صرفها أبدًا. إنها مخلوقة غامضة هامدة العينين جبانة، تتحدث من أنفها وتتنفس من فمها. لا يمكنها قول شيء بحسم تتوقف بعده، بل تتلاحق جملها في همهمة مفككة. وكلما رأيت المرأة انتابتني رغبة لا تُكبَح في أن أمسكها من كتفيها وأهز الركود فيها. والآنسة سنيث هي التي

تتولى الإشراف الكامل على سبعة عشرَ طفلًا تتراوح أعمارهم بين الثانية والخامسة! لكن على الرغم من عدم قدرتي على صرفها، إلا أنني قد خفضت منصبها إلى منصب ثانوي دون أن تدرك ذلك.

عثر لي الطبيب على فتاة جميلة تعيش على بعد بضعة أميال وتأتي كل يوم لإدارة الروضة. لها عينان هادئتان كبيرتان بنيتان كعيون البقر، وأسلوب أمومي (إنها في التاسعة عشرة فحسب)، والأطفال يحبونها. وعينت للإشراف على الحضانة امرأة متوسطة العمر جذلة ومريحة ربت خمسة أطفال ولها يدان ماهرتان. لقد جلبها الطبيب أيضًا، وها أنت ترين أنه مفيد. إنها تقنيًا تحت رئاسة الآنسة سنيث، لكنها اغتصبت السلطة بأسلوب مرضٍ. يمكنني الآن أن أرقد ليلًا دون خشية من أن يقتل أطفالي لانعدام الكفاءة.

إن إصلاحاتنا قد بدأت، كما ترين، وإن كنت أذعن بكل ما أملك من حصافة لثورات الطبيب العلمية الجوهرية، إلا أنها تجعلني باردة أحيانًا. فالسؤال الذي يظل يرن ويرن في ذهني، كيف أستطيع غرس ما يكفي من الحب والدفء والمرح في كل هذه الأرواح الصغيرة الكئيبة؟ ولست واثقة من أن علم الطبيب سيحقق هذا.

إن واحدة من أهم حاجاتنا الدقيقة الملحة في الوقت الراهن، إبقاء سجلاتنا منتظمة، إذ كانت الدفاتر مهملة إهمالًا شنيعًا. كانت السيدة ليبيت تحتفظ بدفتر حسابات أسود جمعت فيه كل الوقائع التي كانت تصادفها، من قبيل أسر الأطفال وسلوكهم وصحتهم، لكنها لم تتجشم العناء لتكتب فيه شيئًا لأسابيع في وقت ما. وإن

أرادت عائلة متبنية أن تعرف أصل الطفل، فلا يمكننا معظم الوقت من إخبارها حتى بكيفية عثورنا على الطفل!

«من أين جئت يا طفلي العزيز؟».

«انفتحت السماء الزرقاء، وجئت هنا».

هذا وصف مناسب تمامًا لوصولهم.

نحن بحاجة إلى عامل ميداني ليسافر إلى الريف ويجمع كل البيانات العائلية التي يستطيع العثور عليها حول صغارنا. وسيكون هذا أمرًا سهلًا نظرًا لأن لمعظمهم أقارب. ما رأيك بجانيت وير لهذا العمل؟ لا بد أنك تذكرين كم كانت حاذقة في الاقتصاد، وتلتهم الجداول والمخططات والمسوح ببساطة.

كما علي إعلامك إن ميتم جون غرير يخضع لتفتيش صحي دقيق، وإنها لحقيقة مؤلمة أن خمسة جرذان فقط كانت مطابقة للمواصفات من الجرذان الثمانية والعشرين الصغيرة المسكينة التي عثر عليها حتى الآن، ولم تكن هذه الخمسة قد قضت هنا وقتًا طويلًا.

هل تذكرين غرفة الاستقبال الخضراء القبيحة في الطابق الأول؟ لقد أزلت من خضرتها قدر ما استطعت، ونسقتها لتكون عيادة الطبيب. وهي تحوي الموازين والأدوية وكرسي الأسنان ليكون اللمسة الأكثر احترافية، بالإضافة إلى واحدة من آلات الشحذ الجميلة، (اشتريناها مستعملة من الطبيب برايس في القرية، الذي وضع فيها طبقًا مطليًا بالمينا البيضاء والنيكل لإمتاع مرضاه. يُنظر إلى آلة الثقب تلك على أنها جهنمية، وإليّ على أنني وحش جهنمي لأني

جلبتها، غير أن كل ضحية صغيرة تخرج من الغرفة بحشوة، يسمح لها بالقدوم إلى غرفتي كل يوم لمدة أسبوع للحصول على قطعتي شوكولاته. صحيح أن أطفالنا ليسوا شجعانًا، غير أنهم محاربون، كما اكتشفنا، فقد عض الصغير توماس كيهوي إبهام الطبيب بعد أن ركل طاولة مزدحمة بالأدوات. يحتاج المرء إلى القوة الجسدية بالإضافة إلى المهارة كي يكون طبيبًا في ميتم جون غرير.

قوطعت كتابتي إليك لآخذ سيدة محسنة في جولة حول الدار، لقد سألت خمسين سؤالًا خارج الموضوع وأخذت ساعة من وقتي، ثم مسحت دمعة وتركت دولارًا لـ «أطفالي المساكين الصغار».

لا يبدو أن أطفالي المساكين الصغار متحمسون للإصلاحات الجديدة حتى الآن، فهم لا يبالون بدفقة الهواء النقي المفاجئة التي تهب عليهم، أو بوفرة الماء. سأقرر الاستحمام مرتين في الأسبوع، وما إن نحصل على مغاطس كافية وبضعة صنابير إضافية، فسأجعل عدد مرات الاستحمام سبعًا.



سبعة اغتسالات في الأسبوع
قسوة غير مسبوقة تمارسها
مشرفة دار الأيتام

لكني بدأت على الأقل بتغيير أكثر استحسانًا. لقد زادت مصروفاتنا اليومية، وقد استهجنت الطاهية هذا التغيير لكونه يجلب المتاعب، واستهجنه بقية الطاقم لأنها زيادة لا أخلاقية في نفقاتنا. لقد كان الاقتصاد (بأحرف عريضة) المبدأ الأساسي لهذه الدار لسنوات عديدة حتى صار دينًا. فأكدت لموظفيّ الجبناء عشرين مرة في اليوم أن المنحة قد تضاعفت، وذلك بفضل سخاء رئيس مجلس الإدارة، وأن لدي مبالغ إضافية طائلة من السيدة پندلتن لحاجات ضرورية مثل المثلجات. لكنهم لم يتمكنوا من التغلب على الشعور بأن إطعام هؤلاء الأطفال لهو إسراف أثيم.

تفحصنا أنا والطبيب لوائح طعام الماضي بعناية، وأصابنا العجب من الذهن الذي تفتق عنها، وإليك أحد العشاءات التي تتكرر كثيرًا:

بطاطا مسلوقة
أرز مسلوق
مهلبية

ويدهشني ألا يكون أطفالنا المئة والأحد عشر كتلًا من النشويات.

يميل المرء إلى تحريف قول روبرت براواننغ[1]، بعد النظر إلى حالة الدار هذه:

---

(١) (١٨١٢-١٨٨٩)، شاعر بريطاني، له العديد من المسرحيات الشعرية. تزوج بالشاعرة إليزابث بارت براوننغ. هذا السطر مأخوذ من قصيدته «انتقام الزمن»، وهو السطر

«قد تكون ثمة جنة، لكن لا بد من وجود جحيم؛

وفي الوقت الراهن، لدينا جون غرير، لحسن الحظ!».

س. مكب.

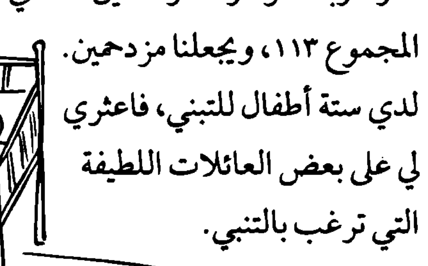
الأخير فيها إذ يقول: قد تكون ثمة جنة، لكن لا بد من وجود جحيم/ وفي الوقت الراهن لدينا الأرض، لحسن الحظ!

ميتم جون غرير
السبت

عزيزتي جودي

خضنا أنا والطبيب روبن مكراي معركة أخرى بسبب أمر تافه للغاية (كنت فيه محقة)، ومنذ تلك اللحظة اتخذت لطبيبنا اسم تدليل مميز. «صباح الخير أيها العدو!» كانت تحيتي له اليوم، التي استاء لها بقوة، وقال إنه لا يرغب أن يُعتبر عدوًا، فهو ليس خصمًا لي أبدًا، ما دمت أصوغ سياستي وفقًا لرغبته!

لقد جاءنا طفلان جديدان؛ إيزادور غتشنايدر وماكس يوغ، جلبتهما جمعية العون المعمدانية للسيدات. من أين تظنين حقًا أن هؤلاء الأطفال يتلقون التعليم الديني؟ لم أرغب بقبولهما، لكن السيدات المسكينات كن مقنعات للغاية، وقد دفعن مبلغًا سخيًا قدره أربعة دولارات وخمسين سنتًا في الأسبوع لكل طفل. هذا يجعل المجموع ١١٣، ويجعلنا مزدحمين.



لدي ستة أطفال للتبني، فاعثري لي على بعض العائلات اللطيفة التي ترغب بالتبني.

من المحرج كما تعرفين أن تعجزي عن تذكر عدد أفراد عائلتك تلقائيًا، لكن عائلتي تختلف من يوم لآخر، مثل سوق الأسهم، وأود إبقاءها بالحد المعقول. فلا يمكن لامرأة ترعى أكثر من مئة طفل أن تمنحهم الاهتمام الفردي الذي ينبغي أن يحظوا به.

الاثنين

هذه الرسالة موضوعة على مكتبي منذ يومين، ولم أجد الوقت لألصق الطابع. لكن يبدو أن لدي وقت فراغ هذا المساء، لذا سأضيف صفحة أو اثنتين قبل أن تنطلقي في رحلتك السعيدة إلى فلوريدا.

لقد بدأت أميز وجوه الأطفال، مع أنه بدا من المستحيل تمييزهم، إذ يبدون متشابهين للغاية كأنهم خرجوا من قالب واحد بتلك البزات القبيحة قبحًا لا يوصف. وأرجو ألا تكتبي لي قائلة إنك تريدين شراء ثياب جديدة للصغار على الفور، أعلم أنك تودين ذلك فقد أخبرتني بهذا خمس مرات. لكنني سأكون مستعدة للتفكير في المسألة في غضون شهر، لأن ما يشغلني في الوقت الراهن هو صحتهم الداخلية أكثر من مظهرهم الخارجي.

لا يبدو أن الأيتام يستهوونني عمومًا، ليس في ذلك شك، وأخشى أن غريزة الأمومة الشهيرة تلك التي نسمع بها كثيرًا مفقودة من شخصيتي. إنهم أطفال، مثل كل الأطفال، كائنات صغيرة قذرة يسيل منها اللعاب وأنوفهم بحاجة للمسح دومًا. ألتقط من هنا وهناك صغيرًا مشاغبًا مخربًا يجذب بارقًا من اهتمامي؛

ولكنهم معظم الوقت ليسوا إلا مزيجًا غائمًا من الوجوه الشاحبة والمربعات الزرقاء.

إلا أن هنالك استثناء وحيدًا، فقد برزت سادي كيت كِلكوين من المجموعة منذ اليوم الأول، وتحاول جاهدة أن تظل كذلك طوال الوقت. وقد جعلتها مرسولي الخاص، وتزودني بكل متعتي اليومية. ليس من نتفة خبث حدثت في هذه الدار على مدار السنوات الثماني الأخيرة لم تتأصل في دماغها المختل. لهذه الصغيرة تاريخ غير عادي، برأيي، رغم أنني أدرك تمامًا شيوع هذا في أوساط اللقطاء. فقد عثر عليها قبل أحد عشر عامًا على العتبة السفلى لمنزل يقع في الشارع الثامن والثلاثين، تنام في صندوق من الورق المقوّى عليه علامة «ألتمان وشركاه».

وقد كتب على الغطاء بخط أنيق «سادي كيت كِلكوين، عمرها خمسة أسابيع، كن رحيمًا بها من فضلك».

أخذها الشرطي الذي عثر عليها إلى بِلفيو، حيث يُفرز اللقطاء وفقًا لترتيب وصولهم «كاثوليكي، بروتستانتي، كاثوليكي، بروتستانتي»، بنزاهة خالصة. وسميت سادي كيت بروتستانتية، رغم اسمها وعينيها الزرقاوين الإيرلنديتين. وها هي تزداد «إيرلندية» يومًا بعد يوم، لكنها تعترض بصخب على كل تفصيل في هذه الحياة، وهذا ما يتفق مع تعميدها[1].

---

(١) بروتستانتي؛ طائفة مسيحية تدعو إلى تحرر الفرد من سلطان الكنيسة؛ منسوب إلى البروتستانت، وهي مأخوذة من الفعل protest الذي يعني يعترض.

تشير ضفيرتاها السوداوين إلى اتجاهين متعاكسين، وقد ملأ وجهها الصغير الشبيه بوجه القرد كل أنواع الخبث، كما أنها نشيطة مثل كلب من نوع ترير، ولذا عليك إبقاءها منشغلة كل لحظة. تحتل تقارير سلوكها السيء صفحات في كتاب يوم الحساب[1] وتقول الفقرة الأخيرة:

«لتحديها ماغي غير لتضع أكرة الباب في فمها؛ العقاب: تقضي بعد الظهيرة في الفراش وتتناول الرقائق المملحة على العشاء».

يبدو أن ماغي غير، بفمها ذي القدرة الخارقة على التمدد، وضعت أكرة الباب لكنها عجزت عن إخراجها، فاستدعي الطبيب وحل المشكلة بعقلانية، مستخدمًا لبيسة حذاء مطلية بالزبدة، وصار يسمي المريضة «ماغي ذات الفم الواسع».

أنت تدركين أن ذهني مشغول بملء كل ثغرة من حياة سادي كيت.

لدي مليون موضوع أود أن أتشاور فيها مع الرئيس، ولم يكن لطيفًا منكما أن تلقيا على عاتقي شؤون ملجئكما وتسافرا للجنوب لتلهوا. إن فعلت كل شيء خطأ فسيكون ذلك جزاؤكما. ففي الوقت الذي تتنقلان فيه بسيارات خاصة، وتتنزهان تحت نور القمر على شواطئ النخيل، تذكّرا أنني في أمطار شهر آذار في نيويورك أعتني بمئة وثلاثة عشر يتيمًا ينتمون إليكم بموجب

(١) تعني سجل الأيتام!

القانون، وكونا شاكرين.

الباقية (لوقت محدود)،

س. مكبرايد.

مكتب إدارة ميتم جون غرير

عدوي اللدود

أرسل إليك مرفقًا بهذه الرسالة (تحت غطاء منفصل) سامي سپير، الذي كان مفقودًا حين جئت في زيارتك الصباحية، وقد أخرجته الآنسة سنيث إلى النور بعد رحيلك. أرجو منك أن تفحص إبهامه، لم يسبق لي أن رأيت داحسًا، لكني شخصت ما أصابه على أنه كذلك.

المخلصة بحق،

س. مكبرايد.



مكتب إدارة ميتم جون غرير

السادس من مارس

عزيزتي جودي

لست أدري بعد إن كان الأطفال سيحبونني أم لا، لكنهم يحبون كلبي. لم يسبق لكائن محبوب بقدر سنغاپور أن اجتاز هذه البوابة. يسمح لثلاثة أولاد حسني السلوك بعد الظهيرة من كل يوم أن يمشطوه ويغسلوه، ويقدم له الطعام والشراب ثلاثة أولاد جيدون آخرون. لكننا نبلغ ذروة الأسبوع صباح كل سبت، حين يقوم ثلاثة أولاد خارقون بمنحه حمامًا لطيفًا ذا رغوة بالماء الساخن وصابون البراغيث. سيصبح امتياز أن يكون الطفل وصيفًا لسنغاپور الحافز الوحيد الذي سأحتاجه للحفاظ على الانضباط.

ولكن أليس من الغريب غرابة مؤسفة أن يعيش هؤلاء الصغار

في الريف ولم يكن لديهم يومًا حيوان أليف؟ خاصة وأنهم يحتاجون، أكثر من كل الأطفال، لشيء ما يمنحونه الحب. سأحاول تأمين بعض الحيوانات لهم بطريقة ما، إن كنت سأنفق منحتنا الجديدة على شراء مجموعة من الحيوانات. هل يمكنك أن تجلبي معك بعض صغار القاطور وبجعة؟ سنقبل بامتنان أي شيء حي.

سيكون هذا قانونيًا «يوم الأوصياء» الأول لي، وأنا شاكرة لجيرفِس عميق الشكر لتنظيمه اجتماع عمل بسيط في نيويورك، نظرًا لأننا لسنا جاهزين بعد لموكب كهذا، لكننا نأمل بحلول الأربعاء الأول من شهر أبريل أن يكون لدينا شيئًا ملموسًا لعرضه. لو تحققت كل أفكار الطبيب وبعض من أفكاري، فستتسع عيون أوصيائنا دهشة حين يرونها. لقد أعددت مخططًا لوجبات الأسبوع القادم، وعلقتها في المطبخ على مرأى الطاهية المغلوبة على أمرها. إن كلمة التنوع لم تكن موجودة في قاموس ميتم جون غرير حتى اليوم، لكنك لن تتخيلي المفاجآت المبهجة التي سنحظى بها؛ من الخبز الأسمر وخبز الذرة وكعكات العسل الصغيرة وعصيدة الذرة، وبودنغ الأرز مع الكثير من الزبيب، وحساء الخضار الكثيف، والمعكرونة على الطريقة الإيطالية، وكعك النشاء مع الدبس وفطائر التفاح وكعك الزنجبيل، أوه، إنها قائمة لانهائية! ستتمكن فتياتنا الأكبر سنًا، بعد أن ساعدن في تحضير الأطايب الشهية، على إدامة حب أزواج المستقبل لهن.

يا إلهي! إنني أثرثر هنا عن أمور تافهة رغم أنني أحتفظ ببعض الأخبار الحقيقية. لقد جاءتنا موظفة جديدة، يا لها من درة.

هل تذكرين بتسي كندرد من عام ١٩١٠؟ لقد كانت تتزعم فرقة الإنشاد وكانت رئيسًا لنادي التمثيل. أنا أذكرها جيدًا؛ فقد كانت ترتدي ثيابًا جميلة دائمًا. إنها تعيش على بعد اثني عشر ميلًا فقط من هنا، وقد التقيتها صدفة صباح البارحة حين كانت تمشي في القرية، أو بالأحرى تمر بي وهي تتجاهلني.

لم أتحدث إليها مرة في حياتي، لكننا حيينا بعضنا مثلما يفعل الأصدقاء القدامى. والفضل يعود لشعري الشهير، فقد عرفتني على الفور، فقفزت إلى عتبة سيارتها وقلت:

«بتسي كندرد من دفعة ١٩١٠، عليك أن تأتي إلى ملجأ الأيتام وتساعديني في ترتيب سجلات أيتامي».

وقد أدهشها ذلك فجاءت. ستكون هنا لأربعة أيام أو خمسة في الأسبوع بوصفها أمينة سر مؤقتة، وسأحاول الإبقاء عليها بشكل دائم بطريقة ما. إنها أكثر من قابلتهم نفعًا، وآمل أن تعتاد الأيتام حتى تعجز عن التخلي عنهم. أظنها قد تبقى إن دفعنا لها أجرًا مجزيًا. تود أن تكون مستقلة عن عائلتها، كما نرغب جميعنا في هذه الأوقات العصيبة.

وفي غمرة اندفاعي المتنامي نحو تصنيف الناس، أود ان أفعل ذلك مع طبيبنا. فإن كان جيرفِس يعرف عنه أي سر كان، حسن أم غير ذلك، فاكتبيه لي من فضلك. لقد جاء البارحة لبَضع الداحس في إبهام سامي سپير، ثم نزل إلى ردهتي الزرقاء الفاقعة ليعطيني تعليمات لتغيير الضماد. إن مهام المشرفة لشتى.

كان ذلك وقت الشاي، فدعوته عفويًا للبقاء وفعل! ولم يكن ذلك لصالح الدار -أبدًا- بل لأن جين جاءت في تلك اللحظة حاملة صحنًا من الشطائر. لم يكن قد تناول غداءه، وبدا أن وقت العشاء ما زال بعيدًا. وأثناء تناوله الشطائر، رأى الوقت ملائمًا للتحقيق معي بشأن جاهزيتي لهذه الوظيفة، فهل درست علم الأحياء في الكلية؟ وما مدى معرفتي بالكيمياء؟ وما الذي أعرفه عن علم الاجتماع؟ هل زرت دور الأيتام النموذجية في هاستنغز؟

فأجبت عنها جميعًا بألفة وصراحة. ثم سمحت لنفسي بسؤال أو اثنين؛ ما التعليم الذي تلقاه في صباه ليثمر هذا النوع من المنطق والدقة والوقار والوعي كما أراه ماثلًا أمامي؟ فانتزعت، بعد حث ملح، وقائع مجهولة لكنها كلها مدعاة للاحترام. وقد يخطر لك أن هناك من مات شنقًا في العائلة بسبب تحفظه. ولد مكراي الأب في اسكتلندا وجاء إلى الولايات المتحدة ليشغل منصبًا في جامعة جونز هوبكنز، لكن روبن الابن قد أعيد إلى أولد ريكي ليتلقى تعليمه. كانت جدته سليلة مكلاكلِن من ستراثلاكن (وأنا متأكدة من أنها كانت محترمة)، وكان يقضي إجازاته في المرتفعات يطارد الغزلان. مكتبة

عرفت الكثير عنه، لكن ليس من مزيد، فأرجو أن تخبريني نميمة عن عدوي، وأفضّل أن يكون أمرًا مخزيًا.

لماذا يدفن نفسه في محلة بعيدة، إن كان امرأ على هذا القدر من الكفاءة؟ إذ يخطر للمرء أن عالمًا واعدًا يرغب بمستشفى في جهة

ومشرحة في جهة أخرى. هل أنت واثقة أنه لم يرتكب جريمة وأنه لا يختبئ من العدالة؟

يبدو أنني كتبت صفحات كثيرة دون أن أخبرك بالكثير. يحيا الهراء!

المخلصة لك كالعادة،

سالي.

ملاحظة: أشعر بالراحة لأمر واحد؛ أن الطبيب مكراي لا يختار ثيابه بنفسه، بل يترك كل هذه الصغائر التافهة لمدبرة منزله السيدة ماغي مكّركّ.

إلى اللقاء، مرة أخرى وبشكل نهائي!

ميتم جون غرير
الأربعاء

عزيزي غوردن

لقد أسعدتني رسالتك وورودك طوال الصباح، وهذه هي المرة الأولى التي أحظى بها بالسعادة منذ الرابع عشر من فبراير، حين لوحت مودعة وورسستر.

لا يمكن للكلمات أن تصف الثقل الرتيب لدورة الحياة اليومية في الدار، غير أن الإشراقة الوحيدة في كل هذا الأمر الكئيب هو قضاء بتسي كندرد أربعة أيام من الأسبوع معنا. ارتدت انا وبتسي الكلية معًا، ونجد أحيانًا بعض الأمور التي نضحك منها.

كنا البارحة نتناول الشاي في ردهتي القبيحة، حين عزمنا فجأة على الثورة ضد القبح المفرط. فاستدعينا ستة أيتام أقوياء مولعين بالتخريب، وجلبنا سلمًا ودلوًا من الماء الساخن، ومحونا عن الجدران كل أثر لورق الجدران القديم. لك أن تتخيل متعة تمزيق ذلك الورق.

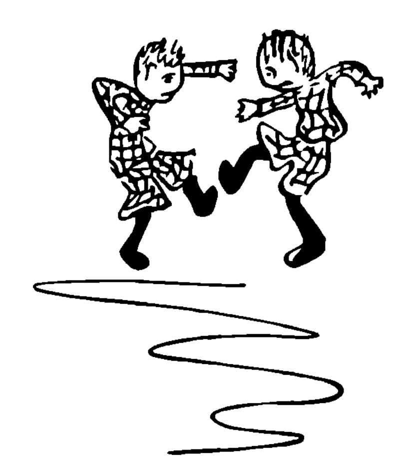
يعكف عاملان في هذه اللحظة على تركيب أفضل ما يتوفر في قريتنا من ورق الجدران، بالإضافة إلى منجّد ألماني يجثو على ركبتيه لقياس كراسيّ ليخيط أغطية من قماش قطني ستخفي كل بوصة من تنجيدها المخملي.

لا تغضب من فضلك، فهذا لا يعني أنني أنوي قضاء حياتي في هذا الملجأ. بل يعني أنني أجهز مكانًا لائقًا لخليفتي. لم أجرؤ على إخبار جودي أنني أرى المكان كئيبًا، لأنني لم أشأ أن أعكر عَليها أجواء فلوريدا، وحالما تعود إلى نيويورك ستجد استقالتي الرسمية بانتظارها في القاعة الأمامية.

كنت سأكتب لك رسالة طويلة من سبع صفحات تعبيرًا عن امتناني، لكن اثنين من صغاري الأعزاء يتعاركان تحت النافذة، وسأنطلق لفصلهما.

المخلصة دومًا،

س. مكب.



ميتم جون غرير
الثامن من مارس

عزيزتي جودي

لقد قدمت هدية صغيرة لميتم جون غرير، إذ أعدتُ تأثيث غرفة استقبال المشرفة. فقد رأيت منذ ليلتي الأولى هنا أنه لا أنا ولا أي مشرفة مستقبلية ستكون راضية بقطيفة السيدة ليبيت الفاقعة. أنا أخطط لجعل خليفتي راضية وراغبة بالبقاء كما ترين.

ساعدتني بتسي كندرد في إعادة تأهيل غرفة الرعب الخاصة بليبيت، وقد خلقنا فيما بيننا تناغمًا رائعًا بين الأزرق الداكن والذهبي. إنها حقًا وصدقًا إحدى أجمل الغرف التي ترينها، وستكون رؤيتها تثقيفًا فنيًا لأي يتيم. فقد وضعنا ورق جدران جديد، وبسطًا جديدة على الأرض (بساطي الفارسي الثمين الذي شحنته لي عائلتي المحتجة من وورسستر). وستائر جديدة على نوافذي البابية الثلاث، التي تكشف منظرًا رائعًا وواسعًا، وقد غطيت الآن بقماش الدانتيلا. ووضعت طاولة كبيرة جديدة، وبعض المصابيح والكتب ولوحة أو اثنتين، ومدفأة حقيقية. كانت السيدة ليبيت قد سدت المدفأة لأنها تدخل الهواء.

لم أدرك قبلًا أي اختلاف يحدثه محيط رفيع الذوق في سلام المرء

الروحي. فقد جلست ليلة البارحة أراقب النار، تحت المصابيح الجميلة الموضوعة على رف الموقد وخرخرتُ من الرضا. وأؤكد لك أنها أول خرخرة تطلقها هذه القطة منذ أن جاءت إلى ملجأ جون غرير.

لكن إعادة تأثيث بهو المشرفة هو أدنى حاجاتنا، فمهاجع الأطفال بحاجة إلى الكثير من الاهتمام الجوهري حتى أنني لا أعرف من أين أبدأ. غرفة اللعب الشمالية المظلمة فضيحة مخزية، لكنها ليست أكثر خزيًا من غرفة الطعام القبيحة، أو مهاجعنا غير المهواة أو مغاسلنا عديمة الأحواض.

إن كانت هذه الدار اقتصادية للغاية، فهل تظنين أنها تحتمل حرق هذا المبنى القديم الأصلي النتن، وبناء أكواخ حديثة حسنة التهوية جميلة بدلًا منه؟ لا يمكنني تذكّر الملجأ في هاستنغز دون أن يمتلئ قلبي حسدًا. إن كان لديك ملجأ مثل ذاك فسيكون العمل فيه ممتعًا، لكن، على أية حال، حين تعودين إلى نيويورك وتكونين مستعدة للنقاش مع المهندس من أجل الترميم، فارجعي إلي من فضلك لأقدم بعض الاقتراحات. أريد أيضًا من بين التفاصيل الأخرى مئتا قدم من شرفات النوم تمتد على طول المهاجع.

إليك بعض النتائج: أسفرت فحوصاتنا الطبية عن أن نصف أطفالنا مصابون بفقر الدم (يا إلهي الرحيم! يا لها من كلمة!) وللكثير منهم أسلاف مصابون بالسل وأكثر منهم مدمنو الكحول. لذا فإن حاجتهم الأولى هي الأكسجين لا التعليم. وإن كان المرضى

يحتاجونه، فلمَ لا يحتاجه الأصحاء؟ أود أن ينام كل طفل، شتاء وصيفًا، في الهواء الطلق، لكني أعلم أنني لو ألقيت قنبلة كهذه في اجتماع الأوصياء، فسينفجر المجلس بأكمله.

وبالحديث عن الأوصياء، التقيت بالمبجل سايرس وايكف، وأرى حقًا أنني أبغضه أكثر من بغضي للطبيب مكراي، أو معلمة الروضة أو الطاهية. يبدو أن لدي روحًا حارسة تكشف لي الأعداء!

زارنا السيد وايكف الأربعاء الماضي ليتعرف بالمشرفة الجديدة.

وقد أمضى اليوم بأكمله بعد أن جلس على كرسيّ المريح ذي الذراعين. سألني عن عمل أبي، وإن كان ثريًا أم لا، فأخبرته أن أبي يصنّع بدلات الورش، وأن الطلب عليها مستمر تمامًا حتى في هذه الأوقات العصيبة.

فبدت عليه أمارات الراحة، وأكد على منافع بدلات الورش. وقد كان يخشى أن أكون من عائلة كاهن أو أستاذ أو كاتب؛ ممن يتمتعون بكثير من المبادئ العليا لكن بلا منطق، وسايرس يؤمن بالمنطق.

وما هو التعليم الذي تلقيته لهذه الوظيفة؟

وهذا سؤال محرج بعض الشيء كما تعلمين، لكني تحدثت عن تعليمي في الكلية، وبعض المحاضرات في مدرسة العمل الخيري[1]، وفترة قصيرة في إدارة الكلية (لم أخبره أن كل ما فعلته

---

(١) كانت في البداية برنامجًا صيفيًا مدته ستة أسابيع لتدريب الراغبين في العمل في مجال

هناك كان دهان القاعة الخلفية والسلالم). ثم تحدثت عن بعض العمل الاجتماعي بين عمال أبي وبعض الزيارات الودية لمأوى النساء مدمنات الخمر.

وقد أصدر صوت نخير بعد كل ما قلته.

ثم أضفت أنني أجريت مؤخرًا دراسة حول رعاية الأطفال المعوزين، وذكرت زيارتي للملاجئ السبعة عشر عرضيًا.

ثم أطلق ذلك الصوت ثانية، وقال إنه لا يكترث كثيرًا لهذا العمل الخيري المستحدث المبني على العلم.

ودخلت جين في تلك اللحظة حاملة صندوقًا من الورود جلبه بائع الزهور. إن غوردن هالوك المبارك يرسل لي الورد مرتين في الأسبوع ليبهج حياة الدار الموحشة.

بدأ وصينا استجوابًا ناقمًا، إذ أراد ان يعرف من أين حصلت على الزهور، وقد بدا عليه الارتياح كثيرًا حين عرف أنني لم أنفق من مال الدار لشرائها، ثم رغب أن يعرف من تكون جين، وكنت قد توقعت هذا السؤال فقررت مواجهته بتحدٍ.

«خادمتي»، قلت أنا.

«ماذا؟»، جأر غاضبًا واحمر وجهه.

«خادمتي».

العمل الخيري، وقد افتتحت عام ١٨٩٨، ثم صارت جزءًا من جامعة كولومبيا، وتغير اسمها إلى مدرسة نيويورك للعمل الاجتماعي عام ١٩١٧.

«ماذا تفعل هنا؟».

فمضيت عامدة لسرد التفاصيل «تصلح ثيابي، وتطلي حذائي وتبقي أدراج مكتبي مرتبة وتغسل شعري».

ظننت أن الرجل قد اختنق حقًا، فأضفت مشفقة أنني أدفع أجرها من مالي الخاص، وأدفع خمسة دولارات وخمسين سنتًا في الأسبوع للدار لقاء سريرها، وأنها لا تأكل كثيرًا على الرغم من بدانتها.

فلمّح إلى أن باستطاعتي أن أستخدم أحد الأيتام لكل الخدمات المسموح بها.

لكني بينت له -بأدب رغم أنني قد اشتد بي الضجر- أن جين تخدمني منذ سنوات، ولن أصرفها.

انصرف أخيرًا، بعد أن أخبرني أنه، شخصيًا، لم يجد أي عيب بالسيدة ليبيت. فقد كانت امرأة مسيحية عاقلة، بلا أفكار مبهرجة كثيرة بل بكثير من العمل الجادّ. وقال إنه يأمل أن أكون حكيمة بما يكفي لأتبع سياستها في إدارتي!

وما رأيك في هذا يا عزيزتي جودي؟ جاء الطبيب بعد ذلك ببضع دقائق، وأعدت على مسامعه حواري مع المبجل سايرس وايكف بالتفصيل. وقد اتفقنا أنا والطبيب لأول مرة في تاريخ علاقتنا.

«السيدة ليبيت إذن!»، قال مزمجرًا، «العجوز الأحمق الثرثار! لتمنحه السماء مزيدًا من الوعي!»

يتحدث طبيبنا بالاسكتلندية حين يغضب كثيرًا. آخر ما منحته من أسماء الدلال (دون معرفته) هو ساندي[1].

تجلس سادي كيت على الأرض وأنا أكتب، وهي تفك خيوط الحرير وتلفها بمهارة لجين التي صارت متعلقة بالشريرة الصغيرة.

قلت لسادي كيت «أنا أكتب لعمتك جودي، ماذا تودين أن أخبرها؟».

«لم أسمع قبلًا بالعمة جودي».

«إنها عمة كل فتاة طيبة في هذه المدرسة».

«أخبريها أن تأتي لزيارتنا وتجلب بعض الحلوى»، قالت سادي كيت.

وأنا أقول ذلك أيضًا.

أبلغي حبي للرئيس،
سالي.

---

(١) من sand، نظرًا لأن له شعرًا بلون الرمل.

الثالث عشر من مارس

السيدة جودي أبوت پدلتن

سيدتي العزيزة

لقد استلمت رسائلك الأربع وبرقيتيك وصكوكك الثلاثة، وستنفذ تعليماتك بأسرع ما يمكن للمشرفة المجهدة أن تقوم به.

لقد أوكلت مهمة غرفة الطعام لبتسي كندرد، وخصصت مئة دولار لإعادة تأهيل ذلك القسم المروّع. فقبلت المهمة واختارت خمسة أيتام جيدين لمساعدتها في التفاصيل التقنية، وأغلقت الباب. كان الأطفال يتناولون طعامهم على المقاعد في غرف الدراسة لثلاثة أيام. لم يكن لدي فكرة عما تفعله بتسي، لكنها تتمتع بذوق أفضل من ذوقي، لذا ليس ثمة فائدة ترجى من تدخلي.

إن القدرة على إيكال أمر ما لأحدهم، وثقتك باضطلاعه به هبة من السماء! وما رأيته هنا أن الطاقم ليس منفتحًا على الأفكار الجديدة نظرًا لأعمارهم وخبراتهم، غير أن ميتم جون غرير سيدار اليوم مثلما أراد له مؤسسه النبيل عام ١٨٧٥.

بصراحة، لقد كانت فكرتك يا عزيزتي جودي حول تخصيص غرفة طعام للمشرفة، التي استنكرتها في بادئ الأمر لأني اجتماعية

بطبعي، قد كانت خلاصي. فأنا أتناول فيها طعامي وحيدة حين أكون منهكة. لكني أدعو إحدى المسؤولات لتقاسمني الوجبة حين أكون في فترات استراحتي النشطة، وأخبط بيدي بانفعال على طاولة طعامي الحميمية الواسعة. وحين رغبت بزرع فكرة الهواء الطلق في روح الآنسة سنيث، دعوتها على العشاء ودسست بمهارة شيئًا من الأكسجين بين شرائح لحم العجل المرصوصة.

كان رغيف لحم العجل تصور طاهيتنا لطبق فاخر يقدم في حفلة عشاء. سأواجه في شهر آخر مسألة التغذية اللائقة لطاقم العمل، أما الآن فلدينا الكثير الأمور التي علينا أن نوليها اهتمامنا أكثر من سبل راحتنا.

لقد حدث ارتجاج فظيع للتو خارج بابي. يبدو أن أحد الملائكة الصغار يركل ملاكًا آخر في الأسفل، لكني أواصل الكتابة دون انزعاج، فإن كنت أود قضاء أيامي بين الأيتام، علي إذن أن أنمّي حيادًا مرحًا.

هل وصلتك بطاقة ليونا فنتن؟ ستتزوج طبيبًا في بعثة تبشيرية وستسافر إلى سيام للعيش هناك! هل سمعت بأمر أغرب من أن تكون ليونا ربة منزل زوج مبشِّر؟ هل تظنين أنها ستسلي الوثنيين برقصة التنورة[1]؟

---

(١) رقصة شعبية في أوروبا وأمريكا، ترتدي فيها الراقصات تنانير طويلة ذات طبقات تتلاعب فيها النساء لخلق إحساس برفرفة القماش، ويكون ذلك غالبًا في مسرح مظلم، وتصوب كشافات ملونة على الراقصات لإظهار نقوش تنانيرهن، وهي طبعًا مختلفة عن رقصة التنورة الشعبية الشهيرة (رقصة الدراويش).

إن الأمر ليس بأغرب من وجودي في مأوى للأيتام، أو من كونك زوجة محافظة رصينة، أو من كون مارتي كيني فراشة في المحافل الاجتماعية في باريس. هل تظنين أنها تذهب إلى حفلات السفارة في ثياب ركوب الخيل، وما الذي ستفعله بشعرها بحق السماء؟ لا بد أنها تضع شعرًا مستعارًا، فلا يمكن أن يكون شعرها نما بهذه السرعة. ألا ترين أن فصلنا قد كشف عن مفاجآت مضحكة؟

وصل البريد، فاعذريني ريثما أقرأ رسالة لطيفة من واشنطن.

ليست لطيفة جدًا، بل وقحة للغاية. لم يستطع غوردن تجاوز الأمر، وما زال يظن أن وجود سالي مكبرايد مع مئة وثلاثة عشر يتيمًا ليس سوى دعابة. لكنه لن يراها كذلك لو أمضى هنا بضعة أيام. قال إنه سيمر هنا في رحلته القادمة إلى الشمال ويرى كفاحي. ما رأيك لو تركت المأوى في رعايته وانطلقت إلى نيويورك لأتبضع؟ لقد اهترأت كل شراشفنا وليس لدي أكثر من مئتين وأحد عشر بطانية في الدار.

يرسل لك سنغاپور، الجرو الوحيد في قلبي وفي بيتي، حبه العميق.

وأنا أيضًا،

س. مكب.

ميتم جون غرير
الجمعة

صديقتي الأغلى جودي

عليك أن تري ما فعلته دولاراتك المئة وبتسي كندرد بغرفة الطعام تلك!

إنه حلم مدوّخ من اللون الأصفر. لقد فكرتْ، باعتبار الغرفة شمالية، أن تجعلها مشرقة وقد نجحت. فالجدران مطلية باللون الأبيض اللامع الصقيل، وفيها إفريز من الأرانب البراقة تجري نحو الأعلى، كما طلي كل الأثاث الخشبي -حتى الطاولات والمقاعد- بالأصفر المشرق المبهج. وبدلًا من مفارش الطاولات التي لا يمكننا شراؤها، وضعت أغطية طويلة من الكتان طبعت على طولها أرانب تقفز. بالإضافة إلى الآنية الصفراء الممتلئة، في هذه اللحظة، بالصفصاف الأبيض، لكننا نأمل أن نملأها بالهندباء وعشب الحوذان وزهور الربيع. ولدينا أطباق جديدة، بيضاء ذات زهور نرجس صفراء (هذا ما ظنناه)، رغم أنها قد تكون ورودًا فليس لدينا في الدار خبير في علم النبات. ولكن اللمسة الأروع من كل ذلك هو مناديل المائدة، التي نراها لأول مرة في حياتنا. لقد ظنها الأطفال مناديل جيب فمسحوا بها أنوفهم بلياقة.

وعلى شرف افتتاح غرفتنا الجديدة، تناولنا في التحلية المثلجات والكعك. إنه لأمر سار أن أرى الأطفال يفعلون أي شيء سوى أن يكونوا خاملين وفاترين، لأنني سأكافئ كل من يصدر ضجيجًا باستثناء سادي كيت، لكنها أخذت تدقّ على الطاولة بشوكتها وسكينها وتغني «أهلًا بكم في القاعة الذهبية».



بني وخمسة من الأيتام المتوياد يزينون غرفة الطعام

هل تذكرين تلك العبارة المزخرفة فوق باب غرفة الطعام «سيطعمنا الرب». لقد غطيناها بالطلاء، ورسمنا الأرانب فوق تلك البقعة. يسهل تلقين معتقد لطفل عادي لديه عائلة عادية وسقف يظله، لكن لا بد للمرء الذي لا يملك سوى مقاعد المتنزه ملجأ إن أصابته محنة، أن يتعلم مبدأ أكثر مقاومة من هذا.

إن شعارنا هو «لقد منحك الرب يدين اثنتين وعقلًا وعالمًا كبيرًا تستخدمها فيه. إن استخدمتها على نحو حسن فسيجازيك الرب، وإن استخدمتها على نحو سيء، فستكون في فاقة» مع بعض التحفظات.

لقد تخلصت من أحد عشر طفلًا ضمن عملية الفرز، فقد ساعدني اتحاد عون الجمعيات الخيرية في الولاية على تسريح ثلاث فتيات، أخذن كلهن إلى منازل لطيفة، وقد تُتبنى واحدة منهن قانونيًا إن أحبتها العائلة. وستحبها العائلة؛ إني أرى ذلك، فقد كانت الطفلة الثمينة في هذه الدار، مطيعة ومهذبة ولها شعر مجعد وطبع ودود، ما يجعلها الفتاة المثالية التي تتمناها كل عائلة. حين يقف أبوان يرغبان بتبني فتاة، أقف قربهما وقلبي يكاد ينخلع، شاعرة أنني أساعد في خطط القدر الغامضة. وقد يحدث أمر صغير فيفسد الأمر كله! إن ابتسمت الطفلة، فسيكون بانتظارها منزل محب مدى الحياة، وإن عطست فذلك يعني أنها ستبقى للأبد.

ذهب ثلاثة من أكبر صبياننا للعمل في المزارع، إحداها مزرعة أبقار في الغرب! تقول الأخبار إنه أصبح راعي بقر ومحاربًا للهنود الحمر وصائد للدببة الشهباء، لكني أظن أن الواقع أنه يعمل في أعمال الزراعة وحصاد القمح. لقد مشى، مثل بطل قصة رومانسية، متبوعًا بنظرات حزينة من خمسة وعشرين مغامرًا، استداروا عائدين متنهدين للحياة الآمنة الرتيبة في ميتم جون غرير.

أُرسل خمسة أطفال آخرون إلى المؤسسات المناسبة لهم، فأحدهم

أصم، وآخر مصاب بالصرع والثلاثة الآخرون مصابون بالعته. لم يكن يفترض قبولهم هنا، فهذه مؤسسة تعليمية، ولا يمكننا تبديد جهود ملجئنا القيّم للاعتناء بذوي العاهات.

لقد غدا مأوى الأيتام قديم الطراز. أما ما أنوي فعله فهو إنشاء مدرسة داخلية توفر نموًا جسديًا وعقليًا وأخلاقيًا للأطفال الذي عجز أهلهم عن رعايتهم.

إن كلمة «الأيتام» ليست سوى مصطلح عام للأطفال، لأن الكثير منهم ليسوا أيتامًا فعليًا، إذ يكون أحد أبويهم مثيرًا للمتاعب وعنيدًا ويرفض توقيع إقرار بالتخلي، لذا لا أستطيع إدراج أسمائهم في قائمة التبني. لكن أولئك المتاحين للتبني ستكون حالهم في منازل الرعاية أفضل مما لو ظلوا في الدار؛ وإن جعلتها الأفضل بقدر استطاعتي. لذا سأهيئهم للتبني بأقصى سرعة، وسأبحث عن منازل من أجلهم.

لا بد أنك صادفت الكثير من الأسر اللطيفة في أسفارك، ألا يمكنك أن ترهبي بعضها لتبني الأطفال؟ الأفضلية للأولاد، إذ لدينا الكثير جدًا من الصبيان ولا أحد يريدهم. ويتحدثون عن مناهضة النسوية[1]! إنها لا تقارن بمناهضة الذكورية التي تعتمل في صدور الآباء المتبنين. يمكنني أن أخرج ألف فتاة صغيرة ذات دمامل لها شعر أشقر، لكن ولدًا صحيح البنية معافى يتراوح عمره

---

(١) الشخص الذي يتسم بمعاداة النسوية أو النساء ويعارض المساواة بين الجنسين ومنح المرأة حقوقها.

بين التاسعة والثالثة عشر تعافه النفوس! يبدو أن هناك شعورًا عامًا بأنهم يمشون حفاة على التراب ويخدشون الأثاث من خشب الماهوغني.



ألا تظنين أن نوادي الرجال ترغب بتبني بعض الفتية، بوصفهم تعاويذ للحظ السعيد؟ يمكن للصبي منهم أن يسكن مع عائلة محترمة لطيفة، ويصحبه الأعضاء المختلفون بعد الظهر في أيام السبت. يمكنهم أخذه إلى مباريات كرة القدم والسيرك ثم يعيدونه عندما يكتفون، تمامًا كما تفعلين بكتاب استعرته من المكتبة العامة. ويمكن لذلك أن يكون تدريبًا جيدًا للعازبين. يتحدث الناس دومًا عن ضرورة تدريب الفتيات ليكنّ أمهات، فلمَ لا نكرس تدريبًا للأبوة، ونجعل أفضل نوادي الرجال تضطلع بالأمر؟ هلا طلبت

من جيرفِس أن يثير هذه المسألة في نواديه المختلفة، وأنا سأطلب من غوردن أن يطرح الفكرة في واشنطن. إن كليهما عضو في الكثير من النوادي التي علينا إرسال ما لا يقل عن اثني عشر ولدًا إليها.

وأظل،

الأم المنهكة دومًا لمئة وثلاثة عشر طفلًا،

س. مكب.

ميتم جون غرير
الثامن عشر من مارس

عزيزتي جودي

حظيت البارحة بإجازة مبهجة من رعاية مئة وثلاثة عشر طفلًا.

تخيلي من مرّ بنا البارحة في هذه القرية الهادئة سوى السيد غوردن هالوك، في طريق عودته إلى واشنطن لاستئناف مسؤولياته تجاه الشعب. لقد قال إنها كانت على طريقه، لكنني لاحظت من الخارطة المعلقة في صف الابتدائية أنها تبعد عن طريقه مئة ميل.

ولكن يا إلهي، كم كنت سعيدة لرؤيته! لقد كان أول لمحة من العالم الخارجي أراها منذ أن حُبست في هذا الملجأ. وكم كان لديه الكثير من الأمور المسلية ليحدثني عنها! إنه يعرف كل خفايا الأخبار التي نقرأها في الصحف، فهو المحور الاجتماعي الذي تدور حوله واشنطن، كما تبين لي حتى اللحظة. عرفت دومًا أنه سينجح في السياسة لأنه يتمتع بمهارة خاصة تخوله لهذا، وليس في ذلك شك.

لك أن تتخيلي مبلغ جذلي وسروري، وكأنني قد استعدت روحي ثانية بعد فترة من النبذ الاجتماعي. علي الاعتراف بأني أشعر بالوحدة وأتوق لأحد يتحدث بالأحاديث التافهة. تعود بتسي

إلى بيتها كل نهاية أسبوع، أما الطبيب فإنه يتحدث كثيرًا، ولكن حديثه عقلاني بشكل مروّع! لذا يبدو غوردن رمزًا للحياة التي أنتمي إليها -من نوادٍ ريفية وسيارات ورقص ورياضة ولياقة- قد تكون حياة ضحلة سخيفة تافهة إن شئت، لكنها حياتي أنا، وأنا أفتقدها. إن هذا العمل في الخدمة الاجتماعية ساحر وأخاذ وممتع نظريًا، لكنه غبي للغاية في تفاصيله العملية. أخشى أنني لم أولد لأقوّم الاعوجاج.

حاولت أخذ غوردن في جولة في الدار وجعله يهتم بالأطفال، لكنه لم يلق نظرة إليهم. يظنني قد جئت هنا لإغاظته فقط، وهذا صحيح. لم يكن نداء استغاثتك ليغريني بالحياد عن درب اللهو، لولا أن غوردن سخر كثيرًا من فكرة قدرتي على إدارة ملجأ للأيتام. وقد جئت هنا لأظهر له أنني أستطيع، وحين تسنت لي الفرصة لأريه ذلك، رفض الوحش أن يلقي نظرة.

دعوته إلى العشاء وقد حذرته من لحم العجل المرصوص، لكنه رفض وقال إني بحاجة للتغيير، فذهبنا إلى نُزل برانتود وتناولنا الكركند المسلوق. لقد نسيت قطعًا أن هذه الكائنات صالحة للأكل.

أيقظني رنين الهاتف العصبي الساعة السابعة من هذا الصباح، وكان ذلك غوردن من محطة القطار وعلى وشك استئناف رحلته إلى واشنطن. لقد كان يشعر بالأسف الشديد حيال الملجأ، واعتذر بشدة لرفضه النظر إلى أطفالي. فلم يكن ذلك لأنه يكره الأيتام، بل

لأنه لم يحب ارتباطهم بي، وسيرسل كيسًا من الفول السوداني، إثباتًا لنواياه الطيبة.

شعرت بالانتعاش والحيوية بعد استراحتي القصيرة، كأني حظيت بإجازة حقيقية. لا شك أن ساعة أو نحوها من الحديث المثير أكثر إنعاشًا لي من نصف لتر من شراب الحديد وأقراص الإستركينين.

أنت مدينة لي برسالتين يا سيدتي، فأدّي ما عليك على الفور، وإلا فإنني سأكف عن الكتابة إلى الأبد.

المخلصة كالعادة،

س. مكب.

الثلاثاء، الخامسة مساءً

عدوي اللدود

أُبلغت أنك زرتنا أثناء غيابي بعد ظهر اليوم وافتعلت ضجة كبرى. فقد زعمت أن الأطفال الذين ترعاهم الآنسة سنيث لا يتناولون زيت كبد الحوت أبدًا.

وأعتذر إن كانت تعليماتك الطبية لم تتبع، لكن عليك أن تعرف أنه لأمر صعب أن تضع ذلك الشيء البغيض الكريه الرائحة في فم طفل يتلوى. والآنسة سنيث المسكينة متعبة للغاية، إذ إنها ترعى عشرة أطفال أكثر مما يجب أن يكون نصيب أي امرأة عازبة، وإلى أن نعثر لها على معاونة، فإن لديها قليلًا من الوقت لتقوم بلمسات الترف التي تطلبها أنت.

بالإضافة أنها، يا عدوي اللدود، شديدة الحساسية نحو الإساءة. فإن كنت تشعر برغبة في الشجار فأرجو منك أن توجه حربك إلي. لست أمانع في ذلك؛ بل على العكس. لكن السيدة المسكينة انزوت في غرفتها في حالة من الهستيريا، تاركة تسعة أطفال محشورين في سرير لعناية من يهمه الأمر.

إن كانت لديك أي مساحيق مهدئة لأعصابها، فأرسلها لطفًا مع سادي كيت.

المخلصة بحق،

س. مكبرايد.

صباح الأربعاء

عزيزي د. مكراي

أنا لست أتخذ موقفًا، لكني أطلب منك ببساطة أن تأتي إلي بكل لباقة، وألا تثير في موظفيّ أي براكين كالتي حدثت البارحة.

سأجهد بمتابعة كل تعليماتك -ذات الطابع الطبي- باهتمام وحرص. ويبدو أنه وقع بعض الإهمال في القضية الحالية، ولست أدري ماذا حل بتلك الزجاجات الموصوفة الأربع عشرة من زيت كبد الحوت التي افتعلت ضجة من أجلها، لكني سأتحقق من الأمر.

ولا يمكنني تسريح الآنسة سنيث بالطريقة التي تقترحها، لأسباب عديدة. ربما كانت تعوزها الكفاءة في نواحٍ بعينها لكنها لطيفة مع الأطفال، وستتحسن مع المراقبة في وقت قصير.

المخلصة بشدة،

س. مكبرايد.

الخميس

عدوي اللدود

حُلت القضية. لقد أصدرت أوامري، وسيتناول الأطفال مستقبلًا كل زيت كبد الحوت المخصص لهم بموجب القانون. لا بد أن يحرز الرجل المثابر نجاحًا.

س. مكب.



الثاني والعشرون من مارس

عزيزتي جودي

عادت أحوال الحياة في الملجأ إلى الهدوء خلال الأيام القليلة الماضية، بعد اندلاع حرب زيت كبد الحوت العظمى. حدثت المشادة الأولى يوم الثلاثاء، وقد فوّتها لسوء حظي، إذ اصطحبت أربعة من صغاري في رحلة تسوق إلى القرية. وعدت لأجد الملجأ يعج بالهستيريا. فقد زارنا طبيبنا سريع الانفعال.

لدى ساندي شغفان في هذه الحياة، أحدهما شغف بزيت كبد الحوت والثاني بالسبانخ، ولا شيء منهما محبوب في حضانتنا. فقد أمر في وقت سابق -قبل أن آتي هنا في الحقيقة- أن يسقى كل الأطفال المصابين بفقر الدم، بعوز الدم (يا رب السماء!) مرت هذه الكلمة ثانية! من زيت كبد الحوت، وقد أعطى تعليماته لتنفذها الآنسة سنيث. بدأ البارحة، بطريقته الاسكتلندية الشكاكة، يتسقط الأخبار ليعرف سبب عدم ازدياد وزن الصغار المساكين بالسرعة التي قدرها، فاكتشف فضيحة شنيعة. لم يتلق الصغار نفحة من زيت كبد الحوت لثلاثة أسابيع كاملة! وانفجر غاضبًا تلك اللحظة، وساد الهرج والإثارة والجنون.

قالت بتسي إنها اضطرت لإرسال سادي كيت إلى غرفة الغسيل

في مهمة مرتجلة، لأن لغته لم تكن ملائمة لأسماع يتيم. لكنه كان قد رحل حين وصلت إلى الدار، وقد انزوت الآنسة سنيث إلى غرفتها نائحة، مع بقاء مكان الزجاجات الأربع عشرة لزيت كبد الحوت مجهولًا. لقد اتهمها بأعلى صوته بأخذ الزجاجات لنفسها. تخيلي الآنسة سنيث -التي تبدو بريئة ومسالمة وجبانة جدًا- تسرق زيت كبد الحوت من الأيتام الصغار العاجزين وتتجرعه سرًا!

كان دفاعها تأكيدات هستيرية أنها تحب الأطفال، وأنها تؤدي واجبها كما تراه. وليست تؤمن بإعطاء دواء للأطفال، لأنها ترى أن العقاقير ضارة ببطونهم الصغيرة المسكينة. فتخيلي كيف كان ساندي! يا إلهي، يا إلهي! حين أتذكر أن ذلك فاتني!

حسن، دامت العاصفة لثلاثة أيام، وقد أجهدت سادي كيت ساقيها وهي تحمل الرسائل اللاذعة بيننا وبين الطبيب. وأنا لا أتواصل معه عبر الهاتف إلا تحت الضغط الشديد، نظرًا لتدخل مدبرة منزله العجوز السليطة اللسان، التي تتسمع من هاتف الطابق السفلي، لا أريد للأخبار الكارثية لملجأ جون غرير أن تنتشر. طالب الطبيب بتسريح فوري للآنسة سنيث، فرفضت. أعلم طبعًا أنها امرأة كبيرة وغامضة ومشتتة وغير كفؤة، لكنها تحب الأطفال حقًا وستكون مفيدة مع المراقبة المناسبة.

لا يمكنني صرفها بفضيحة مثل طاهية مخمورة، نظرًا لعلاقاتنا مع عائلتها رفيعة الشأن، وآمل أن نتمكن مع الوقت من تسريحها بتلميح لطيف، فقد أجعلها تشعر أن صحتها تتطلب قضاء شتاء

في كاليفورنيا. بالإضافة أن على المرء أن يأخذ الجانب الآخر، دون اكتراث لما يريده الطبيب، لأسلوبه المتسلط المستبد الذي يفتقر للاحترام. فإن قال إن الأرض مدورة، فسأقول على الفور إنها مثلثة.

وأخيرًا، انتهى الأمر بعد ثلاثة أيام مضنية جدًا. فقد أُنتزع من الطبيب اعتذار (واهن) لأنه كان شديد القسوة على السيدة المسكينة، كما أُخذ منها اعتراف كامل ووعود مستقبلية. وقد تبين أنها لم تحتمل إعطاء الصغار ذلك الشيء، لكنها لم تجرؤ على معارضة الطبيب مكراي، لسبب ما، فاختارت إخفاء الزجاجات في زاوية مظلمة في القبو. ولا أدري كيف كانت تخطط للتخلص من غنيمتها. هل يمكن رهن زيت كبد الحوت؟

لاحقًا

انتهت محادثات السلام بعد ظهر اليوم، وقد خرج ساندي خروجًا مشرفًا، حين أبلغت بوصول المبجل سايرس وايكف. إن مقابلة عدوين في غضون ساعة كثير جدًا!

أعجب المبجل سايرس للغاية بغرفة الطعام الجديدة، خاصة حين سمع أن بتسي هي التي رسمت هذه الأرانب بيديها البيضاوين مثل زنبقتين. وقال إن طباعة الأرانب على الجدران مهنة ملائمة للمرأة، إلا أن وظيفة إدارية كوظيفتي ما هي إلا عبث خارج مملكتها. ويرى لو أن السيد پندلتن لم يمنحني هذه المساحة من الحرية في إنفاق ماله لكان أكثر حكمة.

وقع ارتطام مروع في غرفة المؤن، حين كنا نتأمل جدارية بتسي، ووجدنا غلاديولا ميرفي تنوح على حطام خمس أطباق صفراء. إن سماع هذه الارتطامات مثير للأعصاب كفاية حين أكون وحدي، لكنها تكون مثيرة للأعصاب إلى حد بعيد حين يزورنا وصي قاسٍ.

سأعمل على حفظ طقم الصحون ذلك بأقصى قدرتي، لكن إن كنت تودين رؤية هديتك كاملة بكل جمالها البكر، فأنصحك بالتوجه سريعًا نحو الشمال وزيارة ميتم جون غرير دون تأخير.

المخلصة للأبد،

سالي.

السادس والعشرون من مارس

عزيزتي جودي

أجريت قبل قليل مقابلة مع امرأة تريد أخذ طفل معها إلى البيت لتفاجئ زوجها. وقد قضيت وقتًا عصيبًا في إقناعها أنه قد يكون من المناسب التشاور معه في أمر التبني، نظرًا لأنه هو من سيعول الطفل. فجادلت بعناد قائلة إن ذلك ليس من شأنه، ما دام الجزء المرهق من مهام الغسيل والكساء والتربية سيقع على كاهلها. بدأت أشعر بالأسى لحال الرجال حقًا، إذ يبدو أن بعضهم يتمتعون بالقليل جدًا من الحقوق.

وأظن أن طبيبنا المشاكس ضحية لتسلط منزلي، وأتهم مدبرة منزله بذلك. فالطريقة التي تهمل بها ماغي مكرك الرجل المسكين شنيعة. علي أن أجعله في حماية يتيم. سادي كيت، بطبع ربات البيوت، تجلس في هذه اللحظة مقاطعة ساقيها على بساط الموقد وتخيط أزرار معطفه في حين أنه في الأعلى يعالج الأطفال.

ربما لا تصدقين ذلك، لكننا نصبح أنا وساندي صديقين بطريقة اسكتلندية صارمة. فقد صار من عادته حين يكون متجهًا لبيته بعد نهاية عمله في العيادة، أن يقرع بابنا الساعة الرابعة بعد الظهر، ويتجول في أنحاء الدار ليتأكد أننا لسنا مصابين بمرض الكوليرا،

أو نقتل الرضع أو أي شيء معدٍ، ثم يظهر في الرابعة والنصف أمام باب مكتبتي للحديث عن بعض المشاكل المشتركة.

هل يأتي لرؤيتي؟ أوه، كلا طبعًا، إنه يأتي ليشرب الشاي ويتناول شرائح الخبز بالمربى. للرجل قوام نحيل وجائع، لا يبدو أن مدبرة منزله تطعمه ما يكفي، وحالما تتهيأ لي سلطة أكبر عليه فسأحثه على الثورة.

أما في الوقت الراهن فهو ممتن لعثوره على ما يأكله، لكنه مضحك في محاولاته أن يكون كيسًا في الزيارات الودية! يحمل في البداية كوب الشاي في يد، وصحنًا من الكعك في اليد الثانية، ثم يبحث بغباء عن يد ثالثة ليأكل بها. وقد حل المشكلة فهو يرفع أصابع قدميه ويلاصق ركبتيه ثم يطوي منديله في شكل مثلث طويل ضيق ليملأ الفراغ بين الركبتين، فيصنع بذلك ما يشبه الحِجر العملي، ثم يجلس بعدها بعضلات مشدودة حتى ينتهي من شرب الشاي. أظن أن علي تقديم طاولة، لكن رؤية ساندي بأصابع قدميه المرفوعة هي لمحة التسلية الوحيدة التي يمنحها لي يومي.

ها قد وصل ساعي البريد، وأظن أن هناك رسالة منك. إن الرسائل استراحة ممتعة من رتابة حياة الملجأ. إن أردت إبقاء هذه المشرفة راضية فعليك أن تكتبي كثيرًا.

وصلني البريد ونظرت في المحتوى.

انقلي شكري لجيرفِس من فضلك على التماسيح الثلاثة في المستنقع. فقد أظهر ذائقة فنية نادرة في اختيار بطاقاته البريدية.

وصلت رسالتك ذات الصفحات السبع والرسومات التوضيحية من ميامي في الوقت نفسه. استطعت تمييز جيرفِس من شجرة النخيل بوضوح دون الحاجة إلى الإشارة، نظرًا لأن للشجرة شعرًا أكثر بكثير منه. كما أنني تلقيت رسالة مهذبة يومية من رجلي الشاب في واشنطن، وكتابًا منه بالإضافة إلى صندوق حلوى. أما كيس الفول السوداني فقد شحن بالقطار السريع، هل عرفت يومًا مجاملة كهذه؟

يدعمني جيمي بقوله إنه قادم لزيارتي حالما يستطيع أبي الاستغناء عنه في المصنع. إن الولد المسكين ليكره المصنع حقًا! لكن ذلك لا يعني أنه خامل، بل يعني أنه لا يبالي ببدلات الورش ببساطة. لكن أبي لا يفهم قلة الذوق هذه، وبما أنه أسس المصنع فلا شك أنه نمى حبًا لبدلات الورش الذي لا بد أن يورث لابنه البكر. أرى أن الأمر مريح للغاية أنني ولدت أنثى، ولا يطلب مني أن أحب بدلات الورش، لكنني تركت حرة للعمل في أي مهنة كئيبة أختارها، كهذه مثلًا.

لنعد إلى بريدي، لقد وصلني إعلان من بدال بالجملة يقول إن لديه أنواع اقتصادية للغاية من الشوفان والأرز والدقيق والبرقوق والتفاح المجفف، التي يعدها خصيصًا للسجون والمؤسسات الخيرية. يبدو ذلك مغذيًا أليس كذلك؟

كما وصلتني رسائل من عدد من المزارعين، يطلب كل منهم فتى قويًا صلبًا في الرابعة عشرة لا يخاف العمل، وهدفهم منحه منزلًا

لائقًا. تظهر هذه المنازل اللائقة بكثرة حين يقترب غراس الربيع. وحين تحققنا من أحدها الأسبوع الماضي، أجاب الكاهن في جواب على سؤالنا «هل يملك أي عقار؟»، فقال بأسلوب حذر: «لا بد أنه يملك مفك براغي».

لا يمكن الوثوق بالمنازل التي تحققنا منها، فقد وجدنا عائلة ريفية موسرة الحال جدًا ذلك اليوم، تعيش مكومة معًا في ثلاث غرف من أجل إبقاء بقية منزلهم الجميل نظيفًا. والفتاة التي بعمر الرابعة عشرة التي يودون تبينها، وهي ستكون بالمناسبة خادمة زهيدة الأجر، كانت ستنام في الغرفة الصغيرة نفسها مع أبنائهم. وكانت غرفة الطعام/ المطبخ/ الردهة مزدحمة دون منفذ للهواء أكثر من أي مبنى سكني في المدينة رأيته في حياتي، وكان مؤشر ميزان الحرارة يقف عند ثمانٍ وأربعين درجة. لا يمكن للمرء أن يقول إنهم يعيشون هناك، بل بالأحرى كانوا يُطهون. ثقي أنهم لن يحصلوا على أي فتاة من فتياتنا!

لقد وضعت قانونًا لا يخرق، أما القوانين الأخرى فهي مرنة. لا يُسرح طفل ما لم تكن العائلة المتقدمة قادرة على تقديم مزايا أكثر مما نقدم، أعني أكثر مما سنستطيع أن نقدم في غضون بضعة أشهر، حتى نصبح المؤسسة النموذجية التي نرغب فيها. وعلي الاعتراف أننا ما زلنا سيئين في الوقت الراهن.

لكن على أية حال، أنا نيّقة للغاية فيما يتعلق بأمر المنازل، وأرفض ثلاثة أرباع المتقدمين.

لاحقًا

لقد أدى غوردن خدمة جليلة لصغاري، فكيس الفول السوداني مصنوع من القنب، ويبلغ ارتفاعه ثلاث أقدام.



هل تذكرين حلوى الفول السوداني وسكر القيقب التي كانت تقدم لنا دومًا في الكلية؟ كنا نسد أنوفنا لكننا نأكل. أنا أفرضها هنا، وأؤكد لك أننا لا نسد أنوفنا، فمن المبهج أن تغذي الأطفال الذين تخرجوا في مدرسة السيدة ليبيت ، وهم ممتنون للنعم الصغيرة على نحو يثير العطف.

ليس لك أن تتذمري لقصر هذه الرسالة.

المخلصة لك،

التي توشك على الإصابة بشدٍّ عضلي،

س. مكب.

ميتم جون غرير
بين إقبال وإدبار، طوال نهار الجمعة

عزيزتي جودي

سيهمك أن تعرفي أنني واجهت عدوًا آخر، وهو مدبرة منزل الطبيب. تحدثت إلى المخلوقة على الهاتف مرات عديدة، ولاحظت أن صوتها لا يتسم باللين، ولا بالنبرة الخفيضة التي تميز سلالة أرستقراطية، لكنني رأيتها اليوم. انعطفت في طريق عودتي من القرية هذا الصباح، ومررت بمنزل الطبيب. واتضح أن ساندي نتاج بيت باللون الأخضر الزيتوني له سقف بعلية وقد أسدلت الستائر. قد يتبادر إلى ذهنك أنه كان يقيم جنازة. لا أتعجب أن بعضًا من مجاملات الحياة قد فرت من الرجل المسكين بطريقة ما. بعد أن تفحصت المنزل من الخارج ملأني الفضول لرؤية إن كان الداخل يماثله.

ولأني عطست قبل الإفطار هذا الصباح خمس مرات قررت أن أستشيره مهنيًا. ولأكن دقيقة فهو طبيب أطفال لكن العطاس شائع لدى كل الأعمار، فصعدت العتبات بجرأة ودققت الجرس.

اسمعي! ما ذلك الصوت الذي يقطع جذلنا؟ ويْ، هذا صوت المبجل سايرس يقترب من الدرج. إن لدي رسائل لأكتبها ولا

يمكنني احتمال كلامه الفارغ. لذا دفعت جين إلى الباب وأمرتها أن تنظر في عينيه بحزم وتقول إنني لست موجودة.

★★★★★★★★

لنواصل الرقص! لندع الفرح يستمر، فقد ذهب.

لكن هذه النجوم الثمانية تجسد الدقائق البغيضة الثماني التي قضيتها في العتمة داخل خزانة مكتبتي. تلقى المبجل سايرس قول جين بتصريح لطيف بأنه سيجلس وينتظر، وقد دخل وجلس. لكن هل تركتني جين أذوي في الخزانة؟ كلا، فقد حثته على الذهاب إلى الحضانة لرؤية الفعل الشنيع الذي ارتكبته سادي كيت. والمبجل سايرس يهوى رؤية الأفعال الشنيعة، وخاصة تلك التي ترتكبها سادي كيت. ولست أدري أي فضيحة ستفشيها جين، لكن ذلك لا يهم، المهم أنه رحل.

أين كنت أنا؟ أوه، أجل، ضغطت جرس باب الطبيب.

فتحت الباب امرأة ضخمة قوية رافعة كميها، كانت تبدو جادة بأنفها الشبيه بأنف الصقر وعينيها الرماديتين الباردتين.

«حسن؟»، قالت بنبرة تفترض أنني عاملة شركة تنظيف.

«صباح الخير»، ابتسمت بكياسة وخطوت للداخل، «هل أنت السيدة مكّركّ؟».

«أنا هي»، قالت، «ألستِ الشابة الجديدة في ملجأ الأيتام؟».

«بلى هذه أنا»، قلت، «هل هو موجود البيت؟».

«ليس موجودًا»، قالت.

«لكن هذا وقت عمله».

«إنه ليس منتظمًا في ذلك».

«عليه أن يفعل»، قلت أنا، «أخبريه من فضلك أن الآنسة مكبرايد جاءت لاستشارته، وتطلب منه المرور بميتم جون غرير بعد ظهر اليوم».

«قطعًا!»، نخرت السيدة مكّركّ، وأغلقت الباب سريعًا حتى أنها أغلقته على طرف تنورتي.

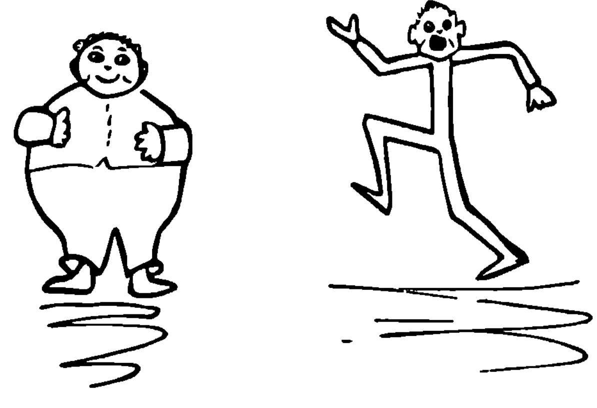
حين أخبرت الطبيب بعد ظهر اليوم، رفع كتفيه وقال إن تلك كانت طريقة ماغي الدمثة.

«ولماذا تتساهل مع ماغي؟»، قلت.

«وأين يمكنني العثور على واحدة أفضل؟»، قال، «إن العمل لرجل عازب يأتي إلى الوجبات عشوائيًا بما يسمح له يوم بأربع وعشرين ساعة ليس عملًا سهلًا. ربما كانت لا تضفي الكثير من المرح على المنزل، لكنها تحسن تدبير عشاء ساخن الساعة التاسعة ليلًا».

لكني أراهن، رغم ذلك، أن وجبات العشاء الساخنة التي تقدمها ليست شهية ولا مقدمة بلطف. فهي عجوز كسولة عاجزة سليطة اللسان، وأعلم لماذا لا تحبني. إنها تتخيل أنني أفكر بسرقة الطبيب وأطردها من وظيفة مريحة، يا لها من طرفة عند التفكير

بالأمر. لكنني لن أبين لها الحقيقة، فذلك سيمنح العجوز شيئًا من القلق. قد تطهو له وجبات عشاء أفضل، وتسمّنه قليلًا، لأنني أعلم أن الرجال البُدن ذوو طبع مرح.



الساعة العاشرة

لست أدري ما السخافات التي كتبتها لك بإقبال وإدبار طوال النهار، بين المقاطعات. لقد حل الظلام أخيرًا، وأنا في غاية التعب لأفعل شيئًا أكثر من حمل رأسي. قصيدتك تخبرك الحقيقة المرة «ليست ثمة متعة في الحياة سوى النوم».

أتمنى لك ليلة طيبة.

س. مكب.

أليست اللغة الإنجليزية عبثية؟ انظري إلى هذه الكلمات الأحادية المقطع التي بلغ عددها أربعين في صف واحد!

م.ج.غ.
الأول من أبريل

عزيزتي جودي

لقد صرفت إيزادور غتشنايدر. أمه الجديدة امرأة سويدية، بدينة وباسمة لها عينان زرقاوان وشعر أشقر. لقد اختارته من بين كل أطفال الحضانة لأنه كان أشدهم سمرة. وقد أحبت دومًا السمر، لكنها لم تتمنَ في أشد أحلامها جموحًا أن يكون لها ابن أسمر. سيتغير اسمه إلى أوسكار كارلسن، تيمنًا باسم عمه الجديد الراحل.

سيقام اجتماع الأوصياء الأول لي يوم الأربعاء القادم، وأعترف أنني لست متشوقة له بفارغ الصبر؛ وبخاصة أن أبرز فقراته سيكون خطابًا افتتاحيًا ألقيه. أتمنى لو أن الرئيس كان هنا ليدعمني! لكني واثقة من أمر واحد على الأقل، أنني لن أتخذ موقف يوريا هيپ[1] الذي اتخذته السيدة ليپيت نحو الأوصياء. بل سأعتبر «الأربعاء الأوَل من كل شهر» مناسبة اجتماعية سارة، حين يجتمع أصدقاء الميتم للنقاش والاسترخاء، وسأجهد في ألا تضايق متعتنا الأيتام. وها أنت ترين كم أتذكر بألم معاناة جيروشا الصغيرة.

---

(١) شخصية من رواية ديڤد كوپرفيلد لتشارلز دكنز، وقد كان لئيماً مختلسًا.

وصلت رسالتك الأخيرة، وليس فيها إلماحة لسفرك شمالًا. ألم يحن الوقت لتيمموا وجوهكم شطر الجادة الخامسة؟ البيت هو البيت لكنه ليس أليفًا أبدًا. ألا تتعجبين من تدفق الاسكتلندية بكثرة من قلمي؟ لقد التقطت بضع كلمات جديدة من تواصلي مع ساندي.

جرس العشاء! أتركك لأكرس نصف ساعة منعشة للحم الضأن المفروم، فنحن نأكل لنعيش في ميتم جون غرير.

الساعة السادسة

عاد المبجل سايرس ثانية، لقد كثرت زياراته للغاية آملًا أن يقبض علي بالجرم المشهود. كم أبغض ذلك الرجل! إنه عجوز وردي اللون بدين منتفخ، وله شخصية وردية بدينة منتفخة. لقد كنت في مزاج سعيد ومتفائل قبل وصوله، لكني لن أفعل شيئًا سوى التذمر لباقي اليوم.

إنه يستهجن كل التجديدات عديمة الجدوى التي أحاول تقديمها، من قبيل غرفة لعب مبهجة، وملابس أجمل، وحمامات وطعامًا أفضل، وهواء نقيًا ولعبًا ومرحًا، ومثلجات وقبلات. يقول إنني سأفسد هؤلاء الأطفال ولن يلائموا المواقع التي خصهم الرب بها في هذه الحياة.

فصعد الدم الإيرلندي في رأسي في تلك اللحظة، وقلت له إن كان الرب قد قضى على هؤلاء ليكونوا مئة وثلاثة عشر مواطنًا عاجزًا جاهلًا تعسًا فسأعمل على تغيير ذلك! وإننا لسنا نربيهم

على نحو مختلف من طبائعهم، بل نربيهم وفقًا لطبائعهم تربية أكثر تأثيرًا مما يتلقاه الأطفال في الأسرة العادية. ولسنا نحاول إجبارهم على الالتحاق بالكلية إن لم تكن قدراتهم العقلية مناسبة لذلك، كما يحدث لأبناء الأثرياء، كما أننا لا نجبرهم على العمل بعمر الرابعة عشرة إن كانوا طموحين عادة، كما يحدث لأبناء الفقراء. نحن نراقبهم عن كثب بشكل منفرد ونتحقق من مستوياتهم. فإن أظهر أطفالنا كفاءة ليصبحوا عمالًا في مزرعة أو عاملات في حضانة، فسنعلمهم ليكونوا الأفضل في تلك المهن التي اختاروها. وإن أظهروا ميلًا ليكونوا محامين فسنعمل على جعلهم محامين أمينين أذكياء منفتحين. (إنه هو نفسه محامٍ، لكنه ليس منفتحًا حتمًا).

فنخر حين أنهيت ملاحظاتي، وقلّب شايه بقوة، وعندها اقترحت إضافة قطعة أخرى من السكر، وألقيتها في الفنجان وتركته يحاول تذويبها.

إن اليد الحازمة القوية هي الطريقة المثلى للتعامل مع الأوصياء، وعليك أن تلزميهم حدودهم.

أوه يا إلهي! إن هذه البقعة في الزاوية من صنع لسان سنغاپور الأسود، فهو يحاول إرسال قبلة ودودة إليك. يا لسنغ المسكين، يظن أنه كلب صغير مدلل. أليس من المحزن أن يخطئ الناس في تقدير مهنهم؟ أنا نفسي لست متأكدة دومًا أنني ولدت لأكون مشرفة ميتم.

المخلصة لك حتى الموت،

س. مكب.

مكتب المشرفة

ميتم جون غرير، الرابع من أبريل

آل پندلتن، شاطئ النخيل، فلوريدا.

عزيزيّ السيد والسيدة

لقد صمدت في يوم الزوار الأول لي، وألقيت خطابًا جميلًا على مسامع الأوصياء. قال الجميع، حتى أعدائي، إنه خطاب جميل.

لقد كانت زيارة السيد غوردن هالوك الأخيرة مفيدة للغاية، فقد أخذت منه بعض الاقتراحات حول كيفية جذب انتباه المستمعين.

«كوني مضحكة»، فتحدثت عن سادي كيت وبضع ملائكة آخرين لا تعرفينهم.

«احرصي على إبقاء الخطاب واقعيًا ومناسبًا لمستوى ذكاء مستمعيك»، فنظرت إلى المبجل سايرس ولم أقل البتة شيئًا لا يمكنه فهمه.

«لاطفي مستمعيك»، فألمحت بلطف أن كل هذه الإصلاحات الجديدة كانت بناء على حكمة ومشورة أوصيائنا الذين لا مثيل لهم.

«أسبغي عليه نبرة أخلاقية عالية مع ذرة من التعطّف»، فعرجت على يتم أفراد المجتمع الصغار، وقد كان ذلك مؤثرًا، فقد بكى عدوي!

ثم أطعمتهم الشوكولاته والقشدة المخفوقة وعصير الليمون وشطائر التارتار، وأرسلتهم إلى منازلهم، مبتهجين متهللين، وقد فقدوا شهيتهم للعشاء.

أتحدث عن هذا بإسهاب لأتحدث عن نصرنا، بغية أن أمنحكما مزاجًا سعيدًا قبل أن أعرّج على المحنة المروّعة التي أوشكت أن تفسد الحدث السعيد.

«وحان الآن دور الجزء المرعب المخيف من حكايتي،
وأشعر أنني صرت شاحبًا رويدًا رويدًا
لأنه، حتى في هذا النهار
ورغم اختفاء رائحته
فإنني أرتعد خوفًا كلما أقدمت على تذكره»[١].

لم تسمعا من قبل بتاماس كيهوي الصغير، أليس كذلك؟ لم يسبق لي أن تحدثت عن تاماس لأن الأمر يتطلب الكثير من الحبر والمفردات. إنه ولد قوي المراس، يشبه أباه الصياد القوي العجوز

---

(١) وردت في أغاني باب الشعبية، وهي مجموعة من القصائد الخفيفة كتبها و. ش. غلبرت وصنع رسومها بنفسه، وقد كتبها قبل أن يشتهر بكتابته لأوبرا هزلية مع آرثر سوليفان. في القصيدة الأصلية رغم زوال ألمه بدلًا من رائحته.

-يبدو هذا شبيهًا بأغاني «باب» الشعبية- لكنه ليس كذلك لقد اختلقته أثناء الكتابة.

لا يمكننا نزع الغرائز الضارية الموروثة لدى تاماس، فهو يصيد الدجاجات بالقوس والسهام، ويلاحق الخنازير بالربقة، ويلعب مصارعة الثيران مع الأبقار، وهو مخرب للغاية! لكن أخبث أفعاله وقع قبل ساعة من اجتماع الأوصياء، حين كنا شديدي النظافة والعذوبة والانشغال.

تبين أنه سرق مصيدة فئران من مخزن الشوفان، ووضعها في الغابة، وقد حالفه الحظ كثيرًا صباح البارحة فاصطاد ظربانًا كبيرًا.

كان سنغاپور أول من أبلغ عن الحدث. فقد عاد إلى الدار وتدحرج على البسط بنوبة من الندم لمشاركته في الحدث. وبينما انصرف اهتمامنا إلى سنغ المسكين، كان تاماس يسلخ فريسته بجِدٍّ منزويًا في عرزال الحطب. وثبّت الجلد المسلوخ داخل سترته، وتنقّل به سالكًا دربًا متعرّجًا داخل المبنى، وخبأه تحت فراشه حيث ظن أنه لن يُعثر عليه. ثم توجه -وفقًا لجدول المهام- إلى القبو ليساعد في تجميد المثلجات لضيوفنا. لا بد أنكما لاحظتما أننا حذفنا المثلجات من قائمة الطعام.

وأحدثنا في الوقت القليل المتبقي كل أنواع الإثارة المعاكسة الممكنة، فقد أضرم نوح (رجل التدفئة الزنجي) النار في الأرض في مواضع متقاربة، وبخّرت الطاهية حبوب البن المحترقة في كل أرجاء الدار، ولمّعت بتسي الممرات بالأمونيا، وضمخت الآنسة

سنيث البُسُط بماء البنفسج. وقد أرسلت استدعاء عاجلًا للطبيب الذي جاء ومعه محلول كبير مخلوط من كلوريد الجير[1]. ولكن مع ذلك ظل شبح ضحية تاماس غير المدفونة تطلب الثأر، متفوقًا على أي رائحة أخرى.

كانت أول مسألة نوقشت في الاجتماع إن كان علينا أن نحفر حفرة ولا ندفن فيها تاماس فحسب، بل كامل المبنى الرئيس. ولكما أن تريا كم اضطلعت بالأمر المروّع ببراعة، إن عرفتما أن المبجل سايرس ذهب إلى البيت وهو يختنق ضاحكًا من القصة الطريفة، بدلًا من التذمر من عجز المشرفة الجديدة عن السيطرة على الأولاد.

لنا أسلوب خاص غريب قليلًا!

إلى الأبد،

س. مكبرايد.

(١) مسحوق أبيض ومطهر. يذكر أن الطبيب المجري إغناز بي سيملويس لاحظ أن النسوة اللاتي يضعن المواليد في عيادات مدينة فيينا يعانين معدلات عدوى مرتفعة. ثم أدرك أن طلاب الطب الذين يعالجون النسوة كانوا يشرّحون الجثث أيضًا، ولم يكن هؤلاء يغسلون أيديهم عادة بين العمليات، فأمرهم الطبيب بغسل أيديهم قبل كل عملية بمحلول مخفف من كلوريد الجير، فانخفضت معدلات العدوى. (من موسوعة الاختراعات والاكتشافات – الطب، پول. أ. كوباسا، ترجمة: خليل يوسف سمرين، العبيكان، ص ١٦–١٧).

ميتم جون غرير
الجمعة، والسبت أيضًا

عزيزتي جودي

ما زال سنغاپور يعيش في المرآب، ويحصل كل يوم على حمام معطر بالفينول من تاماس كيهوي. أترقب المستقبل البعيد الذي يصبح صغيري فيه قادراً على العودة.

سيسرك معرفة أنني وضعت خطة جديدة لإنفاق أموالك. إذ نعتزم شراء جزء من أحذيتنا واحتياجاتنا من البقالة والأدوية والطعام من المتاجر المحلية، ليست أسعارها زهيدة تمامًا كالتي يعرضها تجار الجملة، لكنها مع ذلك أسعار مخفّضة، والتعليم الذي سيتحصل من هذه العملية مستحق لهذا الفرق في السعر. وإليك سبب ذلك؛ فقد اكتشفت أن نصف صغاري لا يعرفون شيئًا عن النقود، أو قوتها الشرائية. بل يظنون أن الأحذية، والعصيدة، والتنانير الداخلية القطنية الحمراء، ويخنة لحم الضأن، والسراويل القطنية القصيرة تتساقط من السماء الزرقاء فحسب.

أوقعت الأسبوع الماضي ورقة نقدية خضراء جديدة من محفظتي، فالتقطها قنفذ في الثامنة من عمره وسألني إن كان يستطيع الاحتفاظ بصورة الطائر، (النسر الأمريكي في المنتصف). لم يسبق

لهذا الطفل أن رأى ورقة نقدية في حياته! فأجريت تحقيقًا واكتشفت أن الكثير من الأطفال في هذا الميتم لم يشتروا شيئًا ولم يروا أحدًا يشتري شيئًا. ونحن نخطط عندما يبلغون السادسة عشرة لإخراجهم إلى عالم تحكمه القوة الشرائية للدولارات والسنتات! يا إلهي! فكري بالأمر! لا يفترض بهم أن يحيوا حياة آمنة يعتني بهم أحد للأبد، بل عليهم أن يعرفوا كيف يستفيدون بأقصى ما يمكنهم من كل بنس يمكنهم كسبه.

لقد فكرت بالأمر مليًا ذات ليلة، وأثناء استراحتي، وذهبت إلى القرية في الساعة التاسعة من الصباح التالي. وعقدت لقاء مع سبعة من ملاك المتاجر، ووجدت أربعة منهم منفتحين ومتعاونين، واثنين مرتابين، وواحدًا غبيًا غباء واضحًا. فبدأت مع الأربعة؛ أصحاب متاجر البقالة والبدالة والأحذية والقرطاسية، وردًا على طلبياتنا الكبيرة منهم، جعل الباعة من أنفسهم وموظفيهم معلمين لصغاري، الذين يذهبون إلى المتاجر ويتفقدون السلع ويدفعون لمشترياتهم بنقود حقيقية.

تحتاج جين مثلًا لفة من خيوط الحرير الزرقاء وياردة من المطاط، فذهبت فتاتان وقد ائتمنتا على ربع فضي، يدًا بيد إلى متجر السيد ميكر. لقد تفحصتا الحرير بعناية دقيقة، وراقبتا الموظف بغيرة وهو يقيس المطاط ليتأكدا أنه لا يمطه. ثم أعادتا ستة سنتات وتلقتا شكري وثنائي، وعادتا إلى الصف متوهجتين بإحساس النجاح.

ألا ترين هذا محزنًا؟ يعرف الأطفال بعمر العاشرة أو الثانية

عشرة تلقائياً الكثير من الأمور التي لا تعرفها فراخنا الصغيرة، غير أن لدي الكثير من الخطط قيد التنفيذ. امنحيني بعض الوقت فقط وسترين. سأخرج إلى العالم في المستقبل القريب صغارًا طبيعيين.

لاحقًا

أمامي أمسية خلية، لذا سأجلس لمزيد من الثرثرة معك.

هل تذكرين الفول السوداني الذي أرسله غوردن هالوك؟ حسن، لقد كنت شديدة الكياسة في شكره، وهذا ما دفعه لمزيد من الجهد. يبدو أنه ذهب إلى محل للدمى، ووضع نفسه بلا تحفظ تحت تصرف الموظف الاستغلالي. لقد أدخل عاملا توصيل قويان إلى ردهتنا الأمامية البارحة صندوقًا مليئًا بحيوانات الفراء الثمينة التي صنعت ليلهو بها أبناء الأثرياء. إنها ليست من النمط الذي كنت سأشتريه لو كنت أنا من سينفق ثروة كهذه، لكن صغاري رأوها مناسبة جدًا للعناق. إذ يأخذ الأطفال إلى الفراش معهم أسودًا وفيلة ودببة وزرافات. هل تظنين أنهم سينضمون جميعهم إلى السيرك حين يكبرون؟

أوه يا إلهي، هذه الآنسة سنيث قادمة لزيارة ودية.

إلى اللقاء

ملاحظة: لقد عاد الابن الضال، ويرسل إليك تحياته المحترمة وثلاث هزات من ذيله.

ميتم جون غرير
السابع من أبريل

عزيزتي جودي

كنت للتو أقرأ كتيبًا حول تربية الفتيات، وآخر حول النظام الغذائي المناسب للملاجئ؛ يتألف من حصص مناسبة من البروتين والدهون والنشويات، إلخ. يمكن للمرء، في عصر العمل الخيري المنظم، أن يدير مؤسسة بالكتيبات التعليمية، فقد صنفت كل مشكلة يمكن أن تطرأ. لا يمكنني أن أفهم لم ارتكبت السيدة ليبيت كل هذه الأخطاء، لأني أفترض أنها تتقن القراءة بلا شك. غير أن ثمة فرعًا هامًا من العمل المؤسسي لم يطرق، وأنا أجمع البيانات حوله بنفسي. سأصدر كتيبًا عن «إدارة الأوصياء والسيطرة عليهم» يومًا ما.

عليّ إخبارك بطرفة عن عدوي؛ ولا أعني المبجّل سايرس، بل عدوّي الأول الأصلي. فقد أقدم على ميدان جديد في سعيه. قال بوقار تام (وكل ما يفعله وقور، فلم يبتسم بعد) إنه كان يراقبني عن كثب منذ وصولي، ورغم أنني لست مؤهلة وغبية ووقحة (كما قال)، فهو لا يرى أنني سطحية كما بدوت له أول مرة، وأتمتع بقوة الرجال في الإمساك بزمام مسألة والاتجاه مباشرة نحو الحل.

أليس الرجال مضحكين؟ إن أرادوا أن يثنوا عليك أعظم ما يستطيعونه من الثناء، أخبروك بسذاجة أن لك عقل رجل. غير أن ثمة إطراء واحدًا لن أقوله له بالمقابل، فلا يمكنني أن أقول إن له سرعة بديهة مثل النساء.

لذا، ورغم أن ساندي يرى أخطائي بوضوح، غير أنه يظن مع ذلك أن بعضها يمكن تصحيحه؛ وقد عزم على الاضطلاع بمهمة تثقيفي من الناحية التي أغفلتها الكلية. إذ على امرأة بمنصبي أن تكون حسنة الاطلاع في كل من علم وظائف الأعضاء، وعلم الأحياء، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الوراثة؛ وأن تعرف الآثار الوراثية لكل من الجنون والعته والكحول، وأن تكون قادرة على اجتياز اختبار بنت[1]، وأن تعرف الجهاز العصبي للضفدع. وقد وضع، مواصلة لما تقدّم، مكتبته العلمية الخاصة التي تحوي أربعة آلاف مجلد تحت تصرفي. وهو لا يكتفي باختيار الكتب التي يريد مني قراءتها فحسب، بل يطرح أسئلة ليتأكد أنني لم أتجاوز الصفحات أيضًا.

كرسنا الأسبوع الماضي لقراءة حياة آل جك[2] ورسائلهم. أنجبت الأم، مارغريت أم المجرمين، قبل ستة أجيال، سلسلة ولادات، وقد أودع عدد من ذريتها،يصل عددهم إلى ألف ومئتين، السجون. العبرة من ذلك؛ مراقبة الأطفال ذوي الأصول السيئة

(١) اختبار ذكاء وضعه عالم النفس بنت وزميله سايمون.

(٢) عائلة دُرست في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ضمن عدد من العائلات الأخرى، لبيان أثر البيئة في الجريمة والمرض والفقر.

بحرص بحيث لا يظل لأحد منهم عذر في أن يكبر ليصبح مثل آل جك.

وحالما فرغنا أنا وساندي من شرب الشاي، اتجهنا إلى كتاب يوم الحساب، وتأملنا صفحاته ببحث دقيق بحثًا عن آباء مدمني الكحول. إنها مهمة مسلية تقضي بها ساعة الشفق بعد فراغك من عمل اليوم.

يا لها من حياة! عودي سريعًا وأنقذيني منها. أتحرق شوقًا للقياك.

سالي.

م.ج.غ
صباح الخميس

عزيزيّ آل پندلتن

تلقيت رسالتكما، وحملت قلمي لأوقفكما. أنا لا أرغب بإعفائي، لقد تراجعت عن ذلك، وغيّرت رأيي. تبدو المرأة التي تعتزمان إرسالها توءمًا مطابقًا للآنسة سنيث. كيف يمكنكما أن تطلبا مني التخلي عن صغاري إلى سيدة لطيفة متوسطة العمر خاملة وواهنة؟ إن التفكير في ذلك ليعتصر قلب الأم.

هل تتصوران أن امرأة كهذه يمكنها الاضطلاع بهذا العمل حتى إن كان مؤقتًا؟ كلا! يتعين أن تكون مشرفة دار كهذه امرأة شابة وصلبة ومفعمة بالحيوية وقوية ونشطة وحمراء الشعر وعذبة الروح مثلي. شعرت بالامتعاض بلا شك -سيشعر بالامتعاض أي امرئ يواجه فوضى كهذه- لكن هذه ما تسمونه أيها المصلحون الاجتماعيون بالامتعاض المبارك. وهل تظنان أنني سأتخلى عن كل الإصلاحات الجميلة التي بدأتها بجدٍّ؟ كلا! لن أبرح مكاني حتى تعثرا على مشرفة تفوق سالي مكبرايد.

غير أن هذا لا يعني أنني أضحّي بحياتي للأبد، لكنني سأفعل بالوقت الراهن فحسب، إلى أن تمضي الأمور بانتظام. حين أرى أن

أوقات غسل الوجه والتهوية والترميم مستمرة، أرى بصدق أنكما اخترتما الشخص الصحيح، وهو أنا. أحب أن أضع الإصلاحات وآمر الناس بتنفيذها.

هذه رسالة فوضوية للغاية، لكني سأنطلق بها في غضون ثلاث دقائق، بغية اللحاق بكما قبل أن توظفا تلك المرأة متوسطة العمر اللطيفة الخاملة الواهنة.

أرجوكما يا سيدتي اللطيفة ويا سيدي اللطيف لا تسرّحاني من العمل! دعاني أمضِ بضعة أشهر أُخَر، وامنحاني فرصة لأظهر لكما ما أجيده، وأعدكما ألا تندما على ذلك.

س. مكب.

م.ج.غ.
بعد ظهر الخميس

عزيزتي جودي، لقد كتبت قصيدة، بل أهزوجة للنصر.

روبن مكراي

ابتسم اليوم

هذا صحيح!

س. مكب.

ميتم جون غرير
الثالث عشر من أبريل

عزيزتي جودي

شعرت بالامتنان حين عرفت أنكما ممتنان لمعرفتكما أنني أنوي البقاء. لم أكن أدرك أنني صرت متعلقة حقًا بالأيتام.

من المحبط جدًا معرفة أن جيرفِس لديه من العمل ما يبقيكما في الجنوب لوقت أطول، فأنا أتوق للحديث، وإنه لعمل مجهد مزعج أن أضطر لكتابة كل ما أود قوله.

أنا سعيدة بالطبع بترميم المبنى، وأرى أن أفكارك جميعًا جيدة، لكني لدي بعض الأفكار الإضافية الجيدة. إذ سيكون من الجميل أن نحظى بصالة رياضية وشرفات للنوم، لكن نفسي تتوق إلى الأكواخ! كلما نظرت في طرق العمل في دار للأيتام، ازددت قناعة أن الأسلوب الوحيد لجعل الدار تضاهي حياة العائلة هو نظام الأكواخ. يجب أن يعتاد الأطفال الحياة العائلية، ما دامت العائلة هي وحدة المجتمع.

إن السؤال الذي يقض مضجعي في الوقت الراهن ما الذي سنفعله بالأطفال في وقت الترميم؟ فمن الصعب أن تعيش في بيت وتعيد بناءه في الوقت نفسه، فما رأيك لو أجّرت خيمة سيرك

ونصبتها على المرج؟

وما دمنا نتحدث عن التغييرات، أود أن يكون لنا أيضًا غرف قليلة للضيوف حيث يمكن استقبال صغارنا فيها عند مرضهم أو تسريحهم من العمل. سيكون السر الأكبر لتأثيرنا المستمر في حياتهم هو الرعاية اللاحقة اليقظة. لا بد أن افتقار المرء لعائلة تحيط به يشعره بالوحدة الشديدة! لا يمكنني تصور الأمر، لأن لي عددًا كبيرًا من الأعمام والعمات والآباء والأمهات والأخوة والأخوات، سأشعر بالذعر والهلع لو لم يكن لدي الكثير من الملاذات التي أهرع إليها. ولا بد أن يوفر ميتم جون غرير بطريقة أو بأخرى حاجة هؤلاء الصغار البائسين. لذا، يا عزيزيّ، أرسلا لي ستًا من غرف الضيوف من فضلكما.

إلى اللقاء، وأنا سعيدة أنكما لم تعينا امرأة أخرى. إن اقتراح استيلاء شخص آخر على إصلاحاتي الجميلة قبل أن تبدأ، حفّز كل العناد الذي لدي. أخشى أنني مثل ساندي، ليس بمقدوري التفكير أن أمرًا ما سينفذ جيدًا ما لم أنفذه بيدي.

المخلصة لك، في الوقت الراهن،

سالي مكبرايد.

ميتم جون غرير
الأحد

عزيزي غوردن

أعلم أنني لم أكتب لك مؤخرًا، ولك كامل الحق في الاستياء، ولكن يا إلهي! يا إلهي! لن تتخيل كم تكون مشرفة دار الأيتام في انشغال. وكل ما أملكه من طاقة الكتابة لا بد من صرفها في الإرسال لجودي أبوت پندلتن النهمة. فإن مضت ثلاثة أيام دون الكتابة إليها، أرسلت برقية لتعرف إن كان الميتم قد احترق، في حين أنك -أيها الرجل اللطيف- ترسل لنا هدية تذكرنا بوجودك، إن لم تصلك رسالة منا. ولذلك فإن من النافع كما ترى أن نغفل إرسال الرسائل كثيرًا.

قد تشعر بالاستياء إن عرفت أنني وعدت بالبقاء هنا. لقد عثرا أخيرًا على امرأة لتحل محلي، لكنها لم تكن مطلقًا الشخص المناسب، وقالت إنها ستحل محلي مؤقتًا فقط. ثم يا عزيزي غوردن، الحق أن وورسستر بدت عديمة الألوان بعض الشيء، حين كنت على وشك أن أودع كل هذا التخطيط والنشاط المحموم. لم أحتمل التخلي عن ميتمي ما لم أتأكد من تبديله بحياة مفعمة بالإثارة بالقدر نفسه.

أعرف البديل الذي ستقترحه، لكن أرجو ألا تفعل، للوقت

الراهن. أخبرتك قبلًا أنني أحتاج بضعة أشهر لاتخاذ القرار، وفي أثناء ذلك أود أن أشعر أن لي فائدة في هذا العالم. ثمة أمر بنّاء ومفعم بالأمل في العمل مع الأطفال، هذا هو الأمر إن نظرت إليه من وجهة نظري المرحة، لا من وجهة نظر طبيبنا الاسكتلندي. لم أر أبدًا أحدًا مثل هذا الرجل؛ فهو متشائم وسقيم ومحبَط دومًا. من الأفضل ألا يكون للمرء معرفة بالجنون وإدمان الكحول، وعني أنا فأنا جاهلة بها بما يكفي لأكون مرحة ونشطة في مكان كهذا.

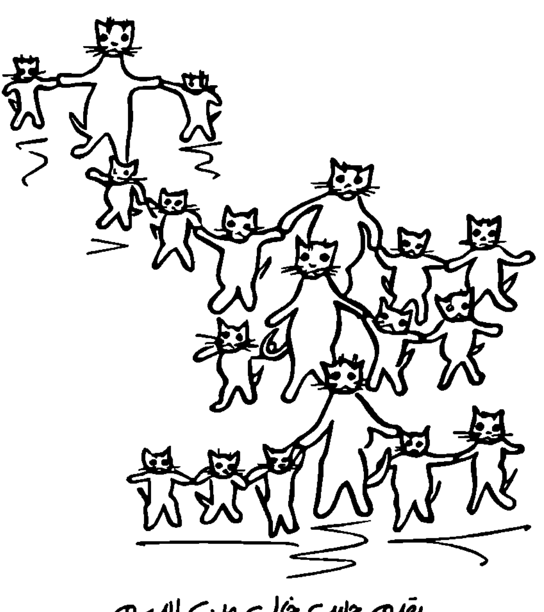
إن التفكير في كل هذه الحيوات الصغيرة التي تتمدد في كل اتجاه ترعبني على الدوام؛ إذ لدينا الكثير من الاحتمالات في حديقة الأطفال هذه التي تضم كل أنواع الزهور. لا شك أنها زرعت بلا تنسيق، ورغم أننا سنجمع بعض الحشائش حتمًا؛ فإننا نأمل أن نقطف بعض البراعم النادرة الجميلة أيضًا. هل صرت عاطفية؟ هذا بسبب الجوع، وها قد انطلق جرس العشاء! سنتناول وجبة شهية؛ لحم العجل المحمر والجزر المطهو بالقشدة، وأوراق الشمندر إلى جانب فطيرة الراوند للتحلية. ألا تود أن تتناول العشاء معي؟ أحب أن أستضيفك.

المخلصة بحب،

س. مكب.

ملاحظة: عليك أن ترى عدد القطط المشردة التي يود أطفالي تبنيها. كان لدينا أربع حين أتيت، وقد أنجبت كلها هررة صغيرة

منذ ذلك الوقت. لم أجر إحصاء دقيقًا لكني أظن أن في الدار تسع عشرة منها.



يقدم حليب خال من الدسم
في عرزال الحطب عند الساعة ١٢

الخامس عشر من أبريل

عزيزتي جودي

هل تودين أن تقدمي تبرعًا صغيرًا آخر لميتم جون غرير، بعيدًا عن الإعانة الباهظة التي أرسلتها الشهر الماضي؟ حسن! هلا نشرت هذا الإعلان من فضلك في كل الصحف اليومية في مناطق الطبقة الفقيرة؟

إعلان!

إلى الآباء الذين يخططون للتخلي عن أبنائهم:
افعلوا ذلك قبل أن يبلغوا الثالثة من فضلكم.

لا أستطيع تصور فعلٍ يقدم عليه الأهل الذي يتخلون عن أولادهم أكثر نفعًا من هذا. إذ سيضمن لك هذا إخماد الشر قبل أن تبدئي بغرس الخير، فالعمل بطيء محبط.

لدينا طفل هنا أوشك على طرحي أرضًا، لكني لن أقر أنني هزمت أمام طفل في الخامسة. إن نوباته تتعاقب بين الكآبة المتجهمة، حين يرفض أن ينطق بحرف، وبين أعنف فورات الغضب، حين يحطم كل شيء في متناول يده. لقد مضى على وجوده ثلاثة أشهر فحسب، وقد حطم في هذا الوقت كل قطعة من التحف في الدار

تقريبًا، رغم أنها ليست خسارة فادحة لقطع فنية بالمناسبة.

قبل أن آتي هنا بشهر أو نحوه جر المفرش من طاولة الناظرة حين كانت الفتاة المراقبة في الممر ترن الجرس. كان الحساء قد قدم، ولك أن تتخيلي الفوضى! كادت السيدة ليبيت أن تقتل الطفل في هذه الحادثة، لكن القتل لم يكن ليجدي نفعًا في تعديل الطباع، فقُدّم إليّ سليمًا.

كان أبوه إيطاليًا وأمه إيرلندية، وله شعر أحمر ونمش مثل أهل مقاطعة كورك[1] وأجمل عينين بنيتين قد أنجبتهما نابولي. وصل إلينا الطفل المسكين بطريقة ما، بعد أن قتل أبوه طعنًا في مشاجرة، وماتت أمه من إدمان الكحول. أظنه ينتمي إلى المحمى الكاثوليكي[2]. أما بخصوص أخلاقه؛ فيا إلهي! يا إلهي! إنها مثلما تتخيلين، فهو يركل ويعض ويشتم، فلقبته بـ«پَنْش»[3].

جيء به البارحة إلى مكتبي وهو يتلوى ويولول، متهمًا بضرب فتاة صغيرة وسلبها دميتها. دفعته الآنسة سنيث ليجلس على كرسي خلفي، وتركته ليهدأ، وواصلت أنا عملي في الكتابة. ثم فجعت فجأة بصوت ارتطام رهيب، فقد دفع حوض الزهور الأخضر الكبير من عتبة النافذة وحطمها إلى خمسمئة قطعة. فقفزت من المفاجأة وانسكبت زجاجة الحبر على الأرض، وحين رأى پَنْش

---

(١) مقاطعة إيرلندية.

(٢) مأوى للعناية بالأحداث المشردين.

(٣) من Punch وتعني يلكم.

هذه المصيبة الأخرى، توقف عن الزمجرة وأرجع رأسه إلى الوراء وانفجر ضاحكًا. هذا الطفل إبليس.

عزمت على تجربة طريقة جديدة في التأديب لا أظنه عرفها في كل حياته البائسة القصيرة. سأرى ما الذي يصنعه الثناء والتشجيع والحب، وعوضًا عن توبيخه لتحطيمه حوض الزهور، افترضت أنه كان حادثًا، وقبلته وأخبرته ألا يستاء، فأنا لا أهتم لأمر الحوض. لقد صدمه ذلك فهدأ، وحبس أنفاسه وحدق بي وأنا أمسح دمعه وأجفف الحبر.

يعد الطفل حاليًا أكبر مشكلة يواجهها ميتم جون غرير، فهو بحاجة لرعاية خاصة محبة وصبورة، وأب وأم مناسبين، بالإضافة إلى بعض الأخوة والأخوات وجدة. لكنني لا أستطيع وضعه في عائلة محترمة حتى أتمكن من تقويم لغته ونزعته لتحطيم الأشياء. لقد عزلته عن بقية الأطفال، ووضعته في مكتبي طوال الصباح، وقد رفعت جين كل التحف الفنية القابلة للكسر إلى ارتفاع مناسب. من حسن الحظ أنه يهوى الرسم، فجلس على البساط لساعتين، وشغل نفسه بالأقلام الملونة. وقد غلبت عليه الدهشة الشديدة حين أبديت اهتمامي بقارب العبور ذي اللونين الأخضر والأحمر، والعلم الأصفر الذي يرفرف من الصارية، فصار دمثًا للغاية. ولم أتمكن من استنطاقه حتى تلك اللحظة.

زارنا الطبيب مكراي بعد الظهر وأثنى على الزورق، فانتفخ پَنْش من الزهو بإبداعه. ثم اصطحبه الطبيب بسيارته، في عيادته

لمريض في الريف مكافأة له على حسن سلوكه.

أعاد الطبيب پَنْش إلى المأوى الساعة الخامسة، وهو [الطبيب] أكثر حزنًا ووجومًا. فقد رجم پَنْش الدجاجات في منزل ريفي وقور، وحطم المنبت الزجاجي، ولوّح بقط أنغورا ممسكًا به من ذيله. ثم حين حاولت السيدة المسنة اللطيفة أن تجعله يعطف على الهر المسكين، قال لها أن تذهب إلى الجحيم.



صغيرنا پنْش يذهب في زيارة

لا أحتمل التفكير بما رآه بعض هؤلاء الأطفال وعانوه. سيستغرق الأمر سنوات من المرح والسعادة والحب لاجتثاث الذكريات المروعة التي خزنوها في الزوايا البعيدة من عقولهم الصغيرة. ثم إن لدينا الكثير من الأطفال، والقليل منا ولا يمكننا أن نعانقهم بما يكفي، فليس لنا أذرع وحجور تكفيهم.

لكن دعينا نتحدث عن أمور أخرى! لقد بدأت تثير غضبي أيضًا تلك المسائل البغيضة المتعلقة بالوراثة والبيئة التي يطرحها الطبيب كثيرًا، وهي عادة سيئة. إن كان المرء يود أن يكون مفيدًا في مكان كهذا، فعليه ألا يرى شيئًا سوى الخير في هذا العالم؛ لأن التفاؤل هو العتاد الوحيد للناشط الاجتماعي.

«إنه منتصف الليل حسب ساعة القلعة»، هل تعرفين من أي قصيدة يأتي هذا البيت الجميل؟ «كريستابل»[1]. يا إلهي! كم كرهت هذه المادة! أما أنت فقد أحببتها لأنك بارعة في الإنجليزية، لكنني لم أكن أفقه كلمة منذ اللحظة التي أدخل فيها الفصل حتى مغادرتي له. على أية حال، الملاحظة التي بدأت بها هذه الفقرة صحيحة، فهو منتصف الليل وفقًا لساعة رف الموقد، لذا أتمنى لك أحلامًا حلوة.

إلى اللقاء!

سالي.

(١) قصيدة لساموئيل تايلر كولريج.

الثلاثاء

عدوي اللدود

لقد عالجت الدار بأكملها، ومشيت متجاوزًا غرفة مكتبي رافعًا أنفك، في حين أنني جهزّت لانتظارك الشاي مع صحن من الكعكات الاسكتلندية المسطحة على الطاولة، أمرت بإعدادها من أجلك عربون صلح.

إن كنت مستاء حقًا فسأقرأ كتاب كاليكاك[1]، لكن عليّ إخبارك أنك ترهقني حتى الموت. إن الرغبة في أن أكون مشرفة مؤثّرة تستنزف طاقتي كلها، وأجد هذا التعليم ما بعد الجامعي الذي تقدمه منهكًا. هل تذكر كم كنت ساخطًا الأسبوع الماضي لأني اعترفت أنني ظللت مستيقظة حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل؟ حسن، يا رجلي العزيز، إن كان علي إنجاز كل القراءات

(١) آل كاليكاك؛ دراسة في وراثة البله، كتاب لعالم النفس الأمريكي هنري غودرد. «تنحدر عائلة كاليكاك من مارتن كاليكاك وفتاة مخبولة، وتضم ذريتهما -التي بلغ عددها أربعمئة وثمانين شخصًا- ثلاثة وثلاثين شخصًا منحلًا أخلاقيًا وجنسًا، وأربعة وعشرين مدمنًا موثقًا، وثلاثة يعانون الصرع، ومئة وثلاثة وأربعين معتوهًا. تزوج الشخص نفسه من فتاة عادية من جماعة الكواكر البروتستانتية، وأنجبا ذرية بلغ عددها أربعمئة وستة وتسعين شخصًا ولم تسجل فيها حالة عقلية واحدة». (من كتاب إعادة المحاكمة: القصة الخفية لقضية دوفر، جون بول ود. مايكل بيهي، ترجمة سارة بن عمر، مركز براهين للأبحاث والدراسات، الطبعة الأولى ٢٠١٧ ص١٢١).

الإضافية التي تطلبها، فعلي أن أظل ساهرة حتى الصباح كل ليلة.

اجلبه على أية حال. أتمكن عادة من ادخار نصف ساعة للاستراحة بعد العشاء، ورغم أنني وددت لو ألقيت نظرة على رواية ويلز[1] الأخيرة، فإنني سأسلي نفسي عوضًا عن ذلك بالقراءة عن عائلة المعتوهين.

إن الحياة شديدة الثقل مؤخرًا.

المخلصة بصدق،

س. مكب.

---

(١) هربرت جورج ويلز: ١٨٦٦-١٩٤٦، روائي وكاتب قصص قصيرة بريطاني أشهر أعماله الرجل الخفي وآلة الزمن.

ميتم جون غرير
السابع عشر من أبريل

عزيزي غوردن

شكرًا لإرسالك زهور الخزامى، وزنابق الوادي أيضًا. إنها تتماشى كثيرًا مع آنيتي الفارسية الزرقاء.

هل سمعت يومًا بآل كاليكاك؟ احصل على الكتاب واقرأ عنهم. إنهم عائلة لها فرعان في نيوجيرسي، كما أظن، رغم أن اسمهم الحقيقي وأصولهم قد أخفيت بمهارة. على أية حال، وما سأقوله لك الآن حقيقي. ذات ليلة قبل ستة أجيال، ثمل شاب، سمي بمارتن كاليكاك حفاظًا على السرية، وتزوج لوقت قصير من نادلة حانة مختلة العقل، فأنجبا سلسلة طويلة من الكاليكاكيين مختلي العقول، من المخمورين، والمقامرين، وبائعات الهوى، وسارقي الأحصنة، وكانوا بلاء على نيوجيرسي والولايات المحيطة.

قوّم مارتن اعوجاجه في وقت لاحق، وتزوج من امرأة عادية، وأنجبا سلسلة ثانية من الكاليكاكيين المحترمين، من قضاة وأطباء ومزارعين وأساتذة وسياسيين، كانوا فخرًا لبلادهم. وما زال الفرعان يزدهران جنبًا إلى جنب. لك أن ترى النعمة التي كانت ستحظى بها نيوجيرسي لو حدث مكروه لنادلة الحانة المختلة العقل

تلك في طفولتها.

تبين أن اختلال العقل سمة وراثية، ولم يستطع العلم أن يتغلب عليها. ولم تكتشف عملية لزرع الذكاء في رأس طفل ولد مفتقرًا إليه. ويكبر الطفل ويكون عقله عقل طفل في التاسعة من العمر في جسد شخص في الثلاثين مثلًا، فيصبح أداة سلسة في يد أي مجرم يلتقيه. إن ثلث نزلاء سجوننا هم من مختلي العقول. ويتعين على المجتمع أن يعزلهم في مزارع لمختلي العقل، حيث يمكنهم أن يكسبوا عيشهم من أعمال الخدمة، وألا ينجبوا. ثم يمكننا محو آثارهم في جيل أو نحوه.

هل كنت تعرف كل هذا؟ إنها معلومات هامة للغاية لأي سياسي. احصل على الكتاب واقرأه من فضلك، كنت سأرسل لك نسختي لولا أنها مستعارة.

كما أنها معلومات مهمة لي أيضًا، إذ لدينا أحد عشر طفلًا أشك بأمرهم قليلًا، إلا أنني متأكدة من حالة لوريتا هِغنز. فقد قضيت شهرًا أو نحوه وأنا أحاول أن أزرع فكرة أو فكرتين بسيطتين في دماغ هذه الطفلة، وقد عرفت السر الآن؛ إن رأسها محشو بمادة رخوة سخيفة بدلًا من الدماغ.

لقد أتيت هنا لتحسين هذا الملجأ من خلال تفاصيل صغيرة؛ من قبيل الهواء النقي والطعام والثياب والمرح، ولكن يا إلهي! ها أنت ترى المشكلات التي أواجهها. علي أن أبدل المجتمع أولًا فلا يرسل لي أطفالًا نصف طبيعيين لأعمل معهم. اغفر لي كل هذا الحديث الحماسي، لكني مررت لتوي بموضوع اختلال العقل،

فوجدته مخيفًا ومثيرًا. إن من مهامك بوصفك مشرّعًا أن تصوغ قوانين من شأنها محو اختلال العقل من العالم. اهتم بهذا من فورك رجاء.

وتقبل امتناني،

س. مكبرايد.

مشرفة ميتم جون غرير

الجمعة

عالمِي العزيز

لم تأت اليوم، وأرجو ألا تتجاوزنا غدًا. لقد أنهيت كتاب آل كاليكاك وأتوق للحديث. ألا ترى أن علينا إحضار طبيب نفسي لفحص هؤلاء الأطفال؟ نحن ندين بذلك للأهل الراغبين بالتبني لئلا نثقل عليهم بذرية مختلة العقول.

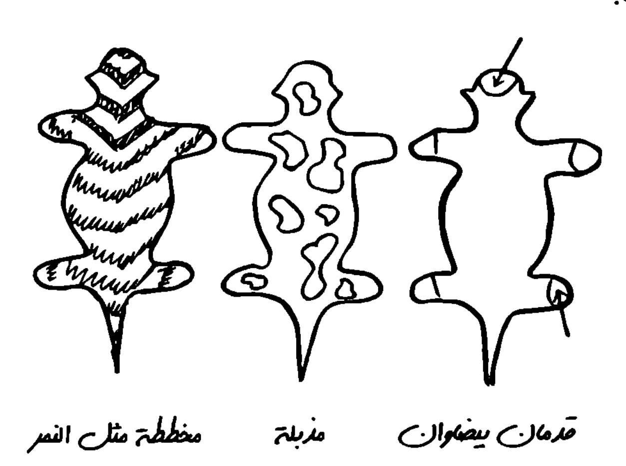
أتدري؟ أود أن أطلب منك أن تصف لنا الزرنيخ علاجًا لزكام لوريتا، فقد شخصت حالتها وتبين أنها كاليكاك. هل من الصواب أن نتركها تكبر ثم تنجب سلسلة من ٣٧٨ شخصًا ليعتني بهم المجتمع؟ يا إلهي! إني أكره تسميم الطفلة، ولكن ماذا أفعل؟

س. مكب.

عزيزي غوردن

ألست مهتمًا بالمختلين عقليًا، ويدهشك أن تعرف أنني كذلك؟ حسن، أنا مندهشة مثلك لأنك لست مهتمًا. إن لم تكن مهتمًا بكل ما يتعلق بأمر من هذا القبيل موجود في العالم، فكيف بإمكانك إصدار قوانين حصيفة؟ لا يمكنك.

علي أية حال، وبناء على طلبك سأنتقل إلى موضوع أقل رعبًا. لقد اشتريت خمسين ياردة من شرائط الشعر ألوانها الأزرق والزهري والأخضر والأصفر بلون الذرة، هدية عيد الفصح لخمسين فتاة صغيرة. كما أنني أفكر بإرسال هدية عيد الفصح لك. ألن تسرك هرة صغيرة ممتلئة؟ يمكنني أن أقدم لك أي واحدة من هذه الأشكال الثلاثة:



يتوفر الرقم ٣ بعدد من الألوان؛ الرمادي والأسود والأصفر. إن أعلمتني أيها تفضل، فسأرسلها لك حالًا.

كنت سأكتب رسالة محترمة، غير أن وقت الشاي قد حان وأرى أن لدي ضيفًا يقترب.

إلى اللقاء!

س. مكب.

ملاحظة: ألا تعرف شخصًا يرغب بتبني ولد صغير جميل، له سبع عشرة سنًا جديدة جميلة؟

العشرون من أبريل

عزيزتي جودي

الواحدة ببنس، الاثنتان ببنس، تعالوا إلى كعكات الفاكهة اللذيذة الساخنة[1]! تلقينا مئة وعشرين هدية في الجمعة العظيمة، مقدمة من السيدة دو بيستر لامبر، امرأة كاثوليكية متدينة التقيتها على الشاي قبل بضعة أيام. (من يرى الآن أن حفلات شرب الشاي مضيعة للوقت؟) لقد سألتني عن «لقطائي الصغار الغالين»، وقالت إنني أؤدي عملًا نبيلًا وسأجازى على ذلك. لقد رأيت في عينيها رغبة في تناول الكعك، فجلست وتحدثت إليها لنصف ساعة.

وعلي الآن الذهاب إليها وشكرها شخصيًا، وأخبرها بكثير من التفاصيل المؤثرة عن مدى تقدير صغاري الغالين للكعكات، متجاهلة المرات التي رمى فيها پَنْش كعكته على الآنسة سنيث، وألصقها بعينها بدقة. أظن أن السيدة دو بيستر لامبر يمكن أن تصبح، بقليل من التشجيع، واهبة سعيدة.

أوه، أنا أتحول إلى متسولة مخجلة! لن تجرؤ عائلتي على زيارتي، لأني أطلب البقشيش بأسلوب رقيع كهذا. فقد هددت بمحو اسم

---

(١) كعكات صغيرة تزين بشكل صليب أبيض وتباع في عيد الفصح. وهذا السطر من أغنية معروفة، كما أنها قد تدل على وفرة الشيء أيضًا.

أبي من قائمة الزيارات ما لم يرسل لي من فوره خمسًا وستين بدلة من بدلات الورش لبستانيّ الواعدين. وصلني إشعار هذا الصباح يطلب مني استلام حاويتين مرسلتين من شركة ج. ل. مكبرايد في وورسستر، فاعتبرت أن أبي يأمل أن أحافظ على صلة القربى. أما جيمي فلم يرسل إلينا شيئًا بعد، وهو يحصل على أجر كبير. كثيرًا ما أكتب له قائمة مثيرة للشفقة بحاجاتنا.

لكن غوردن هالوك عرف الطريق إلى قلب الأم. فقد كنت مسرورة بالفول السوداني ومجموعة دمى الحيوانات، حتى إنه يرسل هدية ما كل بضعة أيام، فأقضي وقتي كله في كتابة رسائل الشكر التي لا تكون مطابقة تمامًا للتي أرسلتها قبلًا. تلقينا الأسبوع الماضي اثنتي عشرة كرة قرمزية، وقد امتلأت بها الحضانة، إذ تركلينها أمامك كلما مشيت. كما وصل البارحة نصف بوْشل من الضفادع والبطات والأسماك التي تطفو في أحواض الاستحمام.

فأرسلا، يا أفضل الأوصياء، أحواض الاستحمام لنجعلها تطفو بها!

أنا، كالمعتاد،

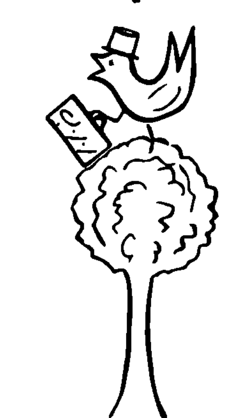
س. مكبرايد.

الثلاثاء

عزيزتي جودي

لا بد أن الربيع يختبئ في مكان ما، فالطيور تعود من الجنوب. ألم يحن الوقت لتحذي حذوها؟





أخبار المجتمع في صحيفة الطيور المهاجرة:

«عاد السيد والسيدة الغراب الأول من رحلتهما إلى فلوريدا، ويُأمل أن السيد والسيدة جيرفِس پندلتن سيصلان قريبًا».

وحتى في مقاطعة دَتشس البطيئة، يفوح النسيم برائحة الخضرة، ويجعلك راغبة بالخروج والابتعاد والتجول على التلال، أو أن تجثمي على ركبتيك وتعزقي التربة. أليست طريفة غريزة الزراعة هذه التي يوقظها الربيع الناشئ في أكثر الشخصيات تمدنًا؟

قضيت الصباح أعد الخطط ليكون لكل طفل تجاوز التاسعة حديقة صغيرة خاصة به. وقد استولينا على حقل البطاطا الكبير، لأنه البقعة الوحيدة الصالحة لتقسيمها إلى اثنتين وستين حديقة خاصة. كما أنها قريبة بما يكفي للإطلالة عليها من النوافذ الشمالية، وبعيدة بما يكفي في الآن نفسه بحيث لا تؤذي فوضاها منظر مرجنا النفيس. والتربة خصبة أيضًا، ولهم أمل بالنجاح. فلا أريد للصغار المساكين أن يعزقوا طوال الصيف ثم لا يجنون أي كنز في النهاية. وسأعلن أن الدار ستشتري منتوجاتهم وتدفع نقودًا حقيقية، بغية منحهم دافعًا، رغم أنني أتنبأ بأننا سندفن تحت جبل من الفجل.

وأود أيضًا أن أعزز الاعتماد على الذات وروح المبادرة في هؤلاء الأطفال، وهما سمتان أساسيتان يفتقر الأطفال إليهما افتقارًا واضحًا (باستثناء سادي كيت وبضعة أشقياء آخرين). أعتبر الأطفال الذين يتمتعون بنزعة للشر واعدين جدًا، بعكس أولئك الصالحين بسبب خمولهم فقط فهم المحبطون.

قضينا الأيام القليلة الماضية في استخلاص الشر من پَنْش، وهي مهمة ممتعة لو أنني كرست وقتي كاملًا لها؛ لكن اهتمامي يتبدد بوجود مئة وسبعة شياطين آخرين.

إن الأمر البغيض في هذه الحياة أنني مهما فعلت، تظل الأمور الأخرى التي لا أفعلها لكن يتوجب علي فعلها، متعلقة بأطراف ثوبي. صحيح أن شيطان پَنْش يحتاج بلا شك إلى الاهتمام الكامل

من شخص كامل، ويفضل لو كانا شخصين، فيتناوبان ويحصلان على قسط من الراحة.

هرعت سادي كيت لتوها حاملة أخبارًا من الحضانة تبين أن أحد الأطفال ابتلع سمكة قرمزية (هدية غوردن). يا إلهي! يا لكثرة المصائب التي قد تحدث في ميتم!

الساعة التاسعة مساء

خلد صغاري إلى الفراش، وخطرت لي فكرة. ألن تكون نعمة لو ساد نظام السبات الشتوي لدى صغار البشر؟ ستكون عندها إدارة الميتم ممتعة لو استطاع المرء حشر الصغار في الفراش من الأول من أكتوبر وحتى الثاني والعشرين من أبريل.

المخلصة لك، على الدوام،

سالي.

الرابع والعشرون من أبريل

عزيزي جيرفِس پندلتن المحترم

هذه الرسالة لإكمال برقية ليلية أرسلتها إليك منذ عشر دقائق. لم تكن الكلمات الخمسون كافية لنقل شيء من شعوري، لذا أضيف إليها ألفًا.

لقد سرّحت المزارع، كما ستعرف عندما تصلك هذه الرسالة، وقد رفض تسريحه. وبما أنه يكبرني حجمًا بمرتين فلا يمكنني جره إلى البوابة ودفعه خارجًا. كما أنه يريد إشعارًا مطبوعًا من رئيس مجلس الأوصياء مكتوبًا بلغة صارمة على ورق رسمي. لذا، يا رئيس مجلس الأوصياء العزيز أرسل كل هذا من فضلك في أقرب فرصة تسنح لك.

إليك تاريخ الحالة:

كان الفصل لم يزل شتاء حين وصلتُ، وكانت أعمال الزراعة في حال سيئة، فلم أعِر روبرت ستِري اهتمامًا حتى اللحظة، سوى أنني لاحظت مرتين أن حظائر الخنازير بحاجة لتنظيف، لكني أرسلت اليوم في طلبه لأناقشه في مسألة غراس الربيع.

جاء ستِري كما طلب منه وجلس مرتاحًا في مكتبي مبقيًا قبعته على رأسه. فألمحت إليه بأشد ما يكون التهذيب أن يخلعها، وكان

ذلك مهمًا للغاية، لأن الأيتام يدخلون مكتبي ويخرجون منه «وخلع القبعات في الدار» هو أول قانون في آداب الذكور.

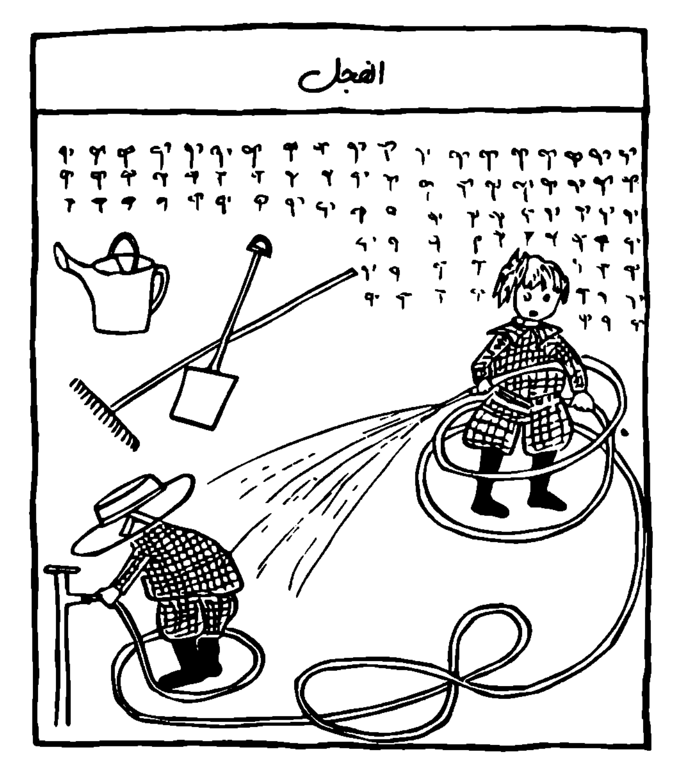
أذعن ستِري لطلبي، ثم أعدّ نفسه ليعارض كل ما أريده.

مضيت في الموضوع محل النقاش، أعني أننا اعتزمنا تقليل استهلاك البطاطا في النظام الغذائي لميتم جون غرير، فنخر لذلك مزارعنا بالهيئة التي يفعل بها المبجل سايرس وايكف، عدا أنها كانت نخرة أقل رقة وتهذيبًا مما يسمح به الوصي لنفسه. عددت البدائل التي نرغبها من مثل الذرة والفول والبصل والبازلاء والطماطم والشمندر والجزر واللفت.

فقال ستِري إن كان البطاطا والملفوف مناسبين له تمامًا، فهو يرى أنهما مناسبان تمامًا لأطفال الدار.

فمضيت للقول بثبات إن حقل البطاطا الذي تبلغ مساحته فدانين سيحرث ويسمد، ويقسم إلى ستين حديقة خاصة، وسيساعد الأولاد في العمل.

فانفجر ستِري عندئذ، إذ كان الفدانان أكثر الأراضي خصوبة وقيمة في المكان كله. ورأى أنني لو وددت تقسيمها إلى ملاعب للأطفال ليعبثوا بها، فإنني سألقى اعتراضًا سريعًا للغاية من الأوصياء. لأن ذلك الحقل مناسب للبطاطا، وقد زرعت فيه البطاطا دائمًا، وستظل البطاطا تزرع فيه ما دام لديه سلطة في الأمر.



«ليس لك سلطة»، أجبته بلطف، «لقد قررت أن الحقل ذي الفدانين هو أفضل بقعة نخصصها لحدائق الأطفال، وسيتعين عليك أنت والبطاطا أن ترحلا».

فنهض عندئذ في عاصفة من العنف الريفي، وقال لتحل عليه اللعنة إن كان سيسمح لجماعة من فتية المدن اللعينين بالتدخل في عمله.

فشرحت -بهدوء شديد بالنسبة إلى امرأة حمراء الشعر ذات أصول إيرلندية- أن هذا المكان مفتوح لفائدة الأطفال تحديدًا،

وأن الأطفال ليسوا هنا لاستغلالهم لمنفعة المكان، وهي فلسفة لم يستوعبها، رغم أن لغتي الحضرية الأنيقة لها وقع ملطف. وأضفت أن ما أطلبه في المُزارع قدرته وصبره لتعليم البستنة والعمل الخارجي البسيط للأولاد، وأنني أريد رجلًا في قلبه رحمة كبيرة، يمكنه أن يكون قدوة ملهمة لأطفال شوارع المدينة.

أخذ ستري يذرع الغرفة مثل فأر جبلي في قفص، يلقي خطبة مسهبة حول أفكار مدارس الأحد السخيفة، وفي تحول لم أفهمه، عرض رأيه في الشأن العام المتعلق بحق النساء في الاقتراع. ففهمت أنه ليس مؤيدًا للحركة، وتركته يجادل نفسه بهدوء، ثم سلمته صكًا بأجره، وأخبرته بأن يخلي المسكن بحلول الساعة الثانية عشرة من الأربعاء القادم.

قال لتحل عليه اللعنة إن فعل (اعذرني لكثرة ألفاظ اللعن، فهذه الصفة الوحيدة التي يعرفها هذا الكائن). لقد وظفه للعمل في هذه الدار رئيس مجلس الأوصياء، ولن يتحرك من هذا الملجأ حتى يأمره رئيس مجلس الأوصياء بالرحيل. لا أظن أن ستِري المسكين يدرك أن رئيسًا جديدًا اعتلى العرش منذ قدومه.

وها قد عرفت القصة، وأنا لا أهدد باستثناء أني أقول إما ستِري وإما مكبرايد، والخيار لك يا سيدي العزيز.

كما أنني أنوي الكتابة لعميد كلية الزراعة في ماساتشوستس، في أمهرست، أطلب منه أن يرشدنا إلى رجل نشيط طيب له زوجة مرحة ونشيطة، ليضطلع بأمر أرضنا البسيطة التي تبلغ سبعة عشر

فدائنًا، ويكون رجلًا ذا شخصية مناسبة ليشرف على الأولاد.

ولو مضت أمور الزراعة في هذه الدار كما نبتغي، فإنها لن تمنحنا ما نحتاجه من الفول والبصل فحسب، بل تثقيفًا لأيدينا وعقولنا أيضًا.

وأبقى يا سيدي،

المخلصة بحق،

س. مكبرايد،

مشرفة ميتم جون غرير

ملاحظة: أظن أن سِتِري هذا سيعود ذات ليلة ويلقي الحجارة على النوافذ، فهل أؤمن عليها؟

عدوي اللدود

لقد اختفيت سريعًا بعد ظهر اليوم ولم أحظ بفرصة لشكرك، غير أن صدى الصرف من الخدمة قد تردد بعيدًا بقدر بُعد مكتبي. كما أنني رأيت الحطام، فما الذي فعلته بستِري المسكين بحق السماء؟ لقد شعرت بوخز الضمير فجأة حين رأيتك متجهًا بكتفيك القويتين إلى المرآب. لم أكن أود أن يقتل الرجل، بل أن يناقش فحسب. أخشى أنك كنت قاسيًا بعض الشيء.

على أية حال، يبدو أن تقنيتك كانت فاعلة، إذ تقول الأخبار إنه اتصل بعربة نقل، وأن السيدة ستِري تجثو على ركبتيها وتكشط سجادة الردهة.

أشكرك جزيل الشكر على هذه المساعدة.

سالي مكبرايد.

السادس والعشرون من أبريل

عزيزي جيرڤِس

لا ضرورة لبرقيتك شديدة اللهجة. فقد أنجز المهمة الطبيب روبن مكراي، الرجل الماكر جدًا في شؤون النزاعات، بوضوح تام. لقد كنت أتميز غيظًا للحد الذي جعلني أتصل بالطبيب هاتفيًا بعد أن كتبت لك، وكررت على مسامعه الأمر بأكمله. وقد عرفت الآن أن ساندي، أيًا كانت عيوبه (وهو يملكها فعلًا)، يتمتع بمخزون عجيب من المنطق، إذ يعرف مدى فائدة الحدائق التي ننوي زراعتها، ومدى كسل ستِري. كما أنه قال «إن سلطة المشرفة يجب أن تُصان»، (هذا جميل بالطبع، لكونه يصدر عنه). لكن هذه كلماته على أية حال. فأغلق السماعة، وأدار محرك سيارته، وجاء هنا بسرعة استثنائية. واتجه من فوره نحو ستِـري، مدفوعًا بالغضب الاسكتلندي، وطرد الرجل بعنف وإتقان، حتى أن نافذة المرآب قد تحطمت إلى كسر.

وقد عم السلام الحلو في ميتم جون غرير، منذ الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم، حين تجاوزت البوابات عربة ستِري لنقل الأثاث. وقد عينّا رجلًا من القرية لمساعدتنا أثناء انتظارنا المفعم بالأمل للحصول على مزارع الأحلام.

أعتذر لأني أزعجتك بمتاعبنا. أبلغ جودي أنها مدينة لي برسالة، وأنني لن أكتب لها حتى تسدد ما عليها.

خادمك المطيع،

س. مكبرايد.

عزيزتي جودي

في رسالتي الموجهة لجيرفِس البارحة، نسوت (كما يقول پَنْش) أن أكتب لك شكرنا على أحواض الاستحمام الصفيحية الثلاثة. لقد أضفى حوض الاستحمام الأزرق السماوي المزين بالجراء على جانبيه لمسة مشرقة على الحضانة. وأنا أحب حقًا الهدايا الكبيرة المقدمة للأطفال التي لا يمكنهم ابتلاعها.

قد يسرك معرفة أن تدريبنا اليدوي يمضي على أحسن وجه، وقد نصبت مناضد الحرف في غرفة الابتدائية القديمة، وحتى نفرغ من المباني الإضافية لبناء المدرسة، سيكون صف الابتدائية في الرواق الأمامي، حسب اقتراح الآنسة ماثيوز الحصيف.

كما أن صفوف الخياطة للفتيات تمضي على ما يرام. وقد آوت شجرة الزان النحاسية اللون تحتها حلقة من المقاعد التي جلست عليها الحائكات باليد، في حين تناوبت الفتيات الأكبر عمرًا الأدوار على آلات الحياكة الثلاث. وسنبدأ عملنا النبيل في تغيير زي الدار، ما إن يكتسبن بعض المهارة في العمل. أعلم أنك ترينني بطيئة، لكنها مهمة هائلة حقًا لإنجاز مئة وثمانية أثواب جديدة، وستقدرها الفتيات أكثر لو أنهن قمن بالعمل بأنفسهن.

كما أود إبلاغك أيضًا أن نظامنا الصحي قد ارتفع إلى مستويات

عالية، فقد فرض الطبيب مكراي تمارين صباحية ومسائية، وكأسًا من الحليب ولعبة المطاردة في منتصف ساعات المدرسة. وقد استحدث صفًا لعلم وظائف الأعضاء، وقسّم الأطفال إلى مجموعات صغيرة بحيث يمكنهم الذهاب إلى بيته، إذ يملك دمية تشريحية منفصلة الأعضاء، وتظهر كل أعضائها الداخلية الفوضوية. وبمقدورهم الآن استظهار الحقائق العلمية حول أجهزتهم الهضمية الصغيرة بطلاقة بقدر ما يستظهرون أناشيد الأم الأوزة. إننا نصبح شديدو الذكاء بتعليمنا، وإن سمعتنا نتحدث فلن يخطر لك أننا أيتام، فنحن مثل أطفال بوسطن تمامًا.

الثانية بعد الظهر

يا لها من كارثة يا جودي! هل تذكرين أنني أخبرتك قبل بضعة أسابيع عن وضعي لفتاة صغيرة جميلة في بيت عائلة لطيفة آملة أن يتبنوها؟ كانت عائلة مسيحية لطيفة تعيش في قرية ريفية جميلة، والأب الراعي شمّاس في الكنيسة. كانت هاتي فتاة صغيرة جميلة مطيعة لبيبة، وبدا الأمر وكأننا قد اخترناهما ليناسبا بعضهما بعضًا. يا إلهي، لقد أعادوها هذا الصباح بتهمة السرقة، لكن الفضائح تراكمت؛ فقد سرقت كأس المناولة من الكنيسة!

واستغرق مني الأمر نصف ساعة لأتبين الحقيقة بين نشيجها واتهاماتهم. وقد تبين أن الكنيسة التي يرتادونها حديثة وصحية جدًا، مثل طبيبنا، وكانت تقدم كؤوس مناولة فردية. لم تسمع هاتي المسكينة الصغيرة أبدًا بالمناولة في حياتها؛ بل في الحقيقة لم تكن

من مرتادي الكنيسة، إذ كانت مدرسة الأحد كافية لتلبية حاجاتها الدينية البسيطة. لكنها تتردد على الاثنتين في بيتها الجديد، وفوجئت ذات يوم أنهم يقدمون المرطبات، لكنهم تجاهلوها، ولم تعلق فقد اعتادت التجاهل على أية حال. ولكن حين كانوا على وشك العودة إلى البيت رأت أن تلك الكأس الفضية قد تركت على المقعد عرضيًا، فافترضت أن تلك كانت هدية تذكارية يمكنها أخذها إن أرادت، فوضعتها في جيبها.

وانكشف الأمر بعد يومين حين جعلت من الكأس الزينة الأثمن لبيت دماها. يبدو أن هاتي رأت قبل وقت طويل طقمًا من لعب الأطباق في واجهة متجر الألعاب، وقد حلمت منذئذ بامتلاك واحد خاص بها. لم تكن كأس المناولة مماثلة تمامًا، لكنها كافية. ولو أن هذه العائلة كانت تتمتع بالقليل من الدين والكثير من المنطق، لأعادوا الكأس سليمة تمامًا، واصطحبوا هاتي إلى أقرب متجر للألعاب واشتروا لها بعض الأطباق. لكنهم عوضًا عن ذلك، أرسلوا الطفلة وأمتعتها في أول قطار استطاعوا اللحاق به، وألقوا بها قرب بابنا الأمامي، مدعين جهارًا أنها لصة.

ويسرني القول أنني وبّخت الشمّاس الساخط وزوجته توبيخًا مستفيضًا أثق تمامًا أنهم لم يسمعوه من منبر الوعظ، وقد استعرت بعض المفردات البليغة من كلمات ساندي، وأعدتهما إلى البيت شاعريْن بالوضاعة. أما بشأن المسكينة هاتي، فقد عادت ثانية بعد الخروج بآمال عظيمة. لقد كان لإعادة الطفلة إلى الملجأ بعار كهذا أثر أخلاقي سيء عليها، وبخاصة أنها لم تكن مدركة أنها ترتكب

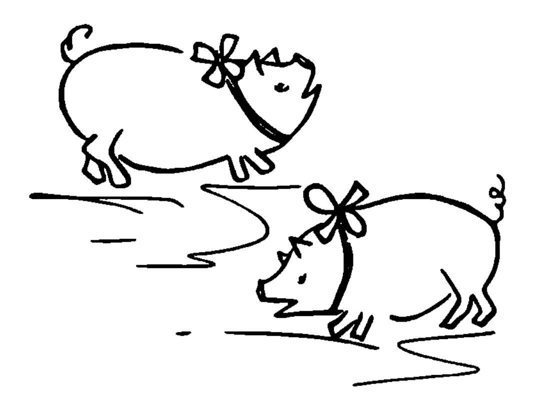
جريمة. لقد منحها إحساسًا بأن العالم مليء بالمزالق، وجعلها خائفة من أن تخطو خطوة. لا بد أن أوجه طاقتي كلها للعثور على أهل آخرين لها، أهل لم يكبروا كثيرًا وعاقلين وطيبين بحيث يكونون قد نسوْا طفولتهم تمامًا.

الأحد

نسيت إخبارك أن مزارعنا الجديد وصل، يُدعى تيرنفِلت، وزوجته محبة ذات شعر أشقر وغمّازتين. لو كانت من الأيتام لأمكنني وضعها في عائلة في لحظة. لا يمكننا أن نفرط فيها. لدي خطة جميلة لبناء جناح إضافي لكوخ المزارع، وتأسيس حضّانة لفراخنا الصغيرة تحت رعايتها المحبة، لنتأكد أنهم ليسوا مصابين بشيء معدٍ، ولكي نمحو من الكلمات النابية بقدر المستطاع قبل إطلاقهم أحرارًا مع بقية فراخنا الرائعة.

ألا يدهشك هذا؟ إن من الضروري في دار مغمورة بالضجيج والحركة والجعجعة كهذه أن يكون لنا بقعة منعزلة نضع فيها بعض الحالات التي تسترعي اهتماماً خاصًا. لقد ورث بعض أطفالنا توتر الأعصاب، ويوصى بفترة من التأمل الهادئ. أليست مفرداتي مهنية وعلمية؟ إن التعامل اليومي مع الطبيب مكراي تثقيفي للغاية.

عليك أن تري خنازيرنا منذ قدوم تيرنفِلت. إنها نظيفة ووردية غريبة للغاية حتى أنها لا تميز بعضها بعضًا كلما اجتمعت.



كما أن حقل البطاطا لا يعرف بسهولة، فقد قُسم بالأسلاك والأوتاد إلى مربعات مثل لوحة الشطرنج، وقد نال كل طفل حصته. وتشكل قوائم البذور قراءتنا المهمة.

عاد نوح من رحلة إلى القرية لشراء جريدة الأحد ليسلي نفسه. وهو شخص مهذب للغاية، كما أنه لا يقرأ بطلاقة فحسب، بل يضع نظارة إطارها من عظم السلحفاة حين يقرأ. وقد جلب أيضًا من مكتب البريد رسالة منك مكتوبة ليلة الجمعة. أود التنويه أنك وجيرفِس لا تهتمان لـ «يوستا بيرلنغز»[1]. والتعليق الوحيد الذي أود قوله هو «كم يفتقر آل پندلتن للذائقة الأدبية!».

لدى الطبيب مكراي طبيب آخر يزوره، وهو رجل مهذب شديد الكآبة يدير مصحة خاصة للأمراض النفسية، ويرى ألا خير في الحياة. لكني أظن أن هذا الرأي المتشائم طبيعي، لو تناولت

---

(١) رواية للكاتبة السويدية سلما لاغرلوف (١٨٥٨-١٩٤٠) وكانت أول كاتبة من النساء تحصل على جائزة نوبل للأدب. اقتبست الرواية في فيلم صامت عام ١٩٢٤.

ثلاث وجبات في اليوم على مائدة كلها كئيبون. إنه يطوف العالم بحثًا عن السمات المرضية ويجدها في كل مكان. توقعت أنه، بعد نصف ساعة من الحديث، سيطلب فحص حلقي ليرى إن كان لديّ حنك مشقوق. إن ذوق ساندي في الأصدقاء يماثل ذوقه في الأدب.

يا إلهي! أهذه رسالة!

إلى اللقاء.

سالي.

الخميس، الثاني من مايو

عزيزتي جودي

يا لها من دوامة أحداث عجيبة! إن ميتم جون غرير حابس أنفاسه ترقبًا. بالمناسبة أنا أمضي لحل مشكلتي فيما سأفعله بالأطفال حين يكون النجارون والسباكون والحدادون هنا، أو بالأحرى لقد حلها لي أخي الغالي.

تفقدت مخزون البياضات بعد ظهر اليوم، واكتشفت مصعوقة أن لدينا ما يكفي لتغيير فُرش الأطفال مرة كل أسبوعين، وهذه عادتنا التي لا يمكن تغييرها كما تبين. وحين كنت أتفقد تجهيزاتي المنزلية، وحفنة من المفاتيح على زناري وأبدو مثل قهرمانة في قصر من العصور الوسطى، من برأيك أدخل إلي سوى جيمي؟

وقد ألقيت قبلة مائلة على أنفه، لأنني كنت مشغولة للغاية، وأرسلته ليلقي نظرة على المكان مع اثنين من أكبر قنافذي. جمعوا ستة أصحاب ولعبوا مباراة في كرة القاعدة. عاد جيمي منهكًا لكنه متحَمس، وقرر أن يمدد زيارته حتى نهاية الأسبوع، رغم أنه بعد العشاء الذي قدمته له قرر أن يتناول وجباته في الفندق. وحين جلسنا نشرب قهوتنا أمام النار، أفضيت إليه بقلقي حول ما سأفعله بالصغار أثناء بناء مبناهم الجديد. وتعرفين جيمي، أعد خطته في نصف دقيقة.

«ابني مخيمًا شبيهًا بمخيمنا في أدِرُنداكس على ذلك السهل الصغير قرب عرزال الحطب، يمكنك بناء ثلاثة أكواخ مفتوحة يسع كل واحد منها ثمانية أسرّة، وانقلي الصبية الكبار الأربعة والعشرين هناك طوال الصيف، ولن يكلفك ذلك سنتين».

اعترضت: «أجل، لكن تعيين رجل ليعتني بهم سيكلف أكثر من سنتين».

«هذا أمر سهل للغاية»، قال جيمي بحماس، «سأعثر لك على أحد زملائي في الكلية ممن سيكون سعيدًا للقدوم أثناء الإجازة للإقامة هنا وبأجر زهيد، عليك أن تقدمي له مائدة مغذية أكثر مما قدمت لي الليلة فحسب».

مر الطبيب مكراي حوالي التاسعة، بعد المرور بجناح المستشفى. لدينا ثلاث حالات من السعال الديكي، لكنها عزلت جميعًا ولم نعثر على مزيد من الحالات. أما كيف أصيب بها هؤلاء الثلاثة فذلك لغز، ويبدو أن هنالك طائرًا صغيرًا ينقل السعال الديكي إلى مأوى الأيتام.

وقد بادره جيمي للحصول على دعمه بشأن مخطط المخيم، وأيده الطبيب بحماس. فأخذا أقلام رصاص وورق ورسما مخططات، وقبل أن ينقضي المساء كان آخر مسمار قد دق. لم يكن لشيء أن يرضي هذين الرجلين سوى الذهاب إلى الهاتف وإيقاظ النجار المسكين من نومه في الساعة العاشرة، وقد طلب منه المجيء مع عدة ألواح من الخشب الساعة الثامنة صباحًا.

لقد تخلصت منهما أخيرًا عند الساعة العاشرة والنصف، وهما يواصلان الحديث عن الأعمدة والعوارض والتصريف وميل السطح.

حرضني حماس جيمي والقهوة وكل عمليات البناء هذه على الجلوس فورًا وكتابة رسالة إليك، لكني أظن، من بعد إذنك، أنني سأؤجل بعض التفاصيل لوقت آخر.

المخلصة أبدًا،

سالي.

السبت

عدوي اللدود

هلا تناولت العشاء معنا الليلة عند الساعة السابعة؟ سيكون حفل عشاء حقيقي، وسنتناول المثلجات.

لقد عثر أخي على شاب واعد ليشرف على الأولاد -ربما كنت تعرفه- وهو السيد وذرسپون من المصرف. آمل أن أعرّفه على أقسام الميتم بخطوات سهلة، لذا لا تذكر الجنون أو الصرع أو إدمان الكحول أو أي من مواضيعك المفضلة من فضلك.

إنه قائد مجتمعي مرح، اعتاد تناول الأطعمة الأنيقة، فهل تظن أننا سنسعده في ميتم جون غرير؟

المخلصة في عجلة واضحة،

سالي مكبرايد.

الأحد

عزيزتي جودي

جاء جيمي الساعة الثامنة من صباح الجمعة، وجاء الطبيب بعده بربع ساعة. كانا يعملان هما والنجار، ومزارعنا الجديد ونوح، وحصانانا وثمانية من أكبر أولادنا منذ ذلك الوقت. لم يسبق لعمليات البناء أن مضت بهذه السرعة. أتمنى لو أن لدي اثني عشر رجلًا من مثل جيمي في هذا المكان، رغم أنني أقول إن أخي يعمل أسرع لو استطعت إدراكه قبل أن تزول المرحلة الأولى من حماسه. لن يكون صالحًا جدًا للعمل في نقش كنيسة من العصور الوسطى.

عاد صباح السبت مشرقًا بفكرة جديدة، فقد التقى في الفندق الليلة السابقة بصديق ينتمي لنادي الصيد في كندا ويعمل أمين صندوق في مصرفنا الوطني الأول (والوحيد).

«إنه رياضي ممتاز»، قال جيمي، «والرجل المناسب ليخيم مع هؤلاء الصغار ويطورهم. وسيكون راغبًا بالقدوم مقابل إقامته وأربعين دولارًا في الشهر، لأنه خطب فتاة في دتروت وينوي الادخار. أخبرته أن الطعام رديء، لكن إن أبدى معارضة كافية، فقد تعينين طاهية جديدة».

«ما اسمه؟»، قلت أنا باهتمام حذر.

«إن له اسمًا محببًا. اسمه پيرسي دي فورست وذرسپون».

كدت أجن. تخيلي پيرسي دي فورست وذرسپون مشرفًا على هؤلاء الجامحين المتوحشين الصغار الأربعة والعشرين!

لكنك تعرفين كيف يكون جيمي حين تخطر له فكرة. لقد دعا السيد وذرسپون للعشاء معنا ليلة السبت، وطلب المحار والحمام والمثلجات من ميّار القرية ليساند لحم العجل. وانتهى الأمر بإقامة حفل عشاء رسمي بحضور الآنسة ماثيوز وبتسي والطبيب.

كما أوشكت على دعوة المبجل سايرس والآنسة سنيث، ومنذ أن عرفت الاثنين شعرت أنه لا بد أن تنشأ بينهما قصة حب، إذ لم أعرف في حياتي شخصين بينهما هذا التوافق. إنه أرمل له خمسة أبناء. ألا ترين أنه يمكن ترتيب الأمر؟ لو صار له زوجة تستحوذ على اهتمامه، فلربما ألهاه ذلك عنا قليلًا. وسأتخلص من كليهما في ضربة واحدة، سأدرج هذا ضمن إصلاحاتنا.

على أية حال، أقمنا العشاء. وقد نما قلقي طوال المساء، ليس حيال صلاح پيرسي لنا، بل حيال صلاحنا لپيرسي. لو أنني بحثت في العالم كله ما وجدت شابًا من شأنه أن يفوز بود هؤلاء الأولاد أكثر منه. بوسعك أن تعرفي، بمجرد النظر إليه، أنه يفعل كل شيء على ما يرام، كل شيء يتطلب النشاط على الأقل. يساورني الشك في مآثره الأدبية والفنية قليلًا، لكنه يركب الخيل ويصيد ويلعب كرة القدم ويبحر بالزورق. ويحب النوم في الهواء الطلق ويحب الأولاد. كان يرغب دومًا في معرفة بعض الأيتام فقد قرأ عنهم في الكتب

كثيرًا، لكنه لم يلتق بأحدهم يومًا. يبدو پيرسي رائعًا للغاية حتى ليصعب التصديق أنه حقيقي.

أشعل الطبيب وجيمي فانوسًا قبل مغادرتهما، واصطحبا، مرتديين ثيابهما المسائية، السيد وذرسپون إلى الحقل المحروث لتفقد مسكنه المستقبلي.

ويا له من أحد مر بنا! كان حتماً عليّ أن آمرهم بالتوقف عن أعمال النجارة، فهؤلاء الرجال كانوا سيعملون النهار كله، دون اكتراث حقًا بالضرر الذي يحدثونه لمئة وأربعة من الكائنات الصغيرة. ولأن الأمر كذلك، فقد اكتفوا بالوقوف والنظر إلى تلك الأكواخ، وأمسكوا مطارقهم وفكروا بالمسمار الأول الذي سيدقونه صباح غد. كلما عرفت الرجال أكثر، تبين لي أنهم ليسوا سوى أولاد كبروا كثيرًا على الصفع على الكفل.

أنا قلقة للغاية حيال إطعام السيد وذرسپون. يبدو أنه يتمتع بشهية قوية جدًا، ويبدو أنه لا يستطيع ازدراد عشائه إلا إن ارتدى ثيابه المسائية. جعلتُ بتسي ترسل لأهلها في طلب حقيبة من الثياب المسائية، لنحافظ على لياقتنا الاجتماعية. ثمة أمر حسن أنه يتناول غداءه في الفندق، وقد سمعت أن غداءهم مغذ للغاية.

أخبري جيرفِس أنني حزينة لأنه ليس معنا ليدق مسمارًا في المخيم. ها قد أتى المبجل سايرس. لتحفظنا السماء!

سيئة الحظ دومًا،

س. مكب.

ميتم جون غرير
الثامن من مايو

عزيزتي جودي

انتهى بناء مخيمنا، وقد غادر أخي المفعم بالطاقة، وأمضى أولادنا الأربعة والعشرون ليلتين صحيتين في الهواء الطلق. لقد أضفت الأكواخ الثلاثة المغطاة بلحاء الشجر لمسة ريفية جميلة على المكان. إنها مثيلة بتلك التي نملكها في أدِرُنداكس، مغلقة من ثلاث جوانب ومفتوحة من الأمام، وواحد منها أكبر من البقية ليكون للسيد پيرسي وذرسپون مقصورة خاصة. أما الكوخ المتاخم، الأقل عرضة لأحوال الطقس، فقد كان مناسبًا تمامًا لمرافق الاستحمام، ويتألف من صنبور في الحائط وثلاثة مرشات. لكل مخيم مسؤول عن الحمام يقف على الكرسي ويرش بالماء كل مرتجف صغير وهو يمشي تحته. علينا أن نستخدم ذكاءنا ما دام أوصياؤنا، يمتنعون عن إرسال أحواض استحمام كافية.

قسمت المخيمات الثلاثة إلى ثلاثة قبائل من الهنود الحمر، لكل منها زعيم مسؤول عن انضباطها، والسيد وذرسپون هو الزعيم الأكبر على الجميع، والطبيب مكراي هو الراقي. لقد افتتحوا مسكنهم مساء الثلاثاء بمراسم قبائلية مناسبة. ورغم أنهم دعوني بتهذيب

للحضور، إلا أنني رأيت أنه شأن رجالي صرف، فرفضت الذهاب لكني أرسلت المرطبات، في لفتة محبوبة للغاية. مشينا أنا وبتسي مساء في ملعب كرة القاعدة البعيد وألقينا نظرة على طقوسهم. كان محاربو الهنود الحمر يقرفصون في دائرة حول نار كبيرة، وكل واحد تزين ببطانية من سريره وعصبة أنيقة من الريش. (تبدو دجاجاتنا قليلة الريش من جهة الذيل لكني لم أطرح أسئلة بغيضة). كان الطبيب، واضعًا دثار ناڤاهو[1] على كتفيه، يرقص رقصة حرب، في حين كان جيمي والسيد وذرسپون يقرعان طبول الحرب؛ وهما غلايتان من النحاس، صارتا مبعوجتين. يا لساندي الجميل! هذا أول ملمح للشباب أراه في الرجل.

بعد العاشرة، حين آوى المحاربون بأمان لقضاء الليلة، جاء الرجال الثلاثة وجلسوا يرتاحون في مكتبي، بهيئة من جعلوا أنفسهم شهداء للإحسان. لكنهم لم يخدعوني. لقد ابتدعوا كل ذلك من أجل متعتهم هم.

يبدو السيد وذرسپون سعيدًا للغاية حتى الآن. إنه يحتل الطرف الآخر من طاولة إحدى المراقبات تحت حماية خاصة من بتسي، وأُبلغت أنه أضفى قدرًا من الحياة في ذلك التجمع الرصين. لقد حاولت جهدي أن أحسّن قائمة الطعام، وهو يقبل كل ما نقدمه له بشهية قوية تمامًا، غير مكترث لغياب بعض الإضافات مثل المحار وطائر السمان والسلطعون الطري الأصداف.

---

(١) إحدى قبائل الهنود الحمر.

ليس لدينا غرفة جلوس خاصة يمكنني وضعها تحت تصرف هذا الشاب، لكنه حل المشكلة بنفسه باقتراحه أن يشغل مختبرنا الجديد، وهكذا فإنه يمضي أمسياته مع كتاب وغليون، متمددًا براحة على كرسي الأسنان. لا نجد الكثير من رجال المجتمع ممن يرغبون بقضاء أمسياتهم بهدوء هكذا، ولا بد أن تلك الفتاة في دتروت محظوظة.

يا إلهي! لقد وصلت للتو سيارة مملوءة بالناس ليلقوا نظرة على الدار، وبتسي التي تقوم بهذا الشرف دومًا ليست هنا. سأطير.

إلى اللقاء!

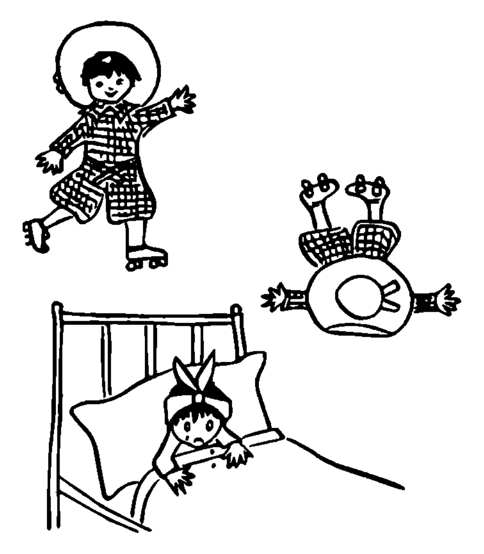
سالي.

عزيزي غوردن

هذه ليست رسالة -فلست مدينة لك بواحدة- إنها إشعار باستلام ستة وخمسين زوجًا من الزلاجات.

شكري الجزيل،

س. مكب.



الجمعة

عدوي اللدود

بلغني أنني فوتّ زيارتك اليوم، لكن جين أوصلت لي رسالتك، إلى جانب كتاب فلسفة التربية التكوينية[1]. تقول إنك ستأتي بعد بضعة أيام لتعرف رأيي بالكتاب. هل سيكون امتحانًا شفهيًا أم كتابيًا؟

ثم ألا يخطر لك أن مسألة التثقيف هذه أحادية الجانب؟ يخطر لي دومًا أن مزاج الطبيب مكراي سيكون أفضل بقليل من الصقل. أعدك أن أقرأ كتابك إن قرأت واحدًا من كتبي. سأرسل لك مرفقًا حوارات دولي[2]، وأسألك عن رأيك بعد يوم أو نحوه.

إنه لعمل شاق أن تحول اسكتلنديًا مشيخيًا[3] إلى لاهٍ، لكن المثابرة تحقق العجب!

س. مكب.

---

(١) كتاب لعالم النفس الأمريكي جورج إيفرت پارترج (١٨٧٠- ١٩٥٣)، ويعود الفضل لهذا العالم في رواج مصطلح الاعتلال النفسي.

(٢) رواية للروائي الإنجليزي أنتوني هوپ (١٨٦٣-١٩٣٣)، المشهور بروايته سجين زندا.

(٣) منسوب إلى الكنيسة المشيخية، وهي كنيسة بروتستانتية يدير شؤونها شيوخ منتخبون يتمتعون كلهم بمنزلة متساوية.

الثالث عشر من مايو

عزيزتي الغالية جودي

تتحدثين عن الفيضانات في أوهايو! هنا في مقاطعة دتشس، نبدو نحن بسماكة إسفنجة مبلولة. لقد هطل المطر لخمسة أيام، وكل شيء مضى على نحو سيء في هذه الدار.

أصيب الأطفال بالخنّاق، وقضينا الليالي ساهرين معهم. وقد استقالت الطاهية، ولدينا جرذان ميتة في فتحات الجدران. لقد تسرب الماء إلى مخيماتنا الثلاثة، وحين هطلت أول غيمة أوائل الفجر، جاء أربعة وعشرون هنديًا مبتلًا، ملفوفين بأغطية الفراش الرطبة يرتجفون أمام الباب، وتوسلوا لإدخالهم. ومنذئذ تغطى كل حبل للغسيل وكل درابزين بالبطانيات الرطبة ذات الرائحة الكريهة التي ينبعث منها البخار لكنها لا تجف. وعاد السيد پيرسي دو فورست وذرسپون إلى الفندق حتى تشرق الشمس.

وعمت فوضى الأطفال مثل بقع حمراء من الجدري، بعد أن حجزوا لأربعة أيام دون تمرين يذكر. فكرت أنا وبتسي في كل شكل من النشاط البريء والحيوي يمكن القيام به في مبنى مزدحم كهذا، من قبيل المعصوب العينين، والعراك بالوسائد والغمّيضة، والألعاب الرياضية في قاعة الطعام، ولعبة رمي أكياس الفاصولياء

في صفوف المدرسة. (لقد حطمنا نافذتين). لعب الأولاد قفزة الضفدع رواحًا وغدوًا في القاعة، وزلزلوا كل الجبس في المبنى. لقد نظفنا بحيوية وعنف، فغسلنا كل الأثاث الخشبي ولمعنا الأرضيات، لكن رغم كل شيء، ما زال لدينا قدر كبير من الطاقة، وقد بلغنا تلك المرحلة من الهياج التي نرغب فيها بلكم أحدنا الآخر.

كانت سادي كيت تتصرف مثل شيطان صغير، هل توجد شياطين من الإناث؟ إن لم تكن توجد، فقد خلقت سادي كيت هذا الجنس. وبعد ظهر اليوم، انتابت لوريتا هغنز، حسن لست أدري إن كانت نوبة أم مجرد غضب، فقد ارتمت على الأرض وولولت لساعة كاملة، وحين كان أي أحد يحاول الاقتراب منها، كانت مثل تخبط طاحونة هواء صغيرة وتعض وترفس.

وحين جاء الطبيب كانت قد أنهكت نفسها تمامًا، فحملها رخوة وواهنة، وذهب بها إلى سرير في العيادة، وبعد أن نامت نزل إلى مكتبي وطلب النظر إلى الأرشيف.

تبلغ لوريتا الثالثة عشرة من العمر، وقد أصابتها هذه النوبات في السنوات الثلاث التي قضتها هنا خمس مرات، وعوقبت لذلك بقسوة. إن تاريخ أسلاف الفتاة واضح: «ماتت الأم بسبب الخرف لإدمان الكحول، في مأوى بلومنغديل والأب مجهول الهوية».

تأمل الصفحة طويلًا وهز رأسه متجهمًا.

-«هل من الصواب معاقبة طفلة، بصفات وراثية كهذه، لأن لها جهازًا عصبيًا تالفًا؟».

فقلت بحزم: «كلا، وسنعمل على إصلاح جهازها العصبي التالف».

-«إن استطعنا».

-«سنغذيها بزيت كبد الحوت والمرح، ونعثر لها على أم راعية لطيفة تعطف على المسكينة الصغيرة...».

لكن صوتي لم يخرج حين تخيلت وجه لوريتا، بعينيها المجوفتين وأنفها الكبير وفمها المفتوح بلا ذقن وشعرها المشوك وأذنيها البارزتين. لن تحب أي أم راعية في العالم طفلة بهذا المظهر.

فانتحبت قائلة: «لماذا، آه لماذا؟ لماذا لا يرسل الرب الرحيم أيتامًا لهم عيون زرقاء وشعر أشقر وشخصيات محبوبة؟ يمكنني وضع مليون من هذا النوع في بيوت لطيفة، لكن لا أحد يريد لوريتا».

-«أخشى أن الرب الرحيم ليس له علاقة بإنجاب لوريتا إلى الحياة. إن الشيطان هو من يعنى بذلك».

ساندي المسكين! إنه يغدو متشائمًا للغاية إزاء مستقبل الكون، لكني لا أستغرب ذلك، خاصة بالنظر إلى الحياة الكئيبة التي يحياها. كان يبدو اليوم وكأن جهازه العصبي مرهق. لقد كان يمشي تحت المطر منذ الخامسة من صباح اليوم، إذ استدعي لعلاج طفل مريض. فجعلته يجلس لشرب الشاي، وحظينا بحوار ممتع لطيف عن إدمان الكحول والعته والجنون والصرع. إنه يبغض الآباء مدمني الكحول، لكن يقلقه الأهل المجانين.

لا أؤمن، شخصيًا، أبدًا بموضوع الوارثة، ما دام الطفل يُنتزَع قبل أن يفتح عينيه. لدينا أكثر الأطفال مرحًا ممن قد ترينهم في حياتك، كانت أمه وخالته روث وخاله سيلاس قد ماتوا كلهم مخبولين، لكنه هادئ مثل البقرة وتصعب إثارته.

إلى اللقاء يا عزيزتي. وآسفة إن لم تكن هذه الرسالة أكثر مرحًا، رغم أن لا شيء سيء يحدث في هذه اللحظة. إنها الحادية عشرة، وقد أخرجت رأسي إلى الممر وكل المكان هادئ باستثناء مصراعين يخبطان وأفاريز ترشح. وعدت جين بالخلود للنوم عند العاشرة.

إلى اللقاء، ولتكن السعادة رفيقة لكليكما!

سالي.

ملاحظة: إن كنت ممتنة لشيء وسط كل متاعبي، فسأمتن لأمر واحد؛ إذ أصيب المبجل سايرس بهجمة متأخرة من الإنفلونزا، وفي غمرة امتناني أرسلت له باقة من أزهار البنفسج.

ملاحظة ٢: أصبنا بداء الرمد الساري.

السادس عشر من مايو

صباح الخير يا عزيزتي جودي!

ثلاثة أيام مشمسة، فغدا ميتم جون غرير يبتسم.

لقد توليت متاعبي العاجلة باقتدار. إذ جفت تلك البطانيات الفظيعة أخيرًا، وأعيدت الحياة إلى مخيماتنا ثانية. وغطينا الأرضيات بألواح خشبية والسطح بورق مقيّر. (يسمي السيد وذرسپون المخيماتِ أقنان الدجاج). بدأنا نحفر خندقًا تحده الحجارة لتنقل مياه الأمطار اللاحقة من السهل الذي تقع عليه المخيمات، إلى حقل الذرة في الأسفل. واصل الهنود الحمر حياتهم البرية، وعاد زعيمهم إلى موقعه.

أخذنا أنا والطبيب نولي أعصاب لوريتا هغنز عنايتنا القصوى، إذ نظن أن هذه الحياة الصاخبة، بتقلباتها وحركاتها الكثيرة، مثيرة للغاية. فقررنا أن الخطة المثلى في إبعادها للسكن لدى عائلة لائقة، فتتلقى هناك قدرًا كبيرًا من الاهتمام الفردي.

عثر الطبيب، بمصادره المعتادة، على عائلة. إنهم يسكنون في المنزل المجاور له، وهم ناس طيبون، وقد عدت لتوي من زيارتهم. يعمل الزوج مراقبًا في قسم القولبة في مصنع الحديد، والزوجة امرأة مريحة يهتز كامل جسدها حين تضحك. يعيشان معظم وقتهما في

المطبخ للحفاظ على نظافة الردهة، لكنه مطبخ لطيف أود أنا نفسي العيش فيه. زرعت البغونيا في أصص على النافذة، وتنام قطة جميلة مخططة مثل النمر على بساط مجدول أمام الموقد. كما أنها تخبز يوم السبت الكعك وكعك الزنجبيل والكعك المدوّر المقلي. لذا فإنني أنوي أن أجعل زيارتي الأسبوعية للوريتا صباح كل سبت في الحادية عشرة. يبدو أنني تركت انطباعًا جيدًا لدى السيدة ولسن بقدر ما تركته لدي، فقد أفضت للطبيب بعد مغادرتي أنها أحبتني لأنني كنت بسيطة بقدرها.

ستتعلم لوريتا عمل المنزل وسيكون لها حديقة صغيرة خاصة، وستلعب في الهواء الطلق ونور الشمس. وستخلد للنوم باكرًا وتتناول طعامًا مغذيًا، وسيدللانها ويسعدانها، وكل هذا مقابل ثلاثة دولارات في الأسبوع!

لمَ لا نعثر على مئة من العائلات كهذه، ونرسل كل الأطفال؟ ثم يمكن تحويل هذا الملجأ إلى مأوى للمخبولين، وأستقيل أنا بضمير مرتاح، لأني لا أعلم شيئًا عن المخبولين، وأعود إلى البيت وأحيا سعادة أبدية.

أنني أغدو مذعورة حقًا يا جودي. سيقضي عليّ هذا الملجأ إن بقيت مدة أطول، لأنني أغدو أكثر ولعًا به حتى أنني لا أفكر ولا أتحدث أو أحلم بشيء آخر. لقد قضيتِ أنت وجيرفِس على كل آمالي في الحياة.

افترضي أنني أود التقاعد والزواج وتكوين أسرة، مثل أسر هذه

الأيام، لم أكن لأتمنى أكثر من خمسة أو ستة أطفال على أبعد تقدير، ويتمتعون كلهم بالصفات الوراثية ذاتها. ولكن يا إلهي! إن أسرة كهذه لتبدو ضئيلة ومملة. لقد جعلتني أهتم بالمؤسسات الإصلاحية.

المخلصة بتأنيب،

سالي مكبرايد.

ملاحظة: لدينا طفل مات أبوه إعدامًا، أليس هذا تفصيلًا مثيرًا يذكر في تاريخ المرء؟

الثلاثاء

الغالية جودي

ما الذي علينا فعله؟ مامي پراوت لا تحب البرقوق. ليس هذا النفور من غذاء رخيص وصحي إلا بِدعة، وعلينا ألا نشجع عليه نزلاء الدار حسنة الإدارة. لا بد أن تحب مامي البرقوق. هذا ما تقوله معلمة المتوسطة لدينا، التي تقضي معنا ساعة الظهيرة وتراقب سلوك أطفالنا. لقد جلبت مامي إلى مكتبي الساعة الواحدة اليوم بتهمة الرفض، الرفض القاطع، في أن تفتح فمها وتتناول البرقوق. أُجلست الطفلة بقوة على مقعد لتنتظر العقاب مني.

والآن، كما تعرفين فأنا لا أحب الموز، وأكره بشدة أن أجبر على ابتلاعه، لذا من المبدأ نفسه لمَ يتعين علي إجبار مامي پراوت على ازدراد البرقوق؟

لكني طُلبت على الهاتف، حين كنت أفكر بخطة تحفظ سلطة الآنسة كيلر، وتمنح في الوقت نفسه مخرجًا لمامي.

«اجلسي هنا حتى أعود»، قلت وخرجت وأغلقت الباب.

كان الاتصال من سيدة لطيفة تتمنى أن تمر بي لاصطحابي إلى اجتماع لجنة. لم أخبرك أنني أنظم هيئة محلية بالنيابة عنا. أخذ الأثرياء العاطلون الذين يملكون العقارات في هذه المنطقة بالخروج

من البلدة، وأنا أضع الخطط للحاق بهم قبل انشغالهم بالكثير من حفلات الحدائق ومباريات كرة المضرب. لم يقدموا أدنى معونة لهذا الملجأ، وأرى أن الوقت قد حان ليستيقظوا وينتبهوا لوجودنا.

وجدت الطبيب مكراي في القاعة، حين عدت في وقت شرب الشاي، وقد طلب بعض البيانات من مكتبي. ففتحت الباب وهناك وجدت مامي پراوت حيثما تركتها تمامًا قبل أربع ساعات.

فصرخت مذعورة: «مامي يا عزيزتي، هل كنت هنا كل هذا الوقت؟».

«أجل يا سيدتي»، قالت مامي، «لقد قلت لي أن أجلس حتى تعودي».

كانت تلك الطفلة الصبورة المسكينة تترنح بشدة من التعب، لكنها لم تصدر آهة.

سأقول إن ساندي كان عذبًا، فقد ضمها بين ذراعيه، وحملها إلى مكتبتي، ودللها وربّت على ظهرها مبتسمًا. جلبت جين طاولة الخياطة ووضعتها أمام المدفأة. وحين كنا نتناول الشاي أنا والطبيب، تناولت مامي عشاءها. أفترض أن هذه كانت اللحظة النفسية المناسبة، وقد أعياها التعب والجوع حقًا، لإجبارها على تناول البرقوق، وفقًا لنظرية بعض المربين. لكنك ستسرين لمعرفة أنني لم أفعل شيئًا من هذا القبيل، وقد أيد الطبيب لأول مرة مبادئي غير العلمية. تناولت مامي أجمل عشاء في حياتها، زين بمربى الفراولة من مرطباني الخاص وحلوى النعناع من جيب ساندي، وأعدناها

إلى زملائها سعيدة ومرتاحة، غير أنها ما زالت محتفظة بنفور مؤسف من البرقوق.



صورة للطفلة مطيعة

هل عرفت يومًا شيئًا مرعبًا أكثر من هذه الطاعة المفرطة المدمرة للروح التي كانت تفرضها السيدة ليبيت؟ هذا موقف ملجأ الأيتام من الحياة، ولا بد لي من تحطيمه بطريقة ما. ماذا عن روح المبادرة، والمسؤولية والفضول والابتكار والكفاح، أوه يا إلهي! أتمنى لو كان لدى الطبيب مصل لنحقن به كل هذه الخصال الطيبة في الدورة الدموية لليتيم.

لاحقًا

أتمنى أن تعودي إلى نيويورك. لقد عينتك مراسلة للصحافة عن هذا الميتم، ونحن بحاجة لشيء من كتاباتك على الفور. لدي هنا سبعة أطفال يتوقون للتبني، فتولّي أمر الإعلان عنهم.

الصغيرة غرترود حولاء العينين، لكنها لطيفة وأنيسة، ألا يمكنك الكتابة عنها بأسلوب مقنع جدًا بحيث ترغب عائلة ما بأخذها حتى إن افتقرت للجمال؟ يمكن إجراء عملية لعينيها حين

تكبر قليلًا، ولكن لو كان لها شخصية مزعجة فلن يستطيع جراح في العالم إزالة ذلك. تعرف هذه الطفلة أن ثمة ما هو مفقود رغم أنها لم تر والدًا حيًا في حياتها، إذ تلف ذراعيها بقوة حول كل شخص عابر. اكتبي بأقصى ما تستطيعين من أسلوب مثير للشفقة، وسترين أنك ستحصلين لها على أم وأب.

ربما بوسعك أن تجعلي إحدى صحف نيويورك تنشر مقالًا كل أحد عن الكثير من الأطفال المختلفين، وسأزودك بالصور. لا بد أنك تذكرين الردود الكثيرة التي حصدتها صورة «جو المبتسم» من سكان سي بريز؟ يمكنني بالمثل أن أقدم صورًا لـ «لو الضاحك»، و«غرترود المقهقهة»، و«كارل الرفاس» إن كنت ستضيفين عليها لمستك الأدبية فقط.

واعثري لي على أشخاص لا يكترثون للأصول، إذ تصبح الرغبة في أن يكون كل طفل منحدرًا من واحدة من أعرق العائلات في ڤرجينيا منهكة.

المخلصة، كالعادة،

سالي.

الجمعة

عزيزتي الغالية جودي

يا لها من متاعب! لقد سرّحت الطاهية ومدبرة المنزل، ونقلت بلغة لطيفة رسالة إلى مدرسة المتوسطة مفادها أنها لن تعود العام القادم. لكن، أوه، لو أني أستطيع تسريح المبجّل سايرس!

علي إخبارك بما حدث هذا الصباح. فوصينا، الذي كان يعاني مرضًا خطيرًا، قد تعافى كثيرًا من جديد، ومرّ بنا في زيارة ودية. كان پَنْش يحتل البساط على أرضية مكتبي، منشغلًا بهدوء ببناء مكعبات التركيب. فأنا أعزله عن بقية أطفال الروضة وأجرب منهج منتسوري[1] في منحه بساطًا خاصًا بلا إلهاء عصبي. كنت أمنّي نفسي بأن الأمور تسير سيرًا حسنًا، فقد أصبحت ألفاظه لائقة تقريبًا في الآونة الأخيرة.

نهض المبجل سايرس ليغادر، بعد نصف ساعة من الزيارة العابرة. وحين انغلق الباب خلفه (وقد حمدت الله أن الطفل انتظر حتى هذه اللحظة)، رفع پَنْش عينيه البنيتين الساحرتين إلي وهمهم بابتسامة واثقة:

---

(١) منهج شائع في التعليم، أسسته ماريا مونتيسوري (١٨٧٠-١٩٥٢)، وكانت أول امرأة إيطالية تدرس الطب، وتركز عملها على الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة.

«يا إلهي! أليس غبيًا للغاية؟».

إن كنت تعرفين عائلة مسيحية أستطيع أن أرسل إليها ولدًا جميلًا في الخامسة من العمر، فأبلغيني على الفور من فضلك.

س. مكبرايد،

مشرفة ميتم جون غرير.

أعزائي آل پندلتن

لم أعرف أبدًا أحدًا بطيئًا بقدركما أنتما الاثنين. لقد وصلتما لواشنطن فحسب، وأنا قد حزمت أمتعتي منذ أيام، متأهبة لقضاء إجازة نهاية أسبوع منعشة برفقتكما. أسرعا أرجوكما! إنني أذوي في جو هذا المأوى بقدر ما يمكن لبشر احتماله. وسأنازع وأموت إن لم أحظَ بتغيير.

المخلصة لكما،

التي توشك على الاختناق،

س. مكب.

ملاحظة: أرسلا بطاقة إلى غوردن هالوك تبلغانه فيها بوجودكما هناك، وسيكون بالغ السعادة ليضع نفسه والعاصمة تحت تصرفكما. أعلم أن جيرفِس لا يحبه، غير أن على جيرفِس أن يتخلى عن تحامله غير المبرّر ضد السياسيين. ومن يدري؟ فقد أخوض أنا نفسي غمار السياسة يومًا ما.

عزيزتي جودي

إننا نتلقى أجمل الهدايا من أصدقائنا والمتبرعين، وإليك التفاصيل. مشت سيارة السيد ولتن ج. لڤرت (اقتبست اسمه من بطاقته) على زجاجة مكسورة خارج بوابتنا الأسبوع الماضي، فدخل لزيارة الدار أثناء إصلاح سائقه إطار السيارة. أخذته بتسي في جولة، فأبدى اهتمامًا فائقًا بما شاهد، وبمخيماتنا الجديدة على وجه الخصوص، فهذا جناحٌ يستهوي الرجال. وانتهى به الأمر بخلع معطفه ولعب كرة القاعدة مع قبيلتين من الهنود الحمر. ثم نظر إلى ساعة يده بعد ساعة ونصف، وطلب كأس ماء وانحنى تحية، ثم غادر.

كنا قد نسينا الأمر تمامًا حتى بعد ظهر اليوم، حين جاء رجل التوصيل إلى الباب حاملًا هدية لجون غرير من المختبرات الكيميائية للسيد ولتن ج. لڤرت. لقد كانت خابية -بالأحرى برميلًا خشبيًا كبير الحجم- مليئة بصابون أخضر سائل!

هل أخبرتك أن بذور حديقتنا وصلت من واشنطن؟ كانت هدية مهذبة من غوردن هالوك وحكومة الولايات المتحدة. لم يعرف مارتن شلادرڤتز، الذي أمضى ثلاث سنوات في شبه المزرعة هنا، شيئًا سوى أن يحفر قبرًا بعمق قدمين ويدفن فيه بذور الخس! وهذا مثال على ما عجز النظام السابق عن تحقيقه.

لن تتخيلي عدد الحقول التي نحتاج تحسينها، لكنك أنت، دونًا عن الجميع، بإمكانك تخيل ذلك. بدأت أعي ما حولي رويدًا رويدًا، وأما الأمور التي كانت ممتعة في بادئ الأمر، فيا إلهي! إنها مضللة للغاية. كلما حدث أمر ممتع، تبين أنه يحمل مأساة صغيرة مختبئة في داخله.

نولي في الوقت الراهن اهتمامًا قلقًا لآدابنا؛ لا آداب الميتم، بل آداب مدرسة الرقص. وما من شيء سيجعلنا متملقين في موقفنا من العالم. فالفتيات الصغيرات ينحنين بأدب حين يصافحن، والأولاد يخلعون قبعاتهم وينهضون إن وقفت سيدة، ويدفعون الكراسي إلى الطاولة. (قذف تومي وولسي سادي كيت بحسائها، وسط مرح كل الناظرين عدا سادي، الآنسة الصغيرة المستقلة، التي لا تأبه كثيرًا لهذه الحركات الذكورية التافهة). نزع الأولاد إلى السخرية في بادئ الأمر، ولكن بعد رؤية تهذيب بطلهم بيرسي دي فورست وذرسبون، التزموا الأدب مثل رجال مهذبين صغار.

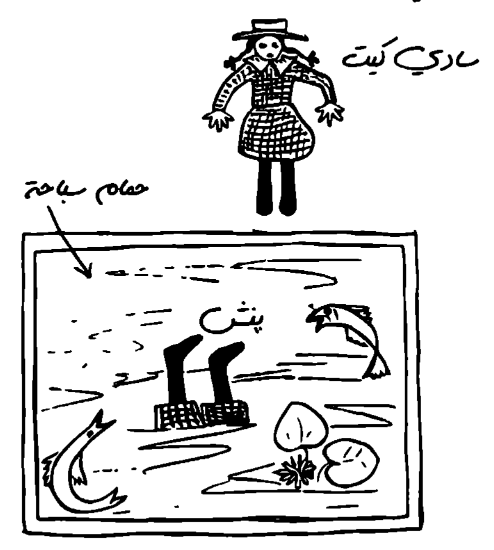
جاء پَنْش ليزورني هذا الصباح. لقد كان جالسًا بثبات على كرسي النافذة، هادئًا ومركزًا منشغلًا بأقلامه الملونة، طوال نصف الساعة الأخيرة، وأثناء انشغالي بكتابة هذه الرسالة إليك. وقد منحته بتسي، بالمناسبة، لتوها قبلة على أنفه.

«أوه يا ربي!»، قال پَنْش وقد تورد خداه، ماسحًا القبلة بعرض جيد للنفور الذكوري. لكني لاحظت أنه واصل العمل على رسمته ذات اللونين الأحمر والأخضر بحماس متقد ومحاولة للتصفير. سننجح حتمًا في قهر غضب هذ الشاب.

الثلاثاء

إن الطبيب في مزاج شكس للغاية اليوم. لقد جاء حين كان الأطفال يتجهون لتناول العشاء، حيث ذهب هو أيضًا وتفحص طعامهم، ويا إلهي! لقد كانت البطاطا محروقة، وكم تفوه ذلك الرجل بالهراء! إنها المرة الأولى التي تحترق فيها البطاطا، وأنت تعلمين أن هذا يحدث أحيانًا في أحسن العائلات. لكن قد يخطر لك بعد سماع لغة ساندي أن الطاهية قد تعمدت حرقها، طاعة لأوامري.

يمكنني أن أبلي حسنًا دون ساندي، كما أخبرتك قبلًا.



لما كان البارحة يومًا مشمسًا جميلًا، أدرت ظهري أنا وبتسي لواجباتنا، وذهبنا لمنزل فخم جدًا لبعض من أصدقائها، حيث تناولنا الشاي في حديقة على الطراز الإيطالي. كان پَنْش وسادي كيت أطفالًا مهذبين طوال اليوم حتى اللحظة التي اتصلنا بها لأخذ الأذن بجلبهما معنا.

«أجل طبعًا، أحضرا الصغيرين الجميلين»، كان الرد المتحمس.

لكن اختيار پَنْش وسادي كيت كان خطأ. كان علينا اصطحاب مامي پراوت التي أظهرت قدرة على الجلوس. سأعفيك من تفاصيل زيارتنا، غير أننا بلغنا الذروة حين ذهب پَنْش لاصطياد السمك الذهبي في قاع حوض السباحة. فجذبه مضيفنا بساق مرتجفة، وعاد الطفل إلى المأوى ملفوفًا بمبذل الاستحمام الوردي اللون العائد للرجل المحترم.

ما رأيك؟ دعانا أنا وبتسي الطبيبُ مكراي، بشيء من الندم على كونه بغيضًا للغاية البارحة، لنتناول العشاء في منزله الزيتوني، في الساعة السابعة من مساء يوم الأحد المقبل، بغية إطلاعنا على بعض الشرائح المجهرية. أظن أن التسلية ستتضمن، برأيي، عينة من الحمى القرمزية، ونسيج مدمن كحول، وغدة دَرَنية. إن الزيارات الاجتماعية تضجره للغاية، لكنه يدرك أن عليه أن يتحلى بقدر من التهذيب مع مشرفة الدار، إن كان يريد مساحة حرة لتطبيق نظرياته فيها.

لقد قرأت هذه الرسالة لتوي، ولا بد من الاعتراف أنها تنتقل بخفة من موضوع لآخر. ورغم أنها قد لا تتضمن أخبارًا عظيمة في الوقت الراهن، فإني واثقة أنك ستدركين أن كتابتها قد استنزفت كل لحظة فراغ خلال الأيام الثلاثة الأخيرة.

أنا،

المشغولة كثيرًا،

سالي مكبرايد.

ملاحظة: جاءت امرأة محسنة هذا الصباح وقالت إنها تود أخذ طفل لقضاء الصيف، طفل من أكثر الأطفال مرضًا وضعفًا وحاجة ممن يمكن منحهم. فقد فقدت زوجها مؤخرًا وترغب بالقيام بأمر شاق. أليس هذا مؤثرًا جدًا؟

بعد ظهر السبت

عزيزيّ جودي وجيرفِس

أخي جيمي (ألا تريان أن أسماءكم من الجناس الاستهلالي؟!) أرسل لنا أخيرًا هدية، مدفوعًا برسائل متوسلة شتى من جانبي، وقد اختارها بنفسه.

صار لدينا قرد! واسمه جاڤا.

لم يعد الأطفال يسمعون جرس المدرسة. وفي يوم وصول المخلوق وقفت كامل الدار في طابور ومرت عليه وصافحته. إن سنغ المسكين مستاء جدًا، وصار عليّ أن أدفع مقابل أن يُغسل.

تصبح سادي كيت أمينة سري الخاصة، إذ أجعلها تكتب رسائل الشكر نيابة عن الدار، وقد أثار أسلوبها إعجاب المحسنين. إنها تظهر موهبة ثانية على الدوام. كنت أؤمن أن عائلة كلكوين قد جاءت من الغرب المقفر في إيرلندا حتى اللحظة، لكني أشك أن بلدتهم أقرب إلى بلارني كاسل. يمكنك أن تري من النسخة المرفقة من الرسالة التي أرسلتها لجيمي الأسلوب المقنع الذي تملكه الصغيرة. وأظنها، في هذه الحالة على الأقل، لن تحصل على ما تلمح إليه.

عزيزي السيد جيمي

نشكرك جزيل الشكر على إرسالك القرد الجميل، لقد أسميناه

جاڤا لأن هذا الاسم يعني جزيرة دافئة في المحيط، حيث ولد في عش مثل عصفور عدا أنه كبير كما أخبرنا الطبيب.

صافحه كل فتى وفتاة في يومه الأول هنا وقالوا له صباح الخير يا جاڤا، وقد بدا كفه مضحكًا إذ يمسك بقوة. كنت خائفة من لمسه، لكني الآن أجعله يجلس على كتفي، ويضع ذراعه حول عنقي إن أراد. إنه يحدث جلبة ممتعة تشبه السباب ويجن جنونه حين يُشدّ ذنبه.

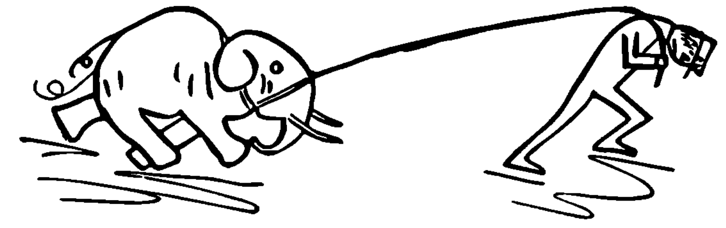
نحن نحبه للغاية ونحبك أنت أيضًا.

إن كنت سترسل هدية، فأرسل فيلًا في المرة القادمة من فضلك.

حسن أظنني سأتوقف.

المخلصة بحق

سادي كيت كلكوين.



ما زال پيرسي دي فورست وذرسپون مخلصًا لأتباعه الصغار، رغم أنني أخشى كثيرًا من أن يصيبه الملل، حتى أنني ألح عليه ليأخذ إجازات دومًا. إنه ليس مخلصًا بنفسه فحسب، بل جلب متطوعين أيضًا. فهو يتمتع بعلاقات اجتماعية واسعة في الجوار، وعرّفنا مساء السبت ببعض الأصدقاء؛ رجلين لطيفين وجلسوا حول النار وتجاذبوا قصص الصيد.

كان أحدهما عائدًا مؤخرًا من رحلة حول العالم، وروى حكايات مخيفة عن صيادي الرؤوس في ساراواك[1]، وهي دولة صغيرة وردية تقع في أعلى بورنيو[2]. وتاق شجعاني الصغار لأن يكبروا ويذهبوا إلى ساراواك، ويمضوا في محاربة صيادي الرؤوس. لقد دُرست كل موسوعة في هذه الدار، وما من صبي لا يمكنه إخبارك تاريخ بورنيو وعاداتها ومناخها ونباتها وفطرياتها. تمنيت فقط لو أن السيد وذرسپون جلب أصدقاء كانوا صيادي رؤوس في إنجلترا وفرنسا وألمانيا، وهي دول ليست جذابة بقدر ساراواك، لكنها أكثر جدوى للثقافة العامة.

عينا طاهية جديدة، وهي الرابعة منذ أن توليت الحكم. لم أزعجك بمشاكلي مع الطهاة، لكن الملاجئ لا تختلف كثيرًا عن العائلات. كانت الأخيرة امرأة زنجية، ضخمة وبدينة وباسمة لها لون الشوكولاته، من جنوب كاليفورنيا، ومنذ قدومها ونحن نتغذى على قطرات العسل! اسمها، ما اسمها برأيك؟ سالي إن أردت. واقترحت أن تغيره.

«حسن يا آنستي، لكني حملت هذا الاسم أطول مما حملته أنت، ولا يمكنني اعتياد الرد على الاسم الشبيه بأسماء الحيوانات المدللة «مولي» حين تهتفين به! يبدو أن سالي يعود إلي».

---

(١) ساراواك (سرواق) إقليم في ماليزيا، أما صيد الرؤوس فهي عادة لدى بعض القبائل في جنوب آسيا وأفريقيا الوسطى والپيرو والإكوادور، ويجتث رأس الشخص بعد قتله، وبعض القبائل يصبح الرجل فيها أهلًا للزواج إن بدأ بصيد الرؤوس، وكلما زاد عددها دل ذلك على قوته.

(٢) ثالث أكبر الجزر في العالم، وهي منقسمة بين ماليزيا وأندونيسيا وبروناي.

وظلت سالي، لكن ليس من خطر في اختلاط رسائلنا على الأقل، لأن اسم عائلتها ليس عاديًا مثل مكبرايد، بل جونستن - واشنطن، مع شرطة تفصل بينهما.

الأحد

إن لعبتنا المفضلة مؤخرًا العثور على أسماء غنج لساندي، فشخصيته المتجهمة تجعله سهلًا في الكاريكاتير. لقد ابتكرنا له اسمًا جديدًا؛ «مالك العزبة كوكبن»، وهذا خيار پيرسي.

مالك العزبة كوكبن محترم وعظيم

يشغل ذهنه بأمور الأطيان[1]

وتدعوه الآنسة سنيث بقولها «ذلك الرجل» بقرف، وتشير إليه بتسي (في غيابه) بالطبيب كبد الحوت. أما اسمي المفضل الحالي فهو «مكفرسن كلون غلوكتي أنغس مكلان». غير أن سادي كيت تتفوق علينا كثيرًا في الشاعرية. فهي تسميه «السيد في وقت قريب». لا أظن الطبيب قرأ الشعر يومًا في حياته، لكن كل طفل في هذه الدار يحفظ هذه القصيدة عن ظهر قلب.

سيحدث أمر جميل في وقت قريب

فكوني فتاة طيبة، واعملي بهذه النصيحة

(١) هذه أغنية اسكتلندية، كتبتها كارولين نارين (١٧٦٦-١٨٤٥)، تسخر فيها من الأغنياء الذين يظنون أن الجميع مهتم بشؤونهم، وفي تتمة الأغنية يذهب هذا السيد إلى منزل امرأة ويطلب يدها واثقًا من قبولها، لكنها ترفضه بكل وضوح!

ابتلعي مبتسمة زيت كبد الحوت
وتعرفين أنك ستحصلين على النعناع.

سنلبي دعوته للعشاء أنا وبتسي هذه الليلة، ولا أخفيك أننا نتحرق لرؤية منزله الكئيب من الداخل بحماس جذِل. إنه لا يتحدث مطلقًا عن نفسه أو ماضيه أو عن أي شخص قريب له، يبدو أنه امرؤ انعزالي يقف على قاعدة تمثال مكتوب عليها عـلم، دون أثر لأي علاقة أو عاطفة أو ضعف بشري عادي سوى الغضب. لقد أكلنا الفضول جدًا أنا وبتسي لنعرف ماضيه، لكن دعينا ندخل منزله، وسيخبرنا حدس المحققين بقصته. وما دام المدخل تحرسه المرعبة السيدة مكّركّ حتى الآن، فقد يئسنا من الدخول يومًا، لكن الآن، انظري! لقد انفتح الباب من تلقاء نفسه.

يتبع...

س. مكب.

الاثنين

عزيزتي جودي

لقد ذهبنا أنا وبتسي والسيد وذرسپون لحفل عشاء الطبيب الليلة الماضية، وتبين أنها مناسبة ممتعة نوعًا ما، رغم أنني أستطيع القول إنها بدأت تحت رقابة شديدة.

إن منزله من الداخل هو كل ما يوحي به من الخارج، ولم أر في حياتي تصميمًا داخليًا مثل غرفة طعام هذا الرجل. فالجدران والسجاد والسجف كلها باللون الأخضر الداكن. ويخفي رف الموقد الرخامي الأسود قليلًا من الهباب الأسود. أما الأثاث فهو أسود بقدر ما يمكن أن يصبح الإثاث، وتقتصر الزينة على نقشين معدنيين في إطارين أسودين لامعين، هما «حاكم غلن» و«الأيل يدافع عن نفسه»[1].

جهدنا لنكون مرحين وحيويين، لكن الأمر كان أشبه بتناول العشاء في مدفن العائلة. أما السيدة مكّركّ، التي ارتدت ثوبًا أسود من صوف الألبكة ومئزرًا من الحرير الأسود، فقد مشت متثاقلة حول الطاولة وهي تمرر إلينا أشياء باردة وكثيفة لنأكلها، بخطوات

(١) عملان للسير إدوِن لاندسير (١٨٠٢-١٨٧٣)، تصور الأولى عظمة المرتفعات الاسكتلندية والحياة البرية، أما الثانية فتجسد معركة بين أيل وذئبين.

حازمة للغاية كانت تهز الفضيات في جوارير الخزانة الجانبية. كان أنفها مرفوعًا وفمها يوحي بالامتعاض. وكان من الواضح أنها لا توافق على استمتاع السيد، وتتمنى لو أثنت كل الضيوف عن قبول الدعوة ثانية.

يعرف ساندي نوعًا ما عيوب منزله، وبغية أن يجعله مبهجًا قليلًا على شرف ضيوفه، فقد اشترى الأزهار -الكثير منها- من أجمل ورود كيلارني زهرية اللون، وزهور الخزامى الحمراء والصفراء. لقد جمعتها السيدة مكرك معًا بإحكام لتحشرها في أصيص أزرق بلون الطاووس، ووضعتها وسط الطاولة. كان ذلك الشيء كبيرًا بحجم سلة تسع بوشل. وكدنا أنا وبتسي ننسى تهذيبنا حين رأينا التحفة، لكن الطبيب بدا مسرورًا للغاية سرورًا بريئًا لإضافته لمسة مشرقة على غرفة طعامه، فكبحنا ضحكنا، وأثنينا بحرارة على ذائقته اللونية الملائمة.

هرعنا بشيء من الراحة، لحظة انتهى العشاء، إلى جزئه الخاص من البيت، الذي لا تناله سطوة السيدة مكرك. لم يسبق لأحد يتمتع بمهارة في التنظيف أن دخل مكتبته، أو مكتبه، أو مختبره سوى لِـوِلن، وهو رجل إيرلندي قصير قوي مقوس الساقين، يجمع إلى درجة فريدة ما بين مؤهلات خادمة المنزل والسائق.

رغم أن المكتبة لم تكن أكثر الغرف التي رأيتها بهجة، غير أنها، بالنسبة لمنزل رجل، ليست سيئة للغاية؛ فالكتب في كل مكان من الأرض وحتى السقف، إلى جانب فائض منها في أكداس على الأرض

والطاولة ورف الموقد، وستة كراسي عميقة من الجلد، وبساط أو نحوه، إلى جانب رف موقد رخامي أسود آخر، لكنه يحتوي هذه المرة حطبًا مطقطقًا. أما فيما يتعلق بالتحف، فلديه بجعة وطائر كركيّ يحمل ضفدعًا في فمه، وراكون يجلس على غصن، وسمكة طربون ملمعة. وتفوح في الهواء رائحة خفيفة لليودوفورم[١].

أعد الطبيب القهوة بنفسه في آلة فرنسية، وطردنا السيدة مكركت من أذهاننا. لقد حاول جاهدًا فعلًا أن يكون مضيفًا عاقلًا، وعلي القول إن كلمة «عته» لم تذكر ولا مرة. تبين أن ساندي، في لحظات استرخائه، صياد سمك، وأخذ هو وبيرسي يتبادلان القصص عن سمك السلمون والتروت، ثم أخرج أخيرًا صندق طعوم السمك، وقدم لي أنا وبتسي بأناقة «ذبابة صُنعية فضية» و«سمكة سليمان صغيرة» لنصنع منها مشابك للقبعات. ثم تحول الحديث إلى التريض في المستنقعات الاسكتلندية، وأخبرنا أنه تاه مرة وقضى الليلة في العراء على الخلنج. إن قلب ساندي معلق بالمرتفعات، ليس في ذلك شك.

أخشى أن نكون أنا وبتسي قد أخطأنا في حقه، فربما لم يرتكب جريمة، رغم أننا لا نستطيع التخلي عن الفكرة المثيرة. إننا نميل الآن للاقتناع بأنه فشل في الحب.

إنها وقاحة مني أن أسخر من ساندي المسكين، لأنه رجل مثير للشفقة، على الرغم من شخصيته الكئيبة المتجهمة. تخيلي العودة إلى

(١) مستحضر كيميائي له رائحة المطهر.

البيت بعد نهار مرهق لتأكلي وحيدة في غرفة الطعام الكئيبة تلك!

هل تظنين أن الأمر سيسعده قليلًا إن أنا أرسلت رفاقي الفنانين ليرسموا له إفريزًا من الأرانب على الجدار؟

مع حبي، كالعادة،

سالي.

عزيزتي جودي

ألم تعودي بعد إلى نيويورك؟ أرجوك أسرعي! أحتاج قبعة جديدة، كما أنني بحاجة للتبضع في الجادة الخامسة، لا في شارع ووتر. لا تؤمن السيدة غْرَبي، أفضل صانعة قبعات لدينا، بتقليد الطرز الباريسية، فهي تبتكر طرازها الخاص. لكنها ذهبت في جولة قبل ثلاث سنوات، إذعانًا للتقليد، في متاجر نيويورك، وما زالت تبتكر الأشكال من وحي تلك الزيارة.

كما أن علي شراء مئة وثلاث عشرة قبعة لصغاري، إلى جانب قبعتي، ناهيك عن الأحذية والثياب الداخلية، والقمصان وشرائط الشعر، والجوارب والرباطات. إنها مهمة عظيمة أن أبقي عائلة صغيرة كعائلتي حسنة الهندام.

هل استلمت الرسالة التي أرسلتها الأسبوع الماضي؟ لم تتحلي بالكياسة فتذكريها في رسالتك يوم الخميس، وقد كانت من سبع عشرة صفحة، واستغرقت كتابتها مني أيامًا.

المخلصة بحق،

س. مكبرايد.

ملاحظة: لماذا لا تحكين لي أخبارًا عن غوردن؟ هل رأيته، وهل تحدث عني؟ هل يلاحق أيًا من أولئك الفتيات الشماليات

التي تغص بهن واشنطن؟ تعرفين أنني أود سماع ذلك، لماذا تكونين كتومة بهذا الشكل القاسي؟

الثلاثاء الساعة ٤:٢٧ مساءً

عزيزتي جودي

وصلتني برقيتك عبر الهاتف قبل دقيقتين. أجل سأكون مسرورة لأصل بعد ظهر الخميس في الساعة ٥:٤٩. ولا تأخذي أي مواعيد لتلك الأمسية من فضلك، لأني أنوي أن أظل يقظة حتى منتصف الليل للحديث عن ميتم جون غرير معك ومع الرئيس.

سأخصص يوم الجمعة والسبت والاثنين للتبضع. أوه، أجل أنت محقة، فأنا أملك من الثياب أكثر مما يحتاجه عصفور أسير، ولكن حين يحل الربيع، لا بد أن يكون لي ريش جديد. أنا أرتدي ثوبًا مسائيًا كل ليلة لأرتديها فحسب، لا ليس هذا تمامًا؛ بل لأجعل نفسي أصدق أنني ما زلت فتاة عادية رغم هذه الحياة الغريبة التي دفعتِني إليها.

وجدني المبجل سايرس البارحة مهندمة في ثوب من الكريب باللون الأخضر المائل للزرقة (خاطته جين رغم أنه يبدو فارسيًا). لقد كان مرتبكًا تمامًا حين عرف أنني لست ذاهبة إلى حفلة. فدعوته للبقاء وتناول العشاء معي وقبل الدعوة! وقضينا وقتًا لطيفًا، إذ أقبل على طعامه؛ يبدو أن الطعام يعجبه. إن كان في نيويورك مسرحية لبرنارد شو هذه الأيام، فسأدخر بضع ساعات لحفلة بعد

الظهر يوم السبت. سينعشني الحوار في مسرحية جورج برنارد شو، على النقيض من حوارات المبجل سايرس.

لا داعي للمزيد من الكتابة، سأنتظر ونتحدث.

إلى اللقاء.

سالي.

ملاحظة: يا إلهي! ما إن أخذت أكتشف بارقة لطف في ساندي، حتى ثار ثانية وكان بغيضًا. إن لدينا لسوء الحظ خمس حالات من الحصبة في هذه الدار، ويلمح سلوك الرجل إلى أنني والآنسة سنيث قد نقلنا الحصبة للأطفال متعمدتين بغية إزعاجه. تمر علي أيام عديدة أرغب فيها في قبول استقالة الطبيب.

الأربعاء

عدوي اللدود

استلمت رسالتك الموجزة والمهينة. لم يسبق لي أن عرفت شخصًا يشبه أسلوب كتابته كلامه المنطوق تمامًا هكذا.

وستكون شديد الامتنان إن أنا كففت عن طريقتي السخيفة في تسميتك «عدوي»؟ سأتخلى عن طريقتي السخيفة بدعوتك عدوًا، حالما تتخلى عن طريقتك السخيفة في الغضب والإساءة والإهانة كلما مضت أمور صغيرة على غير ما يرام.

سأغادر بعد ظهر غد لقضاء أربعة أيام في نيويورك.

المخلصة بحق،

س. مكبرايد.

في منزل آل پندلتن، نيويورك

عدوي اللدود

أظن أن هذه الرسالة ستصلك وأنت في مزاج ألطف مما كنت عليه حين رأيتك آخر مرة. سأكرر القول جازمة إن ظهور حالتين جديدتين من الحصبة ليس عائدًا لإهمال مشرفة دارنا، بل بالأحرى إلى الهيكل التعس لمبنانا قديم الطراز، الذي لا يسمح بعزل مناسب للحالات المعدية.

لم أتمكن من تقديم أي اقتراح للعزل، باعتبار أنك لم تتنازل لزيارتنا صباح أمس قبل مغادرتي. ولذا فإني أكتب إليك لأسألك أن تلقي نظرة فاحصة على مامي پراوت، إذ تغطيها بقع حمراء صغيرة بالكامل قد تكون حصبة، رغم أنني آمل ألا تكون كذلك، فمامي تتبقع بسهولة.

سأعود إلى حياة السجن الساعة السادسة من يوم الاثنين القادم.

المخلصة بحق،

س. مكبرايد.

ملاحظة: أظنك ستعذرني لقول هذا، لكنك لست من نمط الأطباء الذي أفضّله، فأنا أحب اللحيمين والقصيرين والمبتسمين.

ميتم جون غرير
التاسع من يونيو

عزيزتي جودي

إنكما عائلة رهيبة تزورها فتاة مرهفة الحس. كيف تتوقعين مني العودة والسكن برضا لحياة الدار بعد رؤيتي صورة سعيدة للحياة الأسرية كما يقدمها منزل آل پندلتن؟

لقد قضيت وقتي في رحلة العودة بالقطار، بدلًا من إشغال نفسي بالروايتين والمجلات الأربع وصندوق الشوكولاته التي قدمها لي زوجك باهتمام فائق، أتذكر الشبان ممن أعرفهم لأرى إن كنت سأعثر على أحد بمثل لطف جيرڤِس. وقد عثرت على واحد! (أقل لطفًا كما أظن)، وسيكون من اليوم فصاعدًا الضحية، والفريسة المستهدفة.

أكره أن أهجر الميتم بعد أن صرت مولعة به هكذا، لكنني لا أرى بديلًا لذلك، ما لم تقرري نقله إلى العاصمة.

تأخر القطار كثيرًا، فلقد وقف على خط جانبي وانبعث منه الدخان، في الوقت الذي تجاوَزَنا فيه قطارا ركاب وقطار شحن مسرعة. تبين أن فيه عطلًا ما ولا بد من إصلاح المحرك. كان جامع التذاكر يهدئنا لكنه كان متحفظًا.

كانت الساعة السابعة والنصف حين نزلت، وأنا المسافرة الوحيدة، في محطتنا القبيحة وفي العتمة المدلهمة والمطر، مرتدية تلك القبعة الثمينة دون مظلة. ولم أجد تيرنفِلت في استقبالي، ولا حتى عربة من المحطة. في الحقيقة لم أكن قد أرسلت برقية تخبر بموعد وصولي، لكنني شعرت رغم ذلك بأني مهمَلة. لقد تصورت بحمق أن يُجر كل المئة والثلاثة عشر إلى رصيف المحطة، ناثرين الزهور ومغنين أغاني الترحيب. وما إن أخبرت رجل المحطة أنني سأراقب آلة البرقيات له أثناء ذهابه إلى حانة على الناصية لطلب سيارة لي، حتى ظهر قرب الناصية مصباحا كشاف يمشيان موجهين نحوي مباشرة. وتوقفا على بعد تسعة إنشات قبل أن يدهساني، وسمعت صوت ساندي:

«أهلًا أهلًا يا آنسة سالي مكبرايد! أظن الوقت قد حان لتعودي لتتولي شأن الأطفال بدلًا مني؟».

لقد جاء ذلك الرجل ثلاث مرات لاستقبالي تحسبًا لوصول القطار في أي وقت. وحشرني أنا وقبعتي الجديدة وحقائبي وكتبي وصندوق الشوكولاته كلنا تحت سديلة مشمّعة، وشققنا طريقنا في الماء. لقد شعرت حقًا أنني عائدة إلى البيت ثانية، وحزينة للغاية لفكرة اضطراري للرحيل يومًا. لو فكرت بعقلي؛ لكنت استقلت وحزمت متاعي وغادرت كما تعرفين. إن مجرد التفكير بأنك لست في مكانك لبقية حياتك، يمنح شعورًا مضطربًا للغاية، ولهذا لا تنجح الزيجات المؤقتة أبدًا. لا بد أن تشعري أنك منغمسة بالأمر دائمًا وأبدًا بغية أن تحاولي وأن تركزي تفكيرك فعلًا على إنجاحه.

إنه لأمر مدهش كم يقع من أحداث في أربعة أيام. لم يكن بوسع ساندي أن يتحدث بسرعة تمامًا ليخبرني كل شيء رغبت بسماعه. وقد عرفت، بين أخبار أخرى، أن سادي كيت قد قضت يومين في المستشفى، وأما مرضها، وفقًا لتشخيص الطبيب، فهو نصف مرطبان من مربى عنب الثعلب، وقطع من الكعكات المبرومة لا يعلم عددها إلا الله. لقد تغير عملها أثناء غيابي إلى غسل الصحون في غرفة مؤونة المراقبات، وكانت قربها الكثير من الأطايب اللذيذة أكثر مما تطيقه فضيلتها الهشة.

كما دخلت طاهيتنا الملونة سالي، ومعاوننا الملون نوح في حرب إبادة. كانت المشكلة الأصلية قد اشتعلت بسبب قَدر قليل من الاحتراق، أحدثه دلو من الماء الحار سكبته سالي على الهدف من النافذة بدقة خارقة بالنسبة لامرأة. لك أن تري الشخصية الاستثنائية التي لا بد أن تتحلى بها ناظرة مأوى الأيتام، إذ عليها أن تجمع بين صفات حاضنة الأطفال ومأمور الشرطة.

لقد أخبرني الطبيب بنصف الوقائع فحسب حين وصلنا الدار، ولأنه لم يتناول عشائه بسبب ذهابه لاستقبالي ثلاث مرات، فقد رجوته أن يقبل ضيافة جون غرير. وسأدعو بتسي والسيد وذرسپون، وسنعقد اجتماعًا إداريًا ونحل كل الأمور العالقة.

قبل ساندي بحماس مبهج، فهو يحب تناول العشاء خارج مدفن العائلة. لكني عرفت أن بتسي قد هرعت عائدة إلى المنزل للقاء أجدادها الزائرين، وكان پيرسي يلعب البريج في القرية. إن

هذا الشاب نادرًا ما يخرج مساءً، وسررت لأنه سيحظى بشيء من التسلية المرحة.

لذا انتهى الأمر بي أنا والطبيب إلى تناول العشاء المعدّ بسرعة وحدنا -كانت الساعة عندئذ تقترب من الثامنة، وساعة العشاء المعتادة لدينا هي السادسة والنصف- لكنه كان عشاء مرتجلًا بحق، أعرف أن السيدة مكرك لن تقدمه له يومًا. إذ أعدت سالي، التي كانت تود إثارة إعجابي بمهاراتها التي لا تقدر بثمن، أفضل ما تستطيع من أطباقها الجنوبية على الإطلاق. ثم شربنا القهوة أمام النار بعد العشاء، وكانت الريح تعصف خارجًا والمصاريع تصطفق.

وقضينا أمسية شديدة الحميمية والودية. لقد لحظت أمرًا جديدًا منذ معرفتي بهذا الرجل أول مرة. إن فيه أمرًا جذابًا حقًا حين تتعرفين إليه، لكن عملية التعرف إليه تتطلب الوقت والمهارة. إنه ليس سريع البديهة، ولم يسبق لي أن عرفت امرأً غامضًا بنحو مثير مثله. يراودني إحساس كلما تكلمت إليه كأنما تكمن حرائق هامدة خلف فمه المستقيم وعينيه نصف المغمضتين. هل أنت واثقة أنه لم يرتكب جريمة؟ إنه يفلح في الإيحاء اللذيذ بأنه فعل.

وعلي أن أضيف أن ساندي ليس متحدثًا سيئًا حين يطلق العنان لنفسه، إذ يسرد سلسلة كاملة من الأدب الاسكتلندي بطلاقة.

«تجهل الزوجة العجوز، وهي تجلس قرب النار، ما تفعله الريح في بيرلي هيرلي سواير»[1]، قال حين دفعت هبّةُ ريح عاتية المطرَ إلى

---

(١) مثل اسكتلندي، وهيرلي بيرلي سواير ممر بين سلسلة جبال، والمقصود به أن الشخص

النافذة. يبدو ذلك تصفيق استحسان، أليس كذلك؟ غير أني لم يكن لدي أدنى فكرة عما يعني. ثم انظري إلى هذا؛ بين أكواب من القهوة (إنه يشرب من القهوة أكثر بكثير مما يوصي به طبيب ذكي) ذكر عرضيًا أن عائلته تعرف عائلة ر. ل. س.[1] شخصيًا، واعتادوا تناول العشاء في شارع ١٧ هرويت رو! لقد جهدت في الإلحاح عليه بقية الأمسية بشيء من قبيل

هل رأيت شيلي نفسه مرة
وهل وقف وتحدث إليك؟[2].

لم أكن أنوي، حين بدأت هذه الرسالة، أن أملأها بوصف لمحاسن روبن مكراي المكتشفة مؤخرًا، فهي ليست سوى اعتذار نادم. لقد كان البارحة بالغ اللطف والدماثة حتى أنني كنت سأمضي اليوم شاعرة بتأنيب الضمير حين أتذكر كم كنت أسخر منه بلا رحمة أمامك وأمام جيرفِس. فأنا لم أعنِ حقًا كل الأمور الفظة التي قلتها. يبدو أن الرجل يصبح عذبًا ووديعًا وجذابًا مرة في الشهر.

جاء پَنْش في زيارة ودية، وفي أثنائها فُقدت ثلاثة شراغيف يبلغ طول كل منها إنشًا. تمكنت سادي كيت من استعادة أحدها من رف الكتب، لكن الآخران وثبا بعيدًا، وأخشى كثيرًا أن يكونا قد اتخذا من فراشي ملاذًا! أتمنى حقًا لو لم تكن الفئران والأفاعي والضفادع

الجالس في راحة لا يعرف شيئًا بأمر المتاعب التي يتعرض لها الآخرون.

(١) روبرت لويس ستفنسن.

(٢) من قصيدة لروبرت براوننغ بعنوان «ذكريات».

وديدان الأرض سهلة الحمل هكذا، فلن تعرفي أبدًا ما يجري في جيب طفل حسن الهيئة تمامًا.




لقد حظيت بإقامة جميلة في قصر پندلتن. لا تنسي وعدك لي برد الزيارة.

المخلصة أبدًا،

سالي.

ملاحظة: لقد تركت خفين لونهما أزرق فاتح تحت السرير، فهلا طلبت من ماري أن تلفهما وترسلهما لي بالبريد؟ وأمسكي بيدها حين تكتب العنوان، فقد كتبت اسمي على بطاقة العنوان «ماكبيرد».

الثلاثاء

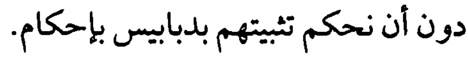
عدوي اللدود

لقد قدمت طلبًا في مكتب العمل في نيويورك لتعيين مربية ماهرة، كما أخبرتك.

مطلوب! مربية ذات حِجر رحبٍ يتسع لعناق سبعة عشر طفلًا دفعة واحدة.

لقد جاءت بعد ظهر اليوم، وقد رسمتُ لك قوام المرأة الجميل!

لم نستطع منع طفل من الانزلاق من حِجرها،


دون أن نحكم تثبيتهم بدبابيس بإحكام.



أعطِ المجلة لسادي كيت من فضلك، سأقرأها الليلة وأعيدها غدًا.

هل رأيت يومًا طالبة وديعة ومطيعة أكثر من س. مكبرايد؟

الخميس

عزيزتي جودي

قضيت الأيام الثلاثة الأخيرة منهمكة في تنفيذ التجديدات الأخيرة التي خططنا لها في نيويورك. وقولك هو الفصل، وُضع مرطبانٌ مفتوح للبسكويت.

كما أنني طلبت ثمانين صندوق لعب. إن امتلاك صندوق خاص لكل طفل لفكرة رائعة، إذ يمكنه أن يخزن فيه كل كنوزه. ستساعد ملكية متاع قليل على تحويلهم إلى مواطنين مسؤولين. كان علي أن أفكر بذلك بنفسي، لكن الفكرة لم تخطر لي لسبب ما. عزيزتي جودي! إن لك معرفة بدواخلهم وآمال قلوبهم الصغيرة لن أكون قادرة أبدًا على امتلاكها، ولا بكل العطف الذي أحمله.

نحاول جهدنا أن ندير هذه الدار بقليل من القوانين المزعجة قدر المستطاع، ولكن فيما يتعلق بصناديق اللعب هذه، ثمة نقطة أود أن أكون حازمة فيها. لا يسمح للأطفال أن يحتفظوا بالفئران أو الضفادع أو ديدان الأرض في صناديق اللعب.

لا أستطيع وصف مدى سعادتي لرفع أجر بتسي، وأننا سنبقيها بشكل دائم. لكن المبجل سايرس استهجن الأمر. فقد كان يسأل، وعرف أن أهلها قادرين على الاعتناء بها تمامًا دون الحاجة لأجرها.

فقلت له: إنك لا تقدم استشارة قانونية مجانية، فلِمَ يتعين عليها أن تقدم خدمتها بلا مقابل؟

- هذا عمل خيري.

- تعني أن العمل الذي تقوم به لصالحك يجب أن تأخذ عليه أجرًا، في حين أن العمل الذي يقدم من أجل الصالح العام لا يؤخذ أجر مقابله؟

- قال: هراء! إنها امرأة وعلى عائلتها أن تعيلها.

وفتح هذا آفاقًا للجدل لا آبه بدخولها مع المبجل سايرس، لذا سألته إن كان يرى أن نزرع بستانًا حقيقيًا، أو نفرش قشًا على السهل المؤدي للبوابة. إنه يجب أن يستشار، وأنا أدلله بقدر استطاعتي في التفاصيل الثانوية. وكما ترين فأنا أتبع نصيحة ساندي الماكرة: «الأوصياء مثل أوتار الكمان، يجب ألا تشديها بقوة. لاطفي الرجل، لكن افعلي الأمور حسب هواك». أوه، يا لها من مهارة يعلمني إياها هذا الملجأ! سأصبح زوجة سياسي بارعة بلا شك.

الخميس ليلًا

ستسرين لمعرفة أنني أرسلت پَنْش للإقامة مع عانسين لطيفتين مؤقتًا، كانتا تتحرقان شوقًا لطفل. جاءتا أخيرًا الأسبوع الماضي، وقالتا إنهما ترغبان بأخذ واحد لشهر لتجربة الشعور.

كانتا تريدان، طبعًا، تحفة جميلة ترتدي الأبيض والزهري وتنحدر من ماي فلور. وأخبرتهما أن بوسع أي أحد الحصول على

ابنة من ماي فلور لتكون حلية في المجتمع، لكن المفخرة الحقيقية تكمن في تنشئة ابن من أب إيطالي كان عازف شارع، وأم إيرلندية كانت غاسلة ثياب، وقدمت لهما بَنْش. فقد تتحول تلك الصفات الوراثية النابولية، والحديث مجاز، إلى مزيج فخم إن استطاعت البيئة الملائمة اجتثاث كل الحشائش الضارة.

لقد عرضت الأمر عليهما بوصفه مسألة تحدٍ، وقد كانت شجاعتين. إذ وافقتا على أخذه لشهر واحد، وتركيز كل طاقتهما المدخرة لسنوات على تأهيله، بغرض أن يكون ملائمًا لتتبناه عائلة صالحة. كلاهما تمتلك حس الدعابة والذكاء، وإلا لم أكن لأجرؤ على اقتراح الأمر. وأظن فعلًا أن هذه ستكون الطريقة الوحيدة لترويض صغيرنا المشاكس. ستقدمان له الحب والاهتمام والدلال التي لم يحظ بها في كل حياته البائسة.

إنهما تعيشان في منزل قديم أخاذ له حديقة إيطالية الطراز، وأثاث منتقى من كل أنحاء العالم. ويبدو الأمر مثل تدنيس للمقدسات إن ترك ذلك الطفل المخرب طليقًا في مجموعة من الكنوز كهذه. لكنه لم يكسر شيئًا هنا لأكثر من شهر، وأظن أن الإيطالي بداخله سيتأثر بكل ذلك الجمال.

ونبهتهما لضرورة ألا يجفلا من أي تجديف يخرج من بين شفتيه الصغيرتين الجميلتين.

لقد غادر البارحة في سيارة فارهة، وكم كنت سعيدة بوداع رجلنا الصغير اللئيم! لقد استنزف نصف طاقتي تقريبًا.

وصل القرط هذا الصباح. شكرًا جزيلًا! لكن لم يكن عليك إرسال حلية آخرى، فلا يمكن اعتبار المضيفة مسؤولة عما يفقده الضيوف المهملون في منزلها. إنها تفوق عنقي جمالًا. أفكر بثقب أنفي، على طريقة سكان سريلانكا، وأضع حليتي الجديدة حيث ستظهر للعيان بوضوح.

لا بد أن أخبرك أن پيرسي يقوم بجهد بنّاء في هذا المأوى، فقد أسس مصرف جون غرير، وأنهى كل التفاصيل بطريقة محترفة مماثلة للأعمال التجارية، لا يمكن لعقلي اللاحسابي أن يستوعبها. يملك كل الأطفال الكبار دفاتر صكوك مطبوعة جيدًا، ويُدفع لكل منهم خمسة دولارات في الأسبوع مقابل خدماتهم، كالذهاب إلى المدرسة وإنجاز الأعمال المنزلية. ثم يدفعون للدار (بالصكوك) مقابل إقامتهم وثيابهم، ما يستهلك دولاراتهم الخمسة. تبدو حلقة ماكرة، لكنها تعليمية حقًا؛ إذ سيدركون قيمة المال قبل أن نخرجهم إلى العالم. وسيحصل المجتهدون فعلًا في الدروس أو العمل على تعويض إضافي. إن الصداع يصيبني بمجرد التفكير بالعمل على دفتر الحسابات، لكن پيرسي ينهيها وكأنها لعبة. وسندربهم ليشغلوا مناصب في المصارف. إن سمع جيرڤِس بإعلان عن تعيين موظفي مصرف، فأبلغيني، إذ سيكون لدي مدير وأمين صندوق وصراف مؤهلين جاهزين للعمل في مثل هذا الوقت من العام القادم.

لا يحب طبيبنا أن يسمى «عدو»، فهذا يؤذي مشاعره أو كرامته أو شيئًا من هذا القبيل، ولكن ما دمت أصر رغم كل احتجاجاته، فقد وجد لي اسمًا مستعارًا يناسبني. إنه يدعوني «الآنسة سالي لُن»[1]، ويكاد يضيء زهوًا لأنه حقق انتصارًا خياليًا كهذا.

لقد ابتكرنا أنا وهو طريقة جديدة للتسلية؛ إذ يتحدث هو الاسكتلندية وأرد أنا بالإيرلندية، وتمضي محادثاتنا كالتالي:

- مساء الخير أيها الطبيب، وكيف صحتك اليوم؟

- طيبة طيبة، وكيف هو مزاجك؟

- إنه بحال طيبة فعلًا.

- أنا سعيد للغاية بسماع ذلك. هذا الطقس الغائم مزعج للناس، والمرض ينتشر في الريف.

- حمدًا للرب أنه لم يصلنا هنا! لكن اجلس أيها الطبيبُ وكن مرتاحًا. هل تود شرب كوب من الشاي؟

- لم أكن أود إزعاجك، لكني لا أمانع في شرب قليل من الشاي.

---

(١) امرأة فرنسية هربت من الاضطهاد عام ١٦٨٠ وجاءت إلى إنجلترا، اسمها الحقيقي سولانج ليبون، ولصعوبة اسمها سماها الإنجليز سالي لُن. كانت تعمل في مخبز تبيع فيه ما يعده الخباز، ثم أخذت تخبز كعكات البريوش اللذيذة الشبيهة بخبز الأعياد الفرنسي، فلاقت استحسانًا لدى الإنجليز وذاع صيتها.

- صه! لا إزعاج مطلقًا.

لعلك لا ترين هذا استطرادًا مدوخًا من اللهو، لكني أؤكد لك أنه شغب حسن، بالنظر إلى شخص في وقار ساندي. كان الرجل في مزاج طيب منذ عودتي، فلم أسمع كلمة واحدة مزعجة. بدأت أظن أنني قد أصلحه مثلما أصلح پَنْش.

لا شك أن هذه الرسالة طويلة تمامًا حتى بالنسبة لك، لقد كنت أكتبها شيئًا فشيئًا منذ ثلاثة أيام، كلما مررت بمكتبي.

المخلصة بحق،

سالي.

ملاحظة: لا أثق كثيرًا بوصفتك التي تتباهين بها في مقوي الشعر، فإما أن الصيدلاني لم يخلطه على نحو صحيح، أو أن جين لم تضعه بحذر. لقد التصق رأسي بالوسادة هذا الصباح.

ميتم جون غرير
السبت

عزيزي غوردن

وصلت رسالتك المرسلة يوم الخميس، وأراها سخيفة للغاية. لا أفكر قطعًا بهجرك بطريقة لطيفة، فهذه ليست طريقتي. ولو أردت هجرك، لفعلت ذلك فجأة وبشجار رهيب. لكني لم أدرك حقًا أنه قد مر ثلاثة أسابيع منذ أن كتبت لك آخر مرة. أرجو المعذرة.

كما أن علي أن أذكرك يا سيدي العزيز أنك كنت في نيويورك الأسبوع الماضي، ولكنك لم تحاول رؤيتنا. وظننت أننا لن نعرف بالأمر، لكننا سمعنا، ونشعر بالإهانة.

هل ترغب بسماع موجز بمهامي هذا اليوم؟ كتبت تقريرًا شهريًا لاجتماع الأوصياء، ودققت الحسابات، وتناولت الغداء مع مندوب اتحاد دعم الأعمال الخيرية في الولاية، وأشرفت على قوائم مهام الأطفال لعشرة أيام قادمة، وأمليت خمس رسائل لأسر لديها بعض من أطفالنا، وزرت صغيرتنا المختلة عقليًا لوريتا هغنز (عذرًا للإشارة، فأنا أعرف أنك لا تحب أن أتحدث عن المختلين عقليًا)، التي تقيم مع عائلة لطيفة حيث تتعلم العمل. عدت لتناول الشاي والحديث مع الطبيب حول إرسال طفل لديه عقد درنية إلى

المستشفى. وقرأت مقالًا حول نظام الأكواخ المنفصلة مقابل النظام الجماعي في إيواء الأطفال المعوزين. (نحن بحاجة لأكواخ! آمل أن ترسل إلينا بعضًا منها هدية لعيد الميلاد). وها هي الساعة التاسعة وأنا أكتب، ناعسةً، رسالة لك، فهل تعرف الكثير من الشابات في المجتمع اللاتي يستطعن الحديث عن يوم مثمر كهذا؟

أوه، نسيت القول إنني سرقت عشر دقائق من حسابي هذا الصباح لتعيين طاهية جديدة. لأن طاهيتنا سالي واشنطن -جونستن، التي تطهو بشكل يلائم ملائكتنا، لها طبع بغيض جدًا، وقد أرعبت المسكين نوح، رجل التدفئة الفائق المهارة، إلى حد جعلنا نسرّحها. لا يمكنني التخلي عن نوح، فهو أكثر فائدة لهذه الدار من ناظرتها، وهكذا ما من سالي واشنطن -جونستن بعد اليوم.

حين سألت الطاهية الجديدة عن اسمها قالت «اسمي هو سوزان إستيل، لكن أصدقائي يسمونني بِت». أعدت بِت العشاء الليلة، لكن لا بد من قول إنها تفتقر إلى لمسة سالي الأنيقة. لقد حزنت للغاية أنك لم تزرنا أثناء وجود سالي، إذ كنت ستتخلى عن رأيك المتطرف في إدارتي للدار.

لقد غلبني النعاس في تلك اللحظة، وقد مر يومان على ذلك.

يا لغوردن المهمل المسكين! تذكرت للتو أننا لم نشكرك أبدًا على الصلصال الذي وصل قبل أسبوعين، وقد كان هدية ذكية للغاية، بحيث كان علي أن أبرق لك بشكري. حين فتحت الصندوق ورأيت كل ذلك الطين الفوضوي الجميل، جلست في مكاني

وصنعت تمثالًا لسنغاپور. لقد أحبه الأولاد؛ ومن المفيد جدًا أن نشجع الأعمال اليدوية في تعليمهم.

بعد دراسة دقيقة للتاريخ الأمريكي، خلصت إلى أن لا شيء مهم لرئيس المستقبل بقدر أداء إلزامي قسري باكر للمهام اليومية.

وبناء عليه قسمت العمل اليومي في هذه الدار إلى مئة جزء، ويتناوب الأطفال أسبوعيًا في سلسلة من المهام غير المعتادة. إنهم يفعلون كل شيء بنحو سيء طبعًا، لأنهم ما إن يتعلموا كيفية أداء أمر حتى ينتقلوا إلى شيء جديد. سيكون من الأسهل لنا حتمًا أن نتبع أسلوب السيدة ليپيت القاسية في إبقاء كل طفل محكوم مدى الحياة بأداء مهمة واحدة أتقنها جيدًا، ولكن حين يسيطر علي الإغراء بفعل ذلك أتذكر صورة فلورنس هنتي، التي لمعت مقابض الباب النحاسية في هذه الدار لسبع سنوات - وأدفع الأطفال للمضي قدمًا بثبات.

ينتابني الغضب كلما تذكرت السيدة ليپيت. إن لها وجهة نظر سياسي ينتمي لتاماني هول[1] تمامًا، دون أدنى حس بخدمة المجتمع، واهتمامها الأوحد في ميتم جون غرير ينصب على كسب عيشها منه فحسب.

الأربعاء

ما فرع التعليم الجديد الذي أدرجته في هذا المأوى برأيك؟ آداب المائدة!

---

(١) جمعية سياسية أمريكية ديمقراطية، عرفت بالفساد والتزوير الانتخابي.

لم يخطر لي أبدًا أن تعليم الأطفال كيف يأكلون ويشربون سيكون متعبًا جدًا هكذا. فطريقتهم المفضلة هي وضع أفواههم داخل أكوابهم ولعق الحليب مثل الهررة. إن اللياقة ليست مجرد بهرج تكبّر، كما يؤمن نظام السيدة ليبيت، بل تعني انضباط الذات والتفكير بالآخرين، ولا بد أن يتعلمها أطفالي.

لم تسمح لهم تلك المرأة بالحديث أثناء الطعام، وأقضي وقتًا عصيبًا في الحصول على أي حديث منهم أكثر من همسات مذعورة. لذا ابتكرت عادة لجلوس الطاقم كله، حتى أنا، معهم على المائدة وتوجيه الحديث في حدود المرح والإرشاد. كما أنني وضعت نظامًا صغيرًا صارمًا جدًا في تعليم آداب المائدة، حيث يقضي الصغار، في مراحل، أسبوعًا من الإلحاح الدائم، وتمضي أحاديثنا الراقية على المائدة هكذا:

«أجل يا توم، كان نابليون بونابرت رجلًا عظيمًا، أبعد مرفقيك عن المائدة. لقد كان له قوة هائلة في تركيز تفكيره على ما يريد أيًا يكن، وهذه هي طريقة النجاح -لا تجذبي يا سوزان، اطلبي الخبز بأدب وستمرره كاري إليك- لكنه كان مثالًا على أن التفكير الأناني لصالح نفسه، دون اعتبار لحياة الآخرين سينتهي بكارثة -أبقِ فمك مغلقًا حين تمضغ يا توم!- وبعد معركة واترلو -دع كعكة سادي وشأنها- كان سقوطه الأكبر لأنه -سادي كيت يمكنك مغادرة المائدة- إذ لم يحدث ما فعله فرقًا. لا يمكن لسيدة أن تصفع رجلًا محترمًا تحت أي استفزاز».

مر يومان. هذه هي الطريقة المشتتة نفسها التي أكتب بها لجودي.

لا يمكنك، على الأقل، يا رجلي العزيز أن تتذمر من أنني لم أفكر بك هذا الأسبوع! أعلم انك تكره أخبار الميتم، لكني لا أستطيع منع نفسي من كتابتها، لأن هذا كل ما أعرفه. ليس لدي خمس دقائق في اليوم لقراءة الصحف، وقد غاب العالم الخارجي الكبير. إن كل اهتماماتي تكمن في داخل هذا القفص المعدني الصغير.

أنا حاليًا،

س. مكبرايد،

مشرفة ميتم جون غرير.

الخميس

عدوي اللدود

«ليس الوقت إلا النهر الذي أمضي إليه لأصيد السمك فيه»[1].

أليس في هذا حس فلسفي قدسي؟ هذا قول لثورو الذي أقرأه بنهم في الوقت الراهن. لقد ثرت على أدبك كما ترى، وعدت إلى خياراتي ثانية. وكرست الليلتين الماضيتين لقراءة والدن، وهو كتاب بعيد عن مشاكل الأطفال المعوزين قدر المستطاع.

هل قرأت يومًا للعجوز هنري ديڤد ثورو؟ عليك ذلك حقًا، أظنك ستجده شخصًا لطيفًا. اقرأ هذا «إن المجتمع مبتذل عمومًا، إذ نلتقي في أوقات استراحة قصيرة، دون أن نملك الوقت لمعرفة قيمة جديدة لدى بعضنا بعضًا. سيكون من الأفضل لو لم يكن في كل ميل مربع سوى ساكن واحد، كما في المكان الذي أعيشه». لا بد أنه كان رجلًا سعيدًا اجتماعيًا يحب جيرانه! يذكرني بساندي بطريقة ما.

أرسل هذه الرسالة لإعلامك بزيارة مندوبة لمؤسسة للتبني. إنها على وشك أخذ أربعة من فراخنا، وتاماس كيهوي أحدهم. ما رأيك؟ هل علينا المجازفة؟ المكان الذي تراه صالحًا له مزرعة

(١) قول لهنري ديڤد ثورو من كتاب والدن أو من وحي الغابة، ترجمة أمين مرسي قنديل.

في قطعة أرض غير محررة في كونكتكت، حيث سيعمل جاهدًا مقابل إقامته ويعيش مع عائلة المزراع. يبدو أمرًا مناسبًا له، كما أننا لا نستطيع إبقاءه هنا إلى الأبد، ولا بد أن يخرج يومًا إلى عالم مليء بالوسكي.

أعتذر لأني سأبعدك من عملك الممتع على «الخرف المبكر» لكني سأكون ممتنة للغاية إن مررت هنا الساعة الثامنة لتلتقي بالمندوبة.

أنا، كالعادة،

س. مكبرايد.

السابع عشر من يونيو

عزيزتي جودي

اختلقت بتسي خدعة يأنفها الضمير على أبوين بالتبني. لقد سافرا شرقًا من أوهايو في سيارتهما لغرض مزدوج في رؤية الريف واختيار ابنة. وتبين أنهما مواطنان بارزان في بلدتهما، يغيب اسمها عن ذهني في هذه اللحظة، لكنها بلدة مهمة. فيها مصابيح كهربائية ووقود، ويملك المواطن البارز حصة كبيرة في كلتا الشركتين [الكهرباء والوقود]، ويمكنه بتلويحة من يده أن يغرق تلك البلدة كاملة بالعتمة. لكنه رجل طيب لحسن الحظ، ولن يفعل شيئًا بهذه القسوة، حتى وإن لم يعيدوا انتخابه ليكون عمدة. يعيش في بيت من القرميد له سطح وبرجان، وفيه غزال ونافورة، والكثير من الأشجار الظليلة الأنيقة في الفناء. (يحمل صورة المنزل في جيبه) إنهما شخصان طيبان سخيان رقيقا القلب باسمان، وسمينان بعض الشيء، ولك أن تري كم يمكنهما أن يكونا أبوين محبوبين.

حسن، كان لدينا فتاة أحلامهما المناسبة، عدا أنها كانت ترتدي منامة من القطن وكان وجهها قذرًا، ذلك لأنهما جاءا دون إعلامنا. فنظرا إلى كارولين ولم تعجبهما، لكنهما شكراني بأدب وقالا إنهما سيفكران بأمرها. إذ يودان زيارة دور الأيتام في نيويورك قبل اتخاذ

القرار. ونحن نعرف جيدًا أنهما إن شاهدا مجموعة الأطفال الممتازة تلك، فلن تحظى عزيزتنا كارولين بفرصة.

وكانت بتسي على مستوى الحدث. فدعتهما بلباقة لزيارة بيتها لتناول الشاي بعد ظهر ذلك اليوم، ورؤية واحدة من نزيلاتنا الصغيرات، التي كانت تزور ابنة أخيها. لا يعرف السيد والسيدة المواطنان البارزان كثيرًا من الناس في الشرق، ولم يتلقيا دعوات يشعران بوجوب تلبيتها، لذا كانا مسرورين سرورًا ساذجًا للقليل من الزيارات الودية. استدعت بتسي سيارة، في اللحظة التي عادا فيها إلى الفندق لتناول الغداء، وأخذت كارولين الصغيرة إلى منزلها. وقد حشتها بأفضل ثوب لدى ابنة أختها، مطرز باللونين الأبيض والزهري، واستعارت قبعة عليها دانتيلا إيرلندية، وجوارب زهرية وخفين أبيضين، وأطلقتها بأناقة على المرج الأخضر، تحت شجرة وارفة. وقدمت لها مربية ترتدي مئزرًا أبيض (مستعارة أيضًا من ابنة أختها) الخبز والحليب والدمى الملونة الأنيقة. وفي الوقت الذي وصل فيها الأهل المنتظرون حيتهما كارولين، المتخمة من الطعام والرضا، بهديل البهجة. وامتلأت نفسهما بالأمل منذ أن وقعت أنظارهما عليها. ولم يبدُ في ذهنهما الغافلين أي أثر للشك بأن هذه البرعمة الصغيرة الحلوة كانت الطفلة نفسها هذا الصباح. وهكذا بعد إنهاء بعض الشكليات، يبدو أن كارولين ستعيش في أحد البرجين وتصبح مواطنة بارزة.

علي العمل حقًا، دون مزيد من التأخير، على المسألة الملحة

للثياب الجديدة لفتياتنا.

بروح عالية، أنا،

يا سيدتي العزيزة،

خادمتك المطيعة المتواضعة،

سالي. مكبرايد.

التاسع عشر من يونيو

غاليتي جودي

إليك أعظم أخبار التجديد، وهذا سيسعد قلبك.

لا مزيد من القماش القطني الأزرق!

لما كنت أرى أن هذا الجوار الأرستقراطي من المنازل الريفية قد يكون فيه عونًا مهمًا لمأوانا، فقد كنت أدور مؤخرًا في الحلقات الاجتماعية في القرية، وعثرت البارحة على الغداء على أرملة جميلة وساحرة ترتدي فساتين منسابة أنيقة تصممها بنفسها. وأعربت لي بأنها أحبت دومًا أن تكون خياطة، لو أنها ولدت وفي فمها إبرة بدلًا من الملعقة الذهبية. تقول إنها لا ترى فتاة جميلة سيئة الهندام دون أن تنتابها الرغبة في أخذها وتغيير مظهرها. هل سمعت بأمر مناسب كهذا؟ لقد عرفت أنها المنشودة منذ أن فتحت شفتيها.

«بوسعي أن أريك خمسين فتاة سيئة الهندام»، قلت لها، «وعليك أن تعودي معي وتصممي ثيابهن الجديدة وتجعليهن جميلات».

اعترضت هي، لكن دون جدوى. لقد قدتها إلى سيارتها ودفعتها إليها وهمهمت للسائق بقولي «ميتم جون غرير». كانت سادي كيت أول نزيلة وقعت عليها أنظارنا، وقد فرغت لتوها، كما أظن، من عناق برميل الدبس وكان منظرها صادمًا لأي شخص

ذي ذائقة جمالية. بالإضافة إلى الدبق، كان أحد جوربيها نازلًا، ومريولها مزررًا باعوجاج، وقد أضاعت شريط شعرها. لكنها -كالعادة- كانت سعيدة للغاية ورحبت بنا بابتسامة مرحة، ومدت يدًا دبقة للسيدة.

فقلت أنا بانتصار: ها أنت ترين كم نحتاجك. ما الذي يمكنك فعله لتجعلي سادي كيت جميلة؟

«أغسلها»، قالت السيدة لڤرمور.

أخذت سادي كيت إلى حمامي، وحين انتهى الذعك، ورُتب الشعر ثانية، وأعيد الجوربان إلى الارتفاع نفسه، أعدتها لنظرة ثانية، وكانت يتيمة عادية صغيرة. أدارتها السيدة لڤرمور من جانب لآخر وتفحصتها بجِدّ.

إن سادي كيت بطبيعتها فتاة إيرلندية صغيرة جميلة جامحة سمراء غجرية بعض الشيء، تبدو كأنها قدمت حديثًا من سهول كونمارا[1] التي لعبت بها الرياح. لكن أوه، لقد تمكنا من سلبها جمالها الفطري بزي الدار المقيت هذا!

وبعد تأمل صامت لخمس دقائق، رفعت السيدة لڤرمور نظرها إلي.

«أجل يا عزيزتي، أنتم بحاجتي».

(١) منطقة في مقاطعة غالوي في إيرلندا.

وعندئذ وضعنا خطتنا. ستترأس لجنة الثياب، وستختار ثلاثة من صديقاتها لمساعدتها؛ وهن إلى جانب أربع وعشرين من أمهر الخياطات بين فتياتنا ومعلمة الخياطة وخمس آلات خياطة، سيغيرن مظهر هذه الدار. وفي عملنا هذا كل الخير، فنحن نعيد السيدة لڤرمور إلى المهنة التي حرمها منها القضاء والقدر. أليس العثور عليها ذكاء مني؟ لقد استيقظت هذا الصباح فجرًا وصحت صيحة ظفر!



تصور للثياب

لدي المزيد من الأخبار -يمكنني أن أكتب مجلدًا آخر- لكني سأرسل هذه الرسالة إلى البلدة مع السيد وذرسپون، الذي يوشك على المغادرة في هذه اللحظة، مرتديًا ياقة عالية وأحلك ما يوجد في الثياب المسائية، لحفل رقص ريفي في نادي الريف. أخبرته أن يختار للرقص أجمل الفتيات ويعود ليروي القصص لأطفالنا.

إنني أتحول إلى شخص مخادع، وهو أمر مروّع. فكلما تحدثت مع أحدهم، شغلني سؤال واحد أفكر فيه في صمت «أي فائدة نجنيها منك للمأوى؟».

هنالك خطر كبير من أن تصبح هذه المشرفة شديدة الولع بعملها حتى لا ترغب بالرحيل. أتخيلها أحيانًا سيدة عجوز بشعر أبيض، مدفوعة في المبنى على كرسي متحرك، لكنها لم تزل تشرف بعناد على الجيل الرابع من الأيتام.

سرّحيها من فضلك قبل أن يحلّ ذلك اليوم!

المخلصة،

سالي.

الجمعة

عزيزتي جودي

صباح البارحة، دون أي إنذار، وقفت عربة المحطة أمام الباب وترك رجلان على العتبات ولدين وطفلة، وحصانًا هزازًا ودمية دب ثم ذهبا!

كان الرجلان فنانين، والأطفال أبناء فنان آخر مات قبل ثلاثة أسابيع. وقد جلبا الصغار إلينا لأنهما ظنا أن جون غرير يبدو قويًا ومحترمًا، وليس مثل الدور العامة. ولم يخطر في عقليهما الجاهلين بوجود إجراءات لا بد أن تتبع لإدخال طفل في ميتم.

وأوضحت لهما أننا ليس لدينا مكان، لكنهما كانا مصممين ومذعورين، حتى أنني أخبرتهما أن يجلسا لأشير عليهما بما يفعلان. لذا أرسل الأطفال إلى الحضانة؛ مع توصية بمنحهم الخبز والحليب، في الوقت الذي أصغي فيه إلى قصتهم. كان لهؤلاء الفنانين لمسة أدبية قاتلة، أو لعله كان صوت ضحكة الفتاة الصغيرة، ولكن قبل أن يكملا قصتهما كان الأطفال أطفالنا.

لم يسبق لي أن رأيت كائنًا أشد مرحًا من الصغيرة ألغرا (لا نحصل على أسماء جميلة كهذه، أو أطفالًا محبوبين مثلها). إنها في الثالثة من عمرها، وتتحدث لغة الأطفال المضحكة، وتغرغر

بالضحك. لم تؤثر المأساة التي خرجت منها لتوها أبدًا فيها. أما دون وكلفرد، الصبيان الصغيران العنيدان، اللذان تبلغ أعمارهما الخامسة والسابعة، فقد كانت عيونهما حزينة، وخائفين من قسوة الحياة.

كانت أمهم معلمة روضة تزوجت من فنان له ثروة من الحماس وبضع أنابيب من الألوان. يقول أصدقاؤه إنه موهوب، لكنه اضطر للتخلي عن الموهبة ليدفع لبائع الحليب. كانوا يعيشون كيفما اتفق في محترف متداعٍ، ويعدون الطعام خلف ستارة، وينام الأطفال على الأرفف.

لكن تبين أن للأمر جانبًا سعيدًا؛ إذ كانوا محاطين بقدر كبير من الأصدقاء، جميعهم من الفقراء، لكنهم فنانون ومحبون ومؤثرون. يظهر الأولاد الصغار بكياستهم ولطفهم هذا الجانب من تنشئتهم، إذ يتمتعون بلمسة سيفتقر إليها صغاري إلى الأبد، رغم كل الآداب التي أعلمها لهم.

ماتت الأم في المستشفى بعد أيام قليلة من ولادة ألغرا، وعانى الأب لعامين وهو يعتني بصغاره ويرسم كالمجنون -يرسم الإعلانات وأي شيء- للحفاظ على السقف الذي يظلهم.

مات في مستشفى القديس ڤنسنت قبل ثلاثة أسابيع، من فرط العمل والقلق ومن ذات الرئة. حنى صديقاه على الصغار، وباعا كل محتويات المحترف، ثم تحررا من الرهن وسددا الديون، وبحثا عن أفضل مأوى يمكنهم العثور عليه. ولتحفظهما السماء! لقد عثرا علينا!

حسن، أبقيت الفنانين لتناول الغداء -إنهما كائنان لطيفان يرتديان قبعتين وربطتي عنق بعقدة وندسور، ويبدو أنهما أجهدا نفسيهما للغاية- ثم انطلقا عائدين إلى نيويورك وقد وعدتهما أنني سأولي العائلة الصغيرة معظم اهتمامي الأمومي.

وها هم، أحدهم في الحضانة، واثنان في الروضة، وأربع حقائب كبيرة تغص بقماش الرسم في القبو، وحقيبة في غرفة التخزين فيها رسائل أمهما وأبيهما. وقد رأيت حين ألقيت نظرة على وجوههم شيئًا روحانيًا غامضًا، كان هذا إرثهم.

لا أستطيع الكف عن التفكير بهم، وقد قضيت الليل بطوله وأنا أخطط لمستقبلهم. كان مستقبل الولدين سهلًا؛ فقد تخرجا [في خيالي] في الكلية، بمساعدة السيد پندلتن، وباشرا مسيرة مهنية عظيمة. أما ألغرا فلا أعرف؛ لا يمكنني تصور ما أتمناه للطفلة. سيكون من الطبيعي بلا شك أن أتمنى لأي طفلة صغيرة حلوة أن يأتي أبوان راعيان لطيفان ليحلا محل والديها الحقيقيين اللذين سلبهما القدر منها، لكن سيكون أخذها بعيدًا عن إخويها أمرًا قاسيًا. فحبهما للطفلة مثير للشفقة، إذ إنهما أنشآها كما ترين. لا أسمعهما يضحكان مطلقًا إلا أن فعلت شيئًا مضحكًا. يفتقد الطفلان الصغيران أباهما للغاية، فقد وجدت دون، الذي يبلغ الخامسة من العمر، ينشج في سريره الليلة الماضية، لأنه لم يستطع تمني ليلة طيبة لـ «بابا».

لكن ألغرا اسم على مسمى[1]، لأنها الآنسة الأسعد بين الثلاثة.

---

(١) اسم من أصول إيطالية ويعني سعيدة أو جذلة.

لقد أحسن إليها الأب المسكين، وقد نسيت، الجاحدة الصغيرة، أنها فقدته.

ما الذي أستطيع فعله لهؤلاء الصغار؟ إنني أفكر بهم وأفكر؛ غير أني لا أستطيع إرسالهم خارجًا، ويبدو في الوقت نفسه أن تنشئتهم هنا أمر مريع، لأننا مهما غدونا جيدين بعد أن ننتهي من إعادة التأهيل، إلا أننا نظل ملجأ، ونزلاؤنا ليسوا سوى فراخ من آلة تفريخ، ولا يحصلون على الرعاية الفردية الدقيقة التي تمنحها أي دجاجة كبيرة.

هنالك الكثير من الأخبار المهمة التي كنت سأخبرك بها، لكن عائلتي الصغيرة الجديدة قد أطارت كل شيء من عقلي.

الأطفال بهجة حقيقية، إن لم تضطر للقلق[1] فقط.

المخلصة دومًا،

سالي.

ملاحظة: لا تنسي أنك قادمة لزيارتنا الأسبوع المقبل.

ملاحظة ٢: لقد وقع الطبيب، الذي يكون عادة علميًا ولا عاطفيًا، في هوى ألغرا. لم يفعل شيئًا سوى أن ألقى نظرة على لوزتيها، فحملها ببساطة بين ذراعيه وعانقها. أوه، إنها ساحرة صغيرة! ما الذي سنراه منها لاحقًا؟

---

(١) تعكس سالي المثل الاسكتلندي الذي يقول إن الأطفال يتطلبون اهتمامًا حقيقيًا، لكن البهجة ليست أكيدة.

الثاني والعشرون من يونيو

عزيزتي جودي

علي أن أبلغك ألا تقلقي بعد الآن إزاء وقايتنا غير الوافية من الحريق، فالطبيب والسيد وذرسپون يوليان الأمر أشد الاهتمام، ولم نجد لعبة أشد إمتاعًا وتخريبًا من جهاز إنذار الحريق.

يذهب كل الأطفال إلى فرشهم ويستغرقون في غفوة متحفزة، ثم ينطلق إنذار الحريق. فينهضون ويرتدون أحذيتهم، وينزعون الأغطية من فرشهم، ويلفونها حول ثياب نومهم المتخيلة، وينتظمون في صف ويمشون إلى القاعة والسلالم.

كل واحد من أطفالنا الصغار في الحضانة في عهدة واحد من الهنود الحمر، يصره زاعقًا من السرور. أما بقية الهنود، فقد كرسوا أنفسهم للإنقاذ، ما دام ليس ثمة خطر من وقوع السقف. وبمناسبة تجربة إنذار الحريق الأول لنا، ألقي محتوى اثنتي عشرة خزانة ثياب، بأمر پيرسي، في الشراشف ورميت من النافذة. لكني اغتصبت السلطة في الوقت المناسب لإبعاد الوسائد والفرش من اللحاق بها. أمضينا ساعات في إعادة تلك الثياب، في حين أن پيرسي والطبيب، بعد أن فقدا حماسهما، قد خرجا إلى المخيم مع غليونيهما.

ستكون تجربة إنذار الحريق مستقبلًا أقل واقعية. على أية حال،

يسرني إخبارك أننا أخلينا المبنى، في ظل التوجيهات الماهرة لضابط الإطفاء وذرسپون، في ست دقائق وثمان وعشرين ثانية.

إن للصغيرة ألغرا دم جنيات في عروقها، ولم تؤوِ الدار أحدًا مثلها مطلقًا، باستثناء واحدة نعرفها أنا وجيرفِس. لقد روّضت الطبيب كليًا، فبدلًا من الذهاب في عيادته للمرضى، مثل أي طبيب وقور، يأتي إلى مكتبي يدًا بيد ألغرا، ويزحف لنصف ساعة على البساط، متظاهرًا أنه حصان، في حين الفتاة الصغيرة الجميلة تجلس على ظهره وتركل.

هل تعرفين؟ إنني أفكر بوضع إعلان في الصحف:

إعادة تأهيل الشخصية ببراعة

س. مكبرايد.

مر ساندي قبل ليلتين ليتحدث قليلًا معي ومع بتسي، وقد كان عابثًا. إذ روى ثلاث نكات، وجلس إلى البيانو وغنى بعض الأغاني الاسكتلندية القديمة، «حبيبتي مثل وردة حمراء»، و«انضم إليّ تحت شالي الطرطان»، و«ما الذي قرب النافذة؟» وهي ليست أغانٍ تثقيفية أبدًا، ثم رقص عدة خطوات من رقصة الاستراسباي[1]!

جلست واستمتعت برؤية صنع يدي، لأن ذلك صحيح، إذ حققته من خلال مثالي العابث، وكتبي التي أعطيتها له وتعريفه

(١) أغانٍ اسكتلندية مشهورة، وقماش الطرطان قماش صوفي ذي مربعات، والاستراسباي رقصة اسكتلندية.

ببعض الرفقة المرحة من أمثال جيمي وپيرسي وغوردن هالوك. وسأجعل من الرجل إنسانًا إن توفر لي بضعة أشهر قلائل أعمل فيها. لقد كف عن ارتداء ربطات العنق الأرجوانية، وارتدى بدلة رمادية باقتراح ذكي مني. لا تتخيلين كم تناسبه. سيصبح حسن المظهر ما إن أجعله يكف عن حمل أشياء ناتئة في جيوبه.

إلى اللقاء وتذكري أننا بانتظارك يوم الجمعة.

سالي.

ملاحظة: هذه صورة لألغرا، التقطها السيد وذرسپون. أليست محبوبة؟ لا تظهر ثيابها الحالية جمالها، لكننا سنلبسها ثوبًا ورديًا واسعًا في غضون أسابيع قليلة.

الأربعاء

الرابع والعشرون من يونيو، الساعة العاشرة صباحًا

السيدة جيرڤِس پندلتن

سيدتي

وصلت رسالتك التي تقول إنك لن تستطيعي القدوم يوم الجمعة حسب وعدك، لأن لدى زوجك عمل يبقيه في المدينة. يا له من هراء! هل بلغ الأمر إلى حد عجزك عن تركه ليوم أو اثنين؟

لم أسمح لصغاري المئة والثلاثة عشر أن يحولوا بيني وبين زيارتي لك، ولا أرى سببًا يجعلك تسمحين لزوج واحد بأن يحول بينك وبين زيارتي. سأنتظر قطار بيركشاير السريع يوم الجمعة حسب الاتفاق.

س. مكبرايد.

الثلاثون من يونيو

عزيزتي جودي

لقد كانت زيارتك لنا زيارة خاطفة جدًا، لكننا ممتنون لكل اللطائف الصغيرة. كنت مسرورة جدًا حين رأيت سعادتك بما تمضي عليه الأمور، ولا يمكنني انتظار وصول جيرفِس والمهندس وبدء وضع الأسس.

أتعرفين، ينتابني شعور غريب طوال الوقت بأنك كنت هنا. فلا يمكنني تصديق أنك، يا عزيزتي جودي الرائعة، قد نشأت حقًا في هذه الدار، وتعرفين ما يريده هؤلاء الصغار بروحك الشاعرة بالمرارة. تملؤني مأساة طفولتك أحيانًا بالغضب الذي يجعلني أرغب بأن أشمّر عن ساعدي، وأقاتل العالم كله وأجبره على أن يجعل من نفسه مكانًا أكثر ملاءمة ليحيا فيه الأطفال. يبدو أن أصلي الإيرلندي - الاسكتلندي قد أودع قدرًا هائلًا من الكفاح في طبيعتي.

لو أنك أوكلت لي إدارة ملجأ حديث، معد بأكواخ نظيفة جميلة صحية، ويمضي فيه كل شيء حسب الأصول، لما احتملت رتابة عمله المثالي المنتظم. بل رؤية الأشياء الكثيرة التي تحتاج إنجازًا هي ما يجعل بقائي ممكنًا. علي أن أعترف أنني أستيقظ صباحًا أحيانًا

وأصغي إلى ضوضاء الدار، وأتنشق هواءها، وأتوق إلى الحياة السعيدة الهانئة التي كانت حياتي بحكم القانون.

لقد ألقيتِ علي رُقية يا ساحرتي الغالية فجئتُ، لكن رقيتك تصبح خافتة في الليالي الأرِقة، وأبدأ يومي بقرار حاسم بالفرار من ميتم جون غرير. غير أني أؤجل هربي حتى ما بعد الإفطار، وما إن أخرج إلى الممر، حتى أجد واحدًا من هؤلاء الصغار العاطفيين يجري للقائي، ويدس خجلًا يدًا صغيرة دافئة مجعدة في يدي، وينظر للأعلى بعيني طفل واسعتين، يطلب بصمت القليل من التدليل، فألتقطه وأعانقه، ثم أنظر من فوق كتفه إلى الأطفال الصغار المهملين الآخرين، فأود لو أخذت المئة والثلاثة عشر بين ذراعي وأحببتهم في سعادة. ثمة أمر منوّم في العمل مع الأطفال، قاوميه ما شئت، لكنه سيتغلب عليك في النهاية.

يبدو أن زيارتك جعلتني في مزاج فلسفي عميق، غير أن لدي حقًا خبرًا أو اثنين علي قولهما. ستصلنا الفساتين الجديدة، ويا للهول كم ستكون بديعة! أُدخلت رزم الأقمشة القطنية المرقطة التي أرسلتها إلى السيدة لڤرمور - لا بد أن تري مشغلنا، وكل شيء متناثر فيه- وحين أتخيل ستين فتاة صغيرة متشحات بالزهري والأزرق والأصفر ولون الخزامى، يلهون في مرجنا في يوم مشمس، أشعر أننا ينبغي لنا أن نزود زوارنا بنظارات داكنة اللون. تعرفين طبعًا أن بعض هذه الأقمشة ستغدو باهتة الألوان وليست صالحة؛ غير أن السيدة لڤرمور سيئة بقدرك، فهي لا تكترث البتة. بل ستصنع طقمًا ثانيًا أو ثالثًا إن لزم الأمر. فليسقط القماش القطني ذي المربعات!

يسرني أنك أعجبت بطبيبنا. نحن نحتفظ طبعًا بالحق لأنفسنا في قول ما نشاء عنه، لكن مشاعرنا ستجرح كثيرًا إن سخر منه أحد آخر.

ما زلنا أنا وهو نشرف على قراءات بعضنا بعضًا. فقد جاء الأسبوع الماضي حاملًا كتاب هربرت سپنسر[1] نظام الفلسفة الاصطناعية لألقي نظرة عليه، فقبلته بامتنان وأعطيته بدوري مذكرات ماري باشكرتسف. هل تذكرين كيف كنا نثري خطاباتنا في الكلية باقتباسات من ماري؟ حسن، لقد أخذه ساندي إلى البيت وقرأه بتدبر وجدّ.

حين جاء اليوم، اعترف قائلًا: «أجل، إنه سجل صادق لشخصية مغرورة مَرَضية موجودة لسوء الحظ، غير أني لا أدري لماذا تهتمين بقراءتها؛ لأن ليس لديك يا سالي لُن أي قواسم مشتركة مع باش، حمدًا لله!».

هذه أشبه جملة بالثناء قالها يومًا، وأشعر بالإطراء حقًا. وأما ماري، فهو يشير إليها بقول «باش» لأنه لا يستطيع لفظ اسمها، ويأنف كثيرًا أن يحاول.

لدينا طفلة هنا، هي ابنة لفتاة فرقة موسيقية، وهي طفلة لعوب صغيرة، متعجرفة أنانية متغطرسة، مدعية سقيمة كاذبة، لكن لها

---

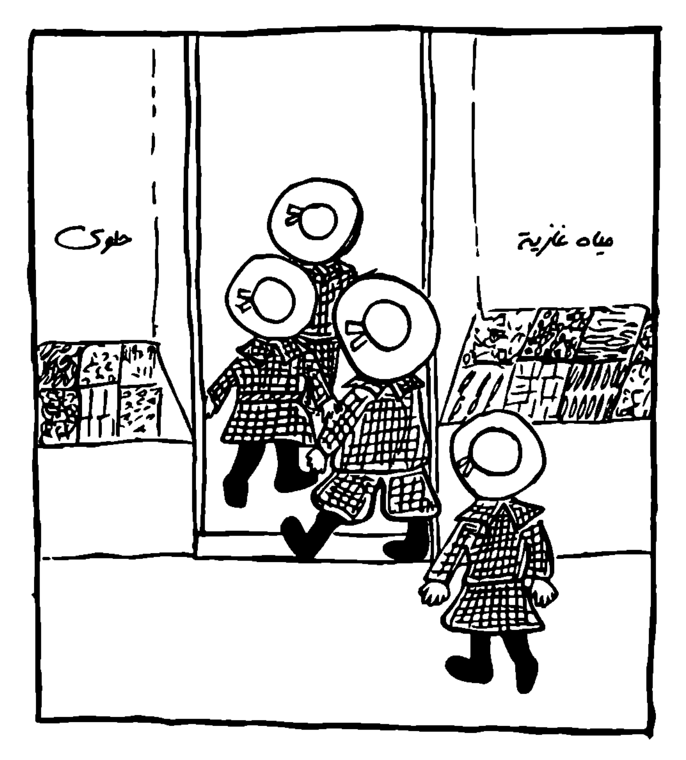
(١) (١٨٢٠-١٩٠٣) فيلسوف وعالم اجتماعي إنجليزي، صاحب عبارة البقاء للأصلح. رأس تحرير الإيكونومست ثم تركها وتفرغ لعمله في الكتابة. من أعماله: المبادئ الأولى.

رموشًا طويلة! لقد بغض ساندي تلك الطفلة شديد البغض، وحيث أنه قرأ مذكرات المسكينة ماري، فقد عثر على صفة شاملة تجمع كل صفاتها الكئيبة. إنه يدعوها باشي ثم يصرفها.

إلى اللقاء وعودي ثانية.

سالي.

ملاحظة: أظهر صغاري رغبة محزنة في سحب كل مدخراتهم في الحسابات المصرفية لشراء الحلوى.



الثلاثاء ليلًا

عزيزتي جودي

ما الذي فعله ساندي لتوه برأيك؟ لقد غادر في رحلة ممتعة إلى ذلك المصح النفسي الذي زارنا مديره الطبيب النفسي قبل شهر أو نحوه. هل عرفت يومًا رجلًا كهذا؟ إنه مفتون بالمجاذيب، ولا يستطيع تركهم وشأنهم.

حين سألته عن بعض التعليمات قبل مغادرته قال:

«أطعمي المقرور، وجوّعي الممغوص، ولا تصدقي طبيبًا».

أشعر أنني حرة ومجازفة جدًا، مع هذه النصيحة وعدة زجاجات من زيت كبد الحوت الموضوعة تحت تصرفنا. ربما من الأفضل لك أن تعودي هنا ثانية، لأنني لا أستطيع أن أصف لك الثورة المرحة التي سأقوم بها حين أتخلص من سلطة ساندي القامعة.

س.

ميتم جون غرير
الجمعة

عدوي اللدود

في الوقت الذي تتجول فيه في الريف ممتعًا نفسك مع المخبولين، أبقى أنا حبيسة البرج. لقد ظننت أنني شفيتك تمامًا من هذا الميل السقيم للمصحات النفسية! إن هذا محبط جدًا. فقد كنت تبدو إنسانًا تقريبًا في الآونة الأخيرة.

هل لي أن أسألك كم تود المكوث هناك؟ سُمح لك بالبقاء ليومين، وها قد أمضيت أربعة. سقط شارلي ماتن من شجرة التوت البارحة وجرح رأسه، واضطررنا لاستدعاء طبيب غريب. والنتيجة خمس غرز، والمريض بحال جيدة. لكننا لا نحب الاعتماد على الغرباء. لم أكن لأنبس بحرف لو أنك كنت مسافرًا في أمر منطقي، لكنك تعرف أنك، بعد قضاء أسبوع مع المكتئبين، ستعود إلى المنزل بحال مزرية من الكآبة، واثقًا أن البشرية ستمضي إلى الحضيض، وسيقع علي عبء إعادة المرح إليك ثانية.

هلا تركت هؤلاء المجذوبين لأوهامهم، وعدت لميتم جون غرير الذي يحتاجك؟

أنا الغيورة جدًا،

صديقتك وخادمتك،

س. مكب.

ملاحظة: ألا تعجبك الخاتمة الشعرية؟ لقد استعرتها من روبرت بيرنز[1] الذي أقرأ أعماله بجد مجاملة لصديق اسكتلندي.

(١) (١٧٥٩-١٧٩٦)، شاعر اسكتلندي، كان ابنًا لمزارع فقير من أيشيار. صار الشاعر الوطني لاسكتلندا، ويحتفى بمولده في الخامس والعشرين من يناير باسم ليلة بيرنز، ويحتفل بها الاسكتلنديون في كل أنحاء العالم.

السادس من يوليو

عزيزتي جودي

ما زال الطبيب غائبًا، ولم يرسل كلمة بل اختفى في الفراغ وحسب. لست أدري إن كان سيعود أم لا، لكن يبدو أننا نعيش بسعادة كبيرة دونه.

تناولت الغداء البارحة برفقة السيدتين اللطيفتين اللتين أحبتا پَنْش من كل قلبيهما. فقد بدا الشاب كأنه في بيته، وقادني من يدي، وقام بواجب الضيافة في الحديقة، مقدمًا لي زهرة الجريس التي أحبها. رفعه الخادم الإنجليزي إلى كرسيه عند الغداء، وربط له الفوطة بلباقة كأنما كان يخدم أميرًا بالوراثة. كان الخادم يعمل في الآونة الأخيرة في منزل دوق ديورهام، أما پَنْش فقد جاء من قبو في شارع هيوستن. لقد كان منظرًا مبهجًا.

أمتعتني مضيفتاي بعد ذلك بمقاطع من حديثهما على المائدة في الأسبوعين الأخيرين. (أستغرب أن الخادم لم يلق بالًا، لكنه يبدو رجلًا محترمًا). لقد منحهما پَنْش قصصًا مضحكة لبقية حياتهما، إن كانت هذه الفائدة الوحيدة من وجوده معهما. كانت إحداهما تفكر بتأليف كتاب، وقالت وهي تمسح دموع الضحك من عينيها «لقد عشنا على الأقل!».

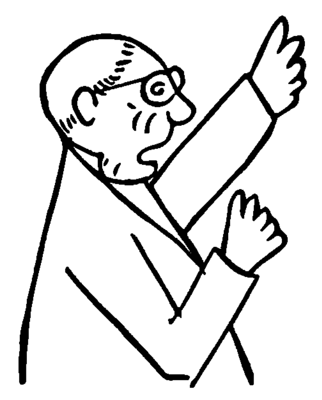
زارنا المبجل سايرس الساعة السادسة والنصف مساء البارحة، ووجدني مرتدية ثوبًا مسائيًا، وأنطلق لتناول العشاء في منزل السيدة لڤرمور. لقد ألمح قليلًا إلى أن السيدة ليبيت لم تكن تبغي أن تكون سيدة مجتمع، لكنها حفظت طاقتها لعملها. تعرفين أنني لست من هواة الانتقام، غير أنني ما رأيت هذا الرجل مرة، إلا وتمنيت أن يكون في قاع بحيرة البط، وقد ربط بإحكام إلى حجر، وإلا فإنه سيطفو ويخرج.

سنغاپور يهديك أحر التحايا، وسعيد أنك لا تستطيعين رؤيته بحاله الآن. فقد ألمت آفة بمظهره الحسن، إذ أقدم طفل -ولا أظنه صبيًا- على جز شعر ذلك الحيوان المسكين في بقع، حتى صار مثل لوحة شطرنج جرباء أكلتها العثة. لا أحد يمكنه تصور من فعل ذلك. إن سادي كيت ماهرة باستخدام المقص، لكنها ماهرة أيضًا في ابتكار حجج الغياب! في الوقت الذي يفترض أن واقعة الجز حدثت فيه، كانت تشغل مقعدًا في زاوية غرفة الدراسة ووجهها إلى الحائط، ويمكن لثمانية وعشرين طفلًا أن يشهدوا بذلك. لقد صار واجب سادي كيت اليومي على أية حال أن تدهن هذه البقع بمقوي الشعر الذي وصفته.

أنا، كالمعتاد،

سالي.

ملاحظة: هذه صورة حديثة للمبجل سايرس رسمت من الواقع. إن الرجل متحدث بارع، من زاوية ما، وهو يصنع إيماءات بأنفه.



مساء الخميس

عزيزتي جودي

عاد ساندي بعد غياب عشرة أيام -بلا تبرير- وغرق في كآبة عميقة. إنه ينفر من محاولاتنا الحثيثة لإسعاده، كما أنه لا يلقي بالًا لأي منا سوى الصغيرة ألغرا. لقد اصطحبها لتناول العشاء في منزله الليلة، ولم يعدها حتى الساعة السابعة والنصف، وهذا وقت قبيح تعود فيه آنسة تبلغ من العمر الثالثة. لست أدري ما الذي أفعله بطبيبنا، فهو يغدو أكثر غموضًا كل يوم.

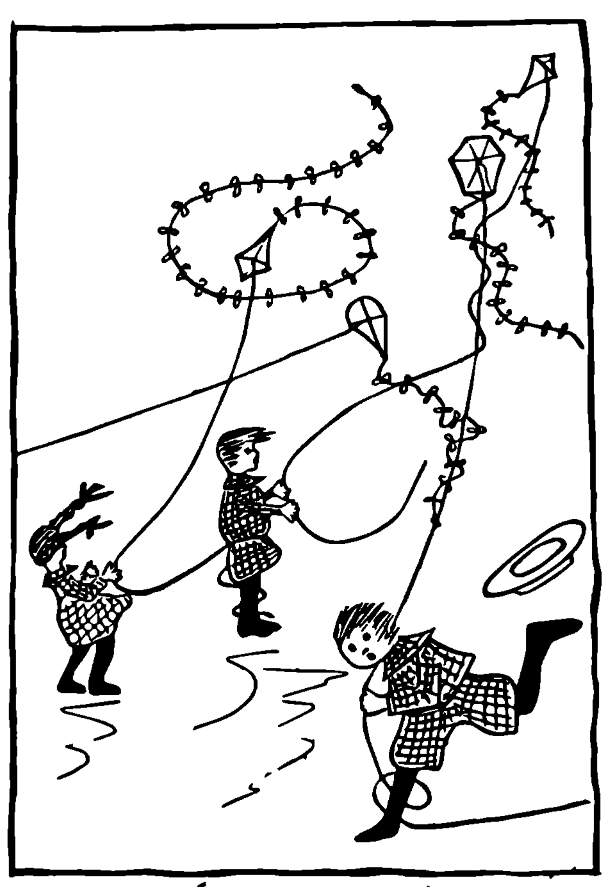
لكن پيرسي شاب منفتح أمين، وقد زارني لتناول العشاء (فهو شديد الحرص على الزيارات الودية)، وكان حديثنا مكرسًا بكامله للفتاة في دتروت. إنه وحيد ويحب الحديث عنها، وكم قال عنها أمورًا رائعة! أتمنى أن آنسة دتروت جديرة بكل هذا الحب الجميل، لكني خائفة. أخرج حافظة جلدية من جيب عميق في صدريته، وأراني صورة -مغلفة بوفاء بطبقتين من المناديل الورقية- لشيء صغير سخيف، كلها عيون وحلقات أذن وشعر مجعد. حاولت جاهدة أن أبدو مجاملة، غير أن قلبي انغلق شفقة بمستقبل الفتى المسكين.

أليس من الطريف أن يختار ألطف الرجال أسوأ الزوجات،

وأن تختار ألطف النساء أسوأ الأزواج؟ أظن أن لطفهم هو ما يجعلهم عميان وواثقين.

هل تعلمين أن أكثر المهن إثارة في العالم هي دراسة الشخصية. أرى أنني ولدت لأكون روائية؛ فالناس يفتنوني إلى أن أعرفهم حق المعرفة. ويشكل بيرسي والطبيب أكثر النقيضين مدعاة للتأمل. يمكنك دومًا في أي لحظة معرفة ما يفكر فيه ذلك الشاب اللطيف، فهو واضح مثل كتاب مبتدئين في القراءة، كتبت فيه الكلمات أحادية المقاطع بخط كبير. لكن الطبيب! يبدو حتى الآن مكتوباً باللغة الصينية، كلما واصلت القراءة. لا بد أنك سمعت بأشخاص مزدوجي الشخصية، حسن إن ساندي له شخصية ثلاثية، إذ يكون عادة علميًا وصلبًا بقدر حجر الصوّان، لكني أظنه شخصًا هادئًا وعاطفيًا يستتر تحت غطاء من الوقار. وتمر أيام يكون فيها صبورًا ولطيفًا ومعينًا، وأبدأ بحبه ثم يخرج ودون سابق إنذار رجل جامح غير مروض من الأعماق السحيقة، ويا إلهي! إن هذا الكائن لا يطاق.

ينتابني شعور على الدوام أنه عانى في الماضي ألمًا فظيعًا، وأنه لم يزل يحتفظ بذكراه. ويروادني شعور مزعج أثناء حديثه دومًا بأن ذهنه مشغول بأمر آخر في الزاوية البعيدة منه. غير أن هذا ربما ليس سوى تفسير عاطفي لمزاج شكس غريب. لكنه يعاني على أية حال.



نحن ننتظر منذ أسبوع عصرًا عاصفًا، وها هو ذا. يستمتع صغاري بيوم الطائرات الورقية، بوحي من اليابان. انتشر كل الأولاد الكبار ومعظم الفتيات على الرابية (تلك الرابية المرتفعة الصخرية التي ترعى فيها الأغنام وتحاذينا من الشرق)، يطيّرون الطائرات الورقية التي صنعوها بأنفسهم.

لقد قضيت وقتًا بغيضًا في تملق الرجل العجوز الفظ الذي يملك الأرض ليمنحنا الأذن. فهو لا يحب الأيتام، كما يقول، ولو

سمح لهم مرة بالتجول على أرضه، فسيحتلون المكان إلى الأبد. قد يتبادر إلى ذهنك عند الإصغاء إليه أن الأيتام نوع فتاك من الخنافس.

ولكن بعد نصف ساعة من الحديث المقنع من جهتي، سمح لنا بحرية اللعب في مرعى الأغنام لساعتين، بشرط ألا نطأ مرعى الأبقار في الطرف المقابل من الدرب، وأن نعود إلى الدار حثيثًا ما إن ينتهي وقتنا. ولضمان مرعى أبقاره، أرسل السيد صاحب الرابية بستانيه وسائقه وشابين ليحرسا الحدود أثناء التحليق. ما زال الأطفال هناك، يقضون وقتًا طيبًا وهم يجرون على تلك الرابية العاصفة وتشتبك خيوطهم ببعضها بعضًا. حين يعودون لاهثين سيحظون بمفاجأة على هيئة كعك الزنجبيل وشراب الليمون.

يا لهم من يافعين مثيرين للشفقة بوجوههم الهرمة! يصعب جعلهم أصغر، غير أني واثقة أنني أفعل ذلك. كما أن من الممتع حقًا أن تشعري أنك تقدمين شيئًا إيجابيًا لصالح العالم. ستنجحين في تحقيق هدفك في جعلي شخصًا نافعًا، ما لم أقاوم ذلك بقوة. لقد كانت المغريات الاجتماعية في وورسستر أليفة جدًا، قبل أن ينمو اهتمامي بمئة وثلاثة عشر يتيمًا صغيرًا محبًا دافئًا طريًا.

المخلصة بحب،

سالي.

ملاحظة: أظن أن علي تحري الدقة، إذ لدي مئة وسبعة أيتام بعد ظهر اليوم.

عزيزتي جودي

لما كان اليوم هو يوم الأحد ويومًا جميلًا واعدًا تهب فيه ريح دافئة، جلست قرب نافذتي مع كتاب صحة الجهاز العصبي (اقتراح ساندي الأخير لحاجاتي العقلية) مفتوح في حجري، وعينيّ على المشهد خارجًا. فقلت في نفسي «حمدًا لله ان هذه الدار قد بنيت بإطلالة كهذه حتى نستطيع على الأقل أن نطل من خارج السور المعدني الذي يحبسنا داخلًا».

كنت أشعر أنني أسيرة وسجينة ومثل يتيم، لذا قررت أن جهازي العصبي بحاجة إلى شيء من الهواء النقي والتمارين والمغامرة. يمتد أمامي مباشرة الشريط الأبيض للطريق الذي يغوص في الوادي ثم يعلو على التلال في الطرف الآخر. لقد رغبت منذ قدومي هنا أن أتبعه حتى القمة وأرى ما الذي يقع خلف تلك التلال. مسكينة يا جودي! أستطيع القول إن الرغبة نفسها قد غلفت طفولتك. لو وقف أي من فراخي الصغار قرب النافذة ونظر إلى الوادي والتلال وسأل «ماذا يوجد هناك؟» سأستدعي سيارة.

غير أن فراخي اليوم كانوا مشغولين بورع بأرواحهم الصغيرة، وكنت أنا الهائمة الوحيدة بروحي. فغيرت ثوب الأحد الحريري، وارتديت ثوبًا بسيطًا وأنا أخطط في هذه الأثناء لوسيلة تأخذني إلى أعلى تلك التلال. ثم ذهبت إلى الهاتف وطلبت الرقم ٥٠٥.

«مساء الخير يا سيدة مكرك»، قلت أنا بعذوبة، «هل لي أن أتحدث إلى الطبيب مكراي؟».

«انتظري قليلًا»، قالت باقتضاب شديد.

«مساء الخير أيها الطبيب»، قلت له، «هل يصدف أن لديك أي مريض يحتضر يعيش أعلى التلال؟».

«ليس لدي، حمدًا للرب!».

فقلت خائبة الأمل: «خسارة. إذًا بمَ تشغل نفسك هذا اليوم؟».

«أقرأ أصل الأنواع».

«أغلقه حالًا. إنه ليس ملائمًا ليوم الأحد. وأخبرني الآن هل سيارتك مملوءة بالوقود وجاهزة للانطلاق؟».

«إنها رهن إرادتك. هل تريدينى أن آخذ بعض الأيتام في جولة؟».

«واحدة فقط تعاني اضطرابًا في الجهاز العصبي. لقد اتخذت قرارًا حاسمًا بأن عليها الذهاب أعلى التلال».

«إن سيارتي جيدة في الصعود، في خمس عشرة دقيقة...».

«انتظر»، قلت، «أحضر معك مقلاة تكفي لشخصين. ليس لدي في مطبخي ما هو أصغر من حجم عجلة عربة! واسأل السيدة مكرك إن كنت تستطيع البقاء خارجًا لتناول العشاء».

فوضعت في سلة مرطبانًا من اللحم المقدد وبعض البيض

والكعكات وكعك الزنجبيل، وقهوة ساخنة في حافظة حرارية، وانتظرت على العتبات حين كان ساندي يتقدم بسيارته ومقلاته.

لقد حظينا بمغامرة جميلة، وقد استمتع بإحساس الهرب بقدري أنا. ولم أسمح له مرة بالحديث عن الجنون، بل جعلته ينظر إلى الامتداد الواسع للمروج، وصفوف أشجار الصفصاف الوارفة التي تردفها التلال العالية، ويتنشق الهواء، ويصغي إلى الغربان الناعقة، وصليل أجراس البقر، وخرير النهر. وتحدثنا، أوه، عن ملايين الأشياء البعيدة تمامًا عن ملجئنا. فقد جعلته يهجر فكرة أنه عالم وأن يتظاهر بأنه صبي. لا يمكن تقدير النجاح بالتأكيد، لكنه نجح إلى حد ما. وقد نفذ خدعة صبيانية أو اثنتين. لم يتجاوز ساندي ثلاثينياته بعد، وما زال الوقت باكرًا جدًا على أن يكبر، يا إلهي!

خيّمنا على جرف مطلٍ على منظرنا، وجمعنا بعض الأغصان الجافة وأشعلنا النار وطهونا أجمل عشاء. التصق حرق لامع بالبيض المقلي، لكن قليلًا من الكربون مفيد. ثم حين أنهى ساندى تدخين غليونه «وكانت الشمس تنحدر نحو غروبها المعتاد»، حزمنا متاعنا وهبطنا عائدين.

قال إنه أجمل عصر قضاه منذ سنوات، رجل العلم المسكين الضليل، وأنا أصدق ذلك فعلًا. فمنزله الزيتوني اللون رهيب وكئيب ومحبط للغاية، حتى أنني لا أتعجب من إغراقه متاعبه في الكتب. ما إن أعثر على مدبرة منزل لطيفة لأجعلها مسؤولة عنه، حتى أدبر مكيدة لتسريح السيدة ماغي مكرك، رغم أنني أرى أنها

ستكون أصعب من سِترِي في التطفل على مرسى أمانها.

أرجو ألا تستنتجي أنني أغدو مهتمة بطبيبنا سيء المزاج، لأنني لست كذلك. وليس الأمر سوى أنه يعيش حياة عديمة الراحة، حتى أنني أود أن أربّت على رأسه وأقول له أن يبتهج، فالعالم مليء بالمرح، ويحق له بعض منه، كما أحب أن أهدئ أيتامي المئة والسبعة، بالقدر نفسه، لا أكثر.

أعرف أن لدي أخبارًا حقيقية أخبرك بها، لكنها غابت عن ذهني تمامًا، إذ جعلني الانطلاق في الهواء النقي ناعسة، وقد صارت الساعة التاسعة والنصف، أتمنى لك ليلة طيبة.

س.

ملاحظة: تبخر غوردن هالوك في الفراغ. لم تصلني منه رسالة منذ ثلاثة أسابيع، ولا حلوى ولا دمى حيوانات محشوة أو هدية من أي نوع. ما الذي حدث لذلك الشاب اللطيف برأيك؟

الثالث عشر من يوليو

غاليتي جودي

إليك بعضًا من الأنباء السارة!

لما كان اليوم هو اليوم الحادي والثلاثين من مهلة الشهر لِپَنْش، اتصلت براعيتيه، كما ذكر في الاتفاق، لترتيب أمر عودته. وقد قوبلت برفض ساخط، فهل تتخليان عن بركانهما الحلو، وهما تحاولان ترويضه لئلا ينفث مزيدًا من النار؟ لقد غضبتا من اقتراحي الجاحد، وقبل پَنْش دعوتهما لقضاء الصيف.

ما زالت خياطة الثياب مستمرة، ولا بد أن تسمعي ضجيج آلات الخياطة وثرثرة الألسن في غرفة الخياطة. لقد ابتهجت يتيماتنا الصغيرات الخاضعات المطيعات الذليلات لسماع أن كل واحدة ستملك ثلاثة فساتين خاصة بها تمامًا، ولكل منها لون مختلف تختاره بنفسها. ولك أن تري كم حفز هذا مهارتهن في الخياطة؛ فحتى اللاتي يبلغن العاشرة من العمر تحولن إلى خياطات. أتمنى لو كان بإمكاني تنفيذ طريقة فعالة بالقدر نفسه لأجعلهن مهتمات بالطهي. غير أن مطبخنا لا يساعد على التعليم أبدًا، وأنت تعرفين كم يكون الأمر مثبطًا للهمة، إن كان على المرء تحضير مقدار بوْشل من البطاطا دفعة واحدة.

لعلك تذكرين حديثي عن رغبتي في تقسيم صغاري إلى عشر أسر صغيرة لطيفة، وتشرف على كل منها مدبرة منزل لطيفة ومريحة؟ لو تسنى لنا بناء عشرة أكواخ جميلة أسكنهم فيها، مع زراعة زهور في الفناء الأمامي، وتربية الأرانب والهررة والجراء والدجاج في الخلفي، فسنكون دارًا جميلة للغاية، ولن نخجل من زيارة مفتشي العمل الخيري لنا.

الخميس

بدأت كتابة هذه الرسالة قبل ثلاثة أيام، وقوطعت للحديث مع محسن مرتقب (سيقدم خمسين تذكرة للسيرك)، ولم يتسن لي الوقت لالتقاط قلمي منذئذٍ. بتسي في فيلادلفيا منذ ثلاثة أيام، لأنها كانت إشبينة عروس لقريبة تعسة. آمل ألا يفكر أحد آخر من عائلتها بالزواج، لأن هذا مربك جدًا لميتم جون غرير.

وقد زارت عائلة تقدمت بطلب لتبني طفل أثناء وجودها هناك. ليس لدينا قسم لائق للتحقق طبعًا، لكن ما إن تأتينا عائلة، حتى نقوم بهذا على أكمل وجه. نحن نعمل عادة مع اتحاد عون المؤسسات الخيرية، فلديهم الكثير من المندوبين المؤهلين الذين يتنقلون في أرجاء الولاية، ويظلون على اتصال مع الأسر الراغبة بتبني الأطفال، والدور التي تمنحهم. وما داموا راغبين في العمل معنا، فليس لذهابنا داعٍ لأجل عرض أطفالنا. وأنا أرغب حقًا بمنح المتوفرين، لأنني أؤمن بقوة أن المنزل الخاص أفضل للطفل، بشرط أن نكون، بلا شك، نيّقين جدًا في اختيار بيوت لها سمعة

حسنة. فلست أطلب أهلًا راعين أثرياء، بل أطلب أبوين ذكيين محبين لطيفين. أظن هذه المرة أن بتسي قد عثرت على عائلة بالغة الكمال. لم يسلم الطفل أو توقع الأوراق بعد، وثمة احتمال دومًا أن يظهروا فجأة، ثم يختفوا ثانية.

اسألي جيرفِس إن كان قد سمع يومًا بـ ج. ف. برتلند من فيلادلفيا، إذ يبدو أنه يعرف أوساط التجار. لقد عرفته أول مرة من رسالة معنونة بـ «مشرف ميتم جون غرير، سيدي العزيز»، وهي رسالة جافة مطبوعة جادة، من محامٍ شديد الجدية، يقول إن زوجته قد عقدت العزم على تبني طفلة صغيرة جميلة المظهر وموفورة الصحة، يتراوح عمرها بين السنتين والثلاث. لا بد أن تكون الطفلة يتيمة ذات أصول أمريكية، ولها أصول مقبولة، ولا أقارب لها ليعترضوا على تبنيها، فهل لي أن أؤمن واحدة حسب المواصفات مع الامتنان، المخلص ج. ف. برتلند؟

لقد ذكر «مؤسسة برادستريت»[1] لنرجع إليها بالسؤال، هل سمعت بشيء مضحك كهذا؟ قد يخطر لك أنه كان يفتح حسابًا جاريًا في الحضانة، ويرفق به طلبًا من قائمة بذورنا.

بدأنا تحرياتنا بمراسلة موظف في جيرمانتاون، دون ذكر المرسل، حيث يقيم ج. ف. برتلند.

هل يملك أي عقار؟

---

(١) مؤسسة تقدم معلومات عن المؤسسات التجارية والمالية.

هل يسدد فواتيره؟

هل يحسن معاملة الحيوانات؟

هل يتردد على الكنيسة؟

هل يتشاجر مع زوجته؟ وعدد من الأسئلة الوقحة الأخرى.

لقد تبين أننا اخترنا موظفًا يتمتع بحس الفكاهة، فبدلًا من أن يجيب عن أسئلتنا الصعبة، كتب أعلى الصفحة ووسطها وأسفلها «أتمنى لو أنهما يتبنياني!».

يبدو هذا واعدًا، لذلك انطلقت ب. كندرد إلى جيرمانتاون حالما انتهى إفطار الزفاف. إن لديها حدسًا خارقًا مثل محقق، إذ يمكنها في أثناء زيارة ودية أن تعرف من الكراسي والمناضد تاريخ العائلة الأخلاقي كله.

عادت من جيرمانتاون حاملة أخبارًا مثيرة.

إن السيد ج. ف. برتلند مواطن ثري وذو نفوذ، تحبه زوجته ويكرهه أعداؤه بشدة (الموظفون المسرّحون الذين لا يترددون في القول إنه رجل صعب). ذهابه للكنيسة غير منتظم قليلًا، لكن زوجته منتظمة، وهو يتبرع بالمال.

إنها سيدة مهذبة فاتنة ودودة، خرجت من المستشفى بعدما عانت لعام من الانهيار العصبي. يقول الأطباء إن ما تحتاجه هو اهتمام قوي بالحياة، ونصحوها بتبني طفل. كانت ترغب بفعل ذلك دومًا لكن زوجها الصعب رفض بعناد.

لكن في النهاية، كما يحدث دومًا، انتصرت الزوجة المثابرة اللطيفة، وأجبر الزوج الصعب على الإذعان. وكتب كما ذكر أعلاه، الطلب المعتاد لفتاة زرقاء العينين، بعد تنازله عن إيثاره الطبيعي لولد.

قضت السيدة برتلند سنوات في القراءة، عاقدة العزم على تبني طفل، وليس ثمة تفصيل يتعلق بغذاء الطفل لا تعرفه، وقد أعدت غرفة حضانة مشمسة بوجهة غربية جنوبية، جاهزة تمامًا، وخزانة من الدمى المجموعة خلسة! وصنعت ثيابها بنفسها -أرتها لبتسي بزهو كبير- فيمكنك إذًا أن تتصوري الحاجة لفتاة.

كانت قد سمعت بمربية إنجليزية ممتازة مؤهلة يمكنها الوثوق بها، غير أنها ليست متأكدة، وتفضل البدء بمربية فرنسية، حتى تتعلم الطفلة اللغة قبل أن تقوى حبالها الصوتية. كما أبدت اهتمامًا شديدًا حين عرفت أن بتسي امرأة متعلمة تعليمًا جامعيًا، فلم تكن قد اتخذت قرارها بعد إن كانت سترسل الطفلة للكلية أم لا، فما هو رأي بتسي الصريح؟ لو كانت الفتاة ابنة بتسي، فهل كانت بتسي سترسلها للكلية؟

سيكون هذا كله طريفًا لو أنه لم يكن مثيرًا للشفقة؛ غير أني لا أستطيع الكف عن تخيل تلك المرأة المسكينة الوحيدة، وهي تخيط كل ثياب الدمى لفتاة صغيرة مجهولة لم تكن متأكدة من حصولها عليها. كانت قد فقدت طفليها قبل سنوات، أو لنتحرّ الدقة ونقل إنها لم تنجبهما، فلم يكونا على قيد الحياة قط.

لك أن تتخيلي كم سيكون بيتًا حسنًا. ففيه الكثير من الحب بانتظار الفتاة الصغيرة، وهذا أفضل من الثروة التي تلازمه في هذه الحالة.

غير أن المشكلة الآن هي العثور على الطفلة، وهذا ليس بالأمر السهل، إذ كان آل ج. ف. برتلند واضحين للغاية في مواصفاتهما. لدي ولد صغير يمكن إعطاؤه لهما، غير أن هذا مستحيل بوجود الخزانة المملوءة بالدمى. ولن تكون الصغيرة فلورنس مناسبة، لأن أباها العنيد على قيد الحياة. كما أن لدي الكثير من الأجانب من ذوي العيون البنية الصافية وهؤلاء ليسوا مناسبين أبدًا، فالسيدة برتلند شقراء ولا بد أن تكون الابنة مماثلة لها. لدي عدد من الصغيرات الحلوات ذوات الأصول المريعة، غير أن آل برتلند يرغبان بأسلاف ملتزمين بالذهاب للكنيسة لستة أجيال، وأن يكون على رأسهم حاكم مستعمرة. لدي أيضًا فتاة جميلة ذات شعر ملفلف (واللفافات تغدو أقل فأقل)، لكنها غير شرعية. ويبدو هذا عقبة كؤودًا في نظر الأبوين المتبنيين، رغم أنه في الحقيقة لا يحدث أدنى فرق في الطفل. لن تكون مناسبة على أية حال، إذ يتشبث آل برتلند بقوة بعقد الزواج.

يبقى طفلة واحدة من كل هؤلاء المئة والسبعة أيتام تبدو مناسبة. قُتل أبوا صغيرتنا صوفي في حادث قطار، والسبب الوحيد لكونها لم تقتل أنهما كانا قد تركاها في المستشفى لاستئصال الخراج من حنجرتها. وهي تنحدر من عائلة أمريكية طيبة عادية، لا عيب

فيها ومضجرة بكل شكل. إنها فتاة صغيرة خاملة بليدة كثيرة الشكوى. كان الطبيب يطعمها من زيت كبد الحوت والسبانخ المفضلين لديه، لكنه لم يتمكن من غرس أي بهجة فيها.

مع ذلك، فإن الحب الفردي والرعاية يفعلان الأعاجيب في أطفال الدار، ولربما ازدهرت لتصبح شيئًا نادرًا وجميلًا بعد أشهر قليلة من الغرس. لذا كتبت البارحة شهادة حماسية بتاريخ عائلتها الصافي إلى ج. ف. برتلند، وعرضت إيصالها إلى جيرمانتاون.

تلقيت برقية هذا الصباح من ج. ف. برتلند. مطلقًا! لا يرغب أبدًا بشراء ابنة لم يرها قبلًا، لذا سيأتي ليتفحص الطفلة بنفسه الساعة الثالثة من يوم الأربعاء المقبل.

أوه يا إلهي لو أنه لم يحبها! إننا نكرس كل طاقتنا الآن في زيادة جمال تلك الطفلة؛ مثل جرو ييمم شطر عرض للكلاب. هل تظنين أنه من غير الأخلاقي أن أضع قليلًا من حمرة الخدود على وجنتيها؟ إنها صغيرة جدًا على هذه العادة.

يا إلهي! يا لها من رسالة! كتبت مليون صفحة بلا توقف. لك أن تري ما يشغل تفكيري. أشعر بالحماس لأن صوفي ستحظى بحياة كأنها ابنتي العزيزة.

تحياتي الحارة للرئيس.
سال. مكب.

عزيزي غوردن

كان مكرًا بغيضًا قاسيًا وضيعًا منك ألا تكتب لي سطرًا مبهجًا لأربعة أسابيع، لأنني لم أكتب لك مرة لثلاثة أسابيع، في فترة من الضغط غير العادي. لقد بدأت أقلق حقًا من أن تكون قد وقعت في نهر پوتومك[1]. يفتقدك صغاري كثيرًا، فهم يحبون العم غوردن. أرجو أن تتذكر أنك وعدت بإرسال حمار لهم.

كما أرجو أن تتذكر أنني أكثر انشغالًا منك، فإدارة ميتم جون غرير أصعب من إدارة مجلس النواب. بالإضافة أن لديك أشخاصًا أكثر كفاءة لمساعدتك.

هذه ليست رسالة، بل احتجاجًا ساخطًا. سأكتب لك غدًا، أو بعد غد.

س.

ملاحظة: لقد هدأت قليلًا عند قراءة رسالتك ثانية، لكني لا أصدق كلمة من كلماتك الناعمة. أعرف جيدًا أنك تتملق حين تتحدث بلطف شديد.

---

(١) نهر يقع شرقي الولايات المتحدة الأمريكية.

السابع عشر من يوليو

عزيزتي جودي

لدي حكاية أرويها لك.

تذكري من فضلك أن هذا هو يوم الأربعاء المقبل. لذا أخذت الصغيرة صوفي عند الثانية والنصف لتغتسل ويسرح شعرها وترتدي ثيابًا من الكتان، وعهد بها إلى يتيم يعتمد عليه، مع إرشادات صارمة بالحفاظ على نظافتها.

في الساعة الثالثة والنصف تمامًا -لم أعرف كائنًا بشريًا جديًا مثل ج. ف. برتلند- وقفت سيارة فارهة ذات طراز أجنبي أمام عتبات هذا القصر، ثم قدم شخص مربع الكتفين، مربع الفك له شارب مبتور وأسلوب يدعوك للاستعجال، ووقف بباب مكتبي بعد ثلاث دقائق. حياني بحرارة بقوله «الآنسة مكّوش»، وصححت له الاسم بلطف فغيره إلى «الآنسة مكّيم». قدمت له الكرسي المريح ذي الذراعين، ودعوته لتناول شيء من المرطبات الخفيفة بعد رحلته. فقبل كأسًا من الماء (يعجبني الأب المعتدل)، وأظهر رغبة لحوحة في الانتهاء من الأمر. رننت الجرس وطلبت إحضار الصغيرة صوفي.

«انتظري يا آنسة مكغي!»، قال لي، «أفضّل رؤيتها في محيطها.

سأذهب معك إلى غرفة اللعب أو الحظيرة، أو أي مكان تبقين فيه الصغار».

فأرشدته إلى الحضانة، حيث كان ثلاثة عشر أو أربعة عشر طفلًا يرتدون القماش القطني يتقلبون على المراتب على الأرض. أما صوفي، الوحيدة التي ترتدي التنورة الداخلية الأنثوية، كانت في قبضة يتيم ضجر يرتدي القماش القطني. كانت تتلوى وتقاتل لتنزل، وكانت ثيابها الداخلية مرتفعة حتى عنقها. فأخذتها بين ذراعيّ ومسحت أنفها ودعوتها أن تنظر إلى السيد.

كان مستقبل الفتاة بأكمله معلقًا على دقائق خمس من المرح، غير أنها تذمرت بدلًا من أن تبتسم ابتسامة واحدة!

صافحها السيد برتلند بأسلوب حذر جدًا وسقسق كما تفعلين بجرو. لم تلق صوفي له أدنى بال، بل أدارت ظهرها ودفنت وجهها في عنقي. فرفع كتفيه وافترض أنهما سيأخذانها تحت التجربة، فقد تناسب زوجته، أما هو فلا يرغب بطفل أبدًا، واستدرنا لنخرج.

ومن سيظهر في طريقه مباشرة سوى تلك الصغيرة المرحة ألغرا؟! تمايلت أمامه تمامًا، وبسطت ذراعيها مثل طاحونة هوائية، ثم وقعت على قوائمها الأربع. فقفز الرجل جانبًا برشاقة لئلا يدوسها، ثم رفعها وأوقفها على قدميها. فلفت ذراعيها حول ساقه، ونظرت إليه بضحكة مغرغرة.

«بابا! ارفع الطفلة عاليًا!»

إنه أول رجل، باستثناء الطبيب، تراه الطفلة منذ أسابيع، ويبدو أنه يشبه أباها الراحل نوعًا ما.

فرفعها ج. ف. برتلند وقذفها في الهواء بمهارة من يفعل ذلك كل يوم، في حين أنها صرخت بنشوة من فرحها. وحين أظهر علامات على إنزالها، جذبته من أذنه وأنفه، ونقرت إيقاعًا على بطنه بقدميها. لا يمكن لأحد أن يتهم ألغرا بقلة الحيوية!

فكّ ج. ف. نفسه من تربيتاتها وخرج أجعد الشعر، مشدود الفك. وأوقفها على قدميها، لكنه احتفظ بقبضتها المنثنية.

قال: «هذه هي الطفلة التي أريدها. لا أظنني بحاجة للبحث أكثر».

شرحت أننا لا نستطيع فصل الصغيرة ألغرا عن أخويها، ولكن كلما اعترضت أكثر، ازداد فكه عنادًا. عدنا إلى غرفة المكتب وتجادلنا حول الأمر لنصف ساعة.

أحب أصولها وأحب نظراتها وأحب روحها، لقد أحبها. وإن كان ثمة ابنة ستفرض عليه، فسيرغب بواحدة تتمتع بالحيوية. كان قد عقد العزم ألا يأخذ تلك الصغيرة الشكاءة. إذ لم يكن تذمرها عاديًا. لكن إن أعطيته ألغرا، فسيربيها كابنته، ويتأكد من أنها ستكون مكتفية لما تبقى من حياتها. هل لي الحق بحرمانها من كل هذا فقط من أجل الكثير من الهراء العاطفي؟ إن العائلة قد تحطمت مسبقًا، وكان أفضل ما أفعله لهم الآن أن أؤمن معاشهم فرادى.

«خذ كل الثلاثة»، قلت أنا بصفاقة.

لكن لا، لا يمكنه التفكير بهذا، فزوجته كانت معتلة، ويمكنها أن تتدبر أمر طفل واحد فحسب.

حسن، لقد كنت في مأزق عويص. إنه يبدو فرصة للطفلة، وفي الوقت نفسه يبدو من القسوة فصل الطفلة عن أخويها الصغيرين المحبين. أعرف أنه إن تبناها آل برتلند قانونيًا، فسيعملان على قطع كل الروابط مع الماضي، والطفلة ما زالت صغيرة وستنسى أخويها بسرعة مثلما نسيت أباها.

ثم فكرت بكِ يا جودي، وكم شعرت بالمرارة لأن الميتم رفض التخلي عنك حين أرادت عائلة تبينك. كنت تقولين دومًا إنك كنت ستحصلين على منزل أيضًا مثل كل الأطفال، غير أن السيدة ليبيت سلبتك إياه. هل كنت أسلب الصغيرة ألغرا منزلًا؟ سيكون الأمر مختلفًا بالنسبة للولدين، إذ يمكنهما أن يتعلما ويغيرا مصيرهما بنفسهما. لكن منزلًا كهذا يعني كل شيء بالنسبة لفتاة. بدت لي الصغيرة ألغرا، منذ أن جاءت إلينا، طفلة أخرى مثلما كانت الصغيرة جودي، فلديها المهارة والمرح، ولا بد أن نمنحها فرصة بطريقة ما. إنها تستحق أيضًا حصتها من جمال العالم وخيره، بقدر ما هيأتها الطبيعة لإدراكه. وهل يمكن لأي مأوى أن يمنحها ذلك؟ فوقفت وفكرت في حين أن السيد برتلند كان يذرع الغرفة بنفاد صبر.

«استدعي هذين الولدين ودعيني أتحدث إليهما»، أصر السيد برتلند، «سيكونان سعيدين بالسماح لها بالذهاب، إن كان فيهما ذرة من خير».

أرسلت في طلبهما، لكن قلبي كان قطعة صلبة من الرصاص. ما زالا يفتقدان أباهما، ومن القسوة انتزاع تلك الأخت الصغيرة منهما أيضًا.

جاءا يدًا بيد، فتيان صغيران جميلان قويان، ووقفا بوقار منتبهين بعيون واسعة متسائلة مثبتة على الرجل الغريب.

«تعالا هنا أيها الولدان، أود الحديث إليكما». وأخذ كل واحد منهما في يد. «ليس لدينا أي طفل في البيت الذي أعيش فيه، فقررنا أنا وزوجتي القدوم هنا، حيث الكثير من الأطفال بلا آباء وأمهات، وأن نأخذ طفلة لنجعلها ابنة لنا. سيكون لها بيت جميل تعيش فيه، والكثير من الدمى لتلعب بها، وستكون سعيدة طوال حياتها، أكثر سعادة مما لو ظلت هنا. أعرف أنكما ستكونان سعيدين جدًا حين تعرفان أنني اخترت أختكما الصغرى».

«ألن نراها بعد اليوم؟»، سأل كلفرد.

- «أوه، أجل، أحيانًا».

نقّل كلفرد نظره بيني وبين السيد برتلند، وأخذت دمعتان كبيرتان تتدحرجان على وجنتيه. نفض يده وجاء ورمى نفسه بين ذراعيّ.

- «لا تسمحي له بأخذها، أرجوك! أرجوك! أبعديه!».

- «خذهم جميعًا!»، توسلت إليه.

لكنه رجل صعب.

- «لم آتِ من أجل الميتم كله»، قال بإيجاز.

كان دون في هذه الأثناء ينشج على الطرف الآخر. ثم من برأيك أقحم نفسه في هذا الهرج والمرج، سوى الطبيب مكراي، حاملًا الصغيرة ألغرا بين ذراعيه؟!

عرّفتهما ببعض، وشرحت الأمر. مد السيد برتلند يده لأخذ الطفلة، فأمسك بها ساندي بقوة.

«مستحيل طبعًا»، قال ساندي باقتضاب. «ستخبرك الآنسة مكبرايد أن أحد قوانين الدار ألا تفرق عائلة أبدًا».

«لقد اتخذت الآنسة مكبرايد قرارها مسبقًا»، قال ج. ف. ب. بجفاف، «لقد ناقشنا المسألة مليًا».

«لا بد أنك مخطئ»، قال ساندي، وقد أظهر أقصى اسكتلنديته. «ليس لديك نية طبعًا في القيام بفعل قاس كهذا؟».

وها قد حدث حكم سليمان[1] ثانية، بتنازع أشد رجلين خلقهما الرب الرحيم عنادًا، على جسد الصغيرة ألغرا.

أرسلت الصغار الثلاثة إلى الحضانة، وعدت إلى الشجار، فتجادلنا بصوت عال وهياج، حتى ردد ج. ف. ب. سؤالي المعتاد

---

(١) القصة المعروفة في تنازع امرأتين على طفل، وحكم النبي سليمان بأن يشطر الطفل ويعطى نصف لكل امرأة، فتكلمت المرأة التي ابنها الحي إلى الملك. لأن أحشاءها اضطرمت على ابنها. وقالت استمع يا سيدي. أعطوها الولد الحي ولا تميتوه. وأما تلك فقالت لا يكون لي ولا لك. اشطروه. فأجاب الملك وقال أعطوها الولد الحي ولا تميتوه فإنها أمه. (سفر الملوك ٢٦-٢٨).

في الأشهر الخمسة الأخيرة «من مدير هذا الميتم، المشرفة أم الطبيب الزائر؟».

كنت حانقة على الطبيب لوضعي في موقف كهذا أمام ذلك الرجل، لكني لم أستطع الشجار معه علنًا، فاضطررت إلى إخبار السيد برتلند بحزم ووضوح أن ألغرا خارج النقاش، فهل يعيد النظر في أمر صوفي؟

كلا، لتحلّ عليه اللعنة إن أعاد النظر بأمر صوفي، إما ألغرا أو لا أحد. كان يأمل أنني أدرك أنني سمحت بتحطيم مستقبل الطفلة بضعفي. وبهذه الضربة القاضية استدار نحو الباب. «طاب مساؤكما آنسة مكراي، ود. مكبرايد». وانحنى انحناءتين رسميتين وخرج.

وما إن انغلق الباب حتى تشاجرنا أنا وساندي. قال إن أي امرئ يدعي تمتعه بآراء إنسانية حديثة في شأن رعاية الأطفال، لا بد أن يخجل لأنه فكر ولو للحظة في مسألة تفريق عائلة، واتهمته أنا بالاحتفاظ بها لغرض أناني خالص، لأنه مولع بالطفلة ولا يرغب بفقدانها. (وهذه هي الحقيقة برأيي). أوه، لقد تشاجرنا على مهامنا، ثم لملم نفسه بجفاف وتهذيب يبزان ما أظهره ج. ف. ب.

كنت أشعر بينهما أنني رخوة، كأنني كنت في آلة عصر الثياب الجديدة. ثم عادت بتسي، ولامتني لأني تخليت عن أفضل أسرة عرفناها!

وهذه هي نهاية أسبوعنا من أحداثنا المحمومة، وستظل صوفي

وألغرا، في النهاية، من أبناء الدار. أوه يا إلهي! يا إلهي! أرجوك سرحي ساندي من الطاقم، وأرسلي لي بدلًا منه ألمانيًا، أو فرنسيًا أو صينيًا، إن أردت، لكن لا ترسلي اسكتلنديًا.

المخلصة المتعبة،

سالي.

ملاحظة: أظن أن ساندي يقضي أمسية منشغلًا بالكتابة إليك لتسريحي. ولا أمانع إن أردت ذلك، فقد برمت من الملاجئ.

عزيزي غوردن

يا لك من فتى عياب شكاء انتقادي شكس مماحك مشاغب. اسمع يا رجل! ولمَ لا أكتب كلمات استكلندية، واسمي يتضمن مك؟

سيسر ميتم جون غرير استقبالك يوم الخميس المقبل، ليس من أجل الحمار فحسب، بل لحضورك العذب المبهج الجميل. كنت أنوي كتابة رسالة لك بطول ميل لأعوض عن القصور السابق، ولكن ما الفائدة؟ سأراك صباحًا، وستكون رؤياك شفاءً للعين المتقرحة.

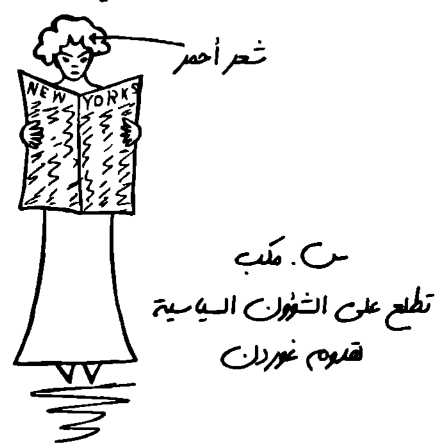
لا تغضب من لغتي يا رجل، لأن أسلافي من جبال اسكتلندا.

سالي.

عزيزتي جودي

كل شيء على ما يرام في ميتم جون غرير، عدا عن سن مكسورة، ومعصم مخلوع، وركبة مكشوطة بقوة، وحالة واحدة من الرمد. أنا وبتسي مهذبتان، لكن باردتان، مع الطبيب. غير أن المزعج أنه بارد أيضًا، ويبدو أنه يظن أن انخفاض الحرارة من جانبه من حقه هو فحسب، فهو يتابع عمله بطريقة علمية حيادية، مهذبة تمامًا لكن جافة بعض الشيء.

على أية حال لا يتسبب الطبيب بأي إزعاج في الوقت الراهن. نحن على وشك ان نحظى بزيارة من شخص أكثر جاذبية بكثير من ساندي. يرتاح مجلس النواب ثانية من أعماله، ويتمتع غوردن بعطلة يخطط لقضاء يومين منها في نزل برنتود.



سعيدة لمعرفة أنك اكتفيت من البحر، وتفكرين بمنطقتنا في ما تبقى من الصيف. ثمة عدد من العقارات على بعد بضعة أميال من جون غرير، وسيكون في ذلك تغييرًا لطيفًا لعودة جيرِڤس إلى البيت في نهاية الأسبوع فقط. سيكون لديكما، بعد فترة من الانشغال الجميل، بعض الأفكار الجديدة لتضيفاها إلى المخزون العام.

لا يمكنني إضافة المزيد من الفلسفة حول الحياة الزوجية، وعلي إنعاش ذاكرتي بقراءة بيان مونر[1] وموضوع أو اثنين آخرين في الشأن السياسي.

أتحرق شوقًا لأغسطس وقضاء ثلاثة أشهر معك.

كالمعتاد،

سالي.

---

(١) بيان أعلنه الرئيس الأمريكي يرفض فيه تدخل الدول الأوربية في الشؤون الأمريكية، ورفض اعتبار الأوربيين الأمريكيين رعايا مستعمرات لأي قوى أوروبية، إلى جانب رفض قيام أي مستعمرات أوروبية.

الجمعة

عدوي اللدود

إنه لعفو كبير مني أن أدعوك إلى العشاء بعد الانفجار البركاني الأسبوع الماضي. على أية حال، تعال من فضلك. هل تذكر الصديق المحسن السيد هالوك الذي أرسل الفول السوداني وسمك الزينة وبعض الهدايا الأخرى غير الصالحة للأكل؟ سيكون الليلة معنا، فهذه فرصتك لتحويل مسار نزعته الخيرية إلى قنوات صحية أكثر.

سنتناول العشاء عند السابعة.

كالمعتاد،

سالي مكبرايد.

عدوي اللدود

لا بد أنك عشت في تلك الأيام، حيث كان كل شخص يسكن كهفًا منعزلًا في جبل منعزل.

س. مكبرايد.

الجمعة، السادسة والنصف

عزيزتي جودي

وصل غوردن، وقد تغير الرجل كثيرًا في موقفه تجاه ميتمي. فقد اكتشف الحقيقة القديمة قدم العالم بأن أقرب طريق لقلب الأم هو مديح أطفالها، وهو لم يفعل شيئًا سوى الثناء على صغاري المئة والسبعة. وقد وجد شيئًا سارًا لقوله حتى في وضع لوريتا هغنز؛ إذ يرى أن كونها غير حولاء أمرًا جميلًا.

ذهب معي للتبضع في القرية بعد ظهر اليوم، وساعدني كثيرًا في انتقاء شرائط الشعر لأربع وعشرين فتاة صغيرة. وتوسل إلي ليختار شريطة سادي كيت بنفسه، وبعد كثير من التردد وقع اختياره على شريط حريري برتقالي اللون لضفيرة وأخضر بلون الزمرد للضفيرة الأخرى.

وأثناء انغماسنا في هذا الأمر، انتبهت إلى زبونة قريبة تتظاهر بالانشغال بالمشابك المعدنية، لكنها أجهدت أذنيها للإصغاء إلى حديثنا التافه.

كانت ترتدي قبعة مزخرفة وخمارًا منقطًا ولفاعًا من الريش، وتحمل مظلة عليها رسمة من الفن الجديد، ولم يخطر لي أبدًا أنني أعرفها حتى رأيت في عينها بريقًا خبيثًا مألوفًا. فانحنت بتصنع

وامتعاض، فأومأت لها برأسي تحية. إليك صورة السيدة ماغي مكرك في ثيابها الأنيقة!



وهذه ملامح أكثر لطفًا من ملامحها الحقيقية. وابتسامتها كانت بفعل انزلاق القلم.

لا يمكن للسيدة مكرك المسكينة أن تدرك أي اهتمام عقلي بالرجل، إذ تشك في أنني أرغب بالزواج من كل رجل ألتقيه. فقد خطر لها في بادئ الأمر أنني أود اختطاف طبيبها، غير أنها الآن بعد أن رأتني مع غوردن، تظن أنني مسخًا ثنائي الزوج يريد كليهما.

إلى اللقاء، وصل بعض الضيوف.

الساعة ١١:٣٠ مساء

كنت قبل قليل أقدم العشاء لغوردن، برفقة بتسي والسيدة

لڤرمور والسيد وذرسپون ضيوفًا. لقد دعوت الطبيب بتهذيب، لكنه رفض باقتضاب متذرعًا بأنه ليس في مزاج يسمح للمجاملات الاجتماعية. لا يسمح رجلنا ساندي للتهذيب بأن يحول دون الحقيقة!

إن غوردن هو أكثر الرجال وسامة على الأرض، وليس في ذلك شك. فهو حسن المظهر وسلس ودمث وذكي، وأخلاقه لا يشوبها عيب، وسيكون زوجًا مناسبًا للزينة! لكنني أظن في الحقيقة أن المرأة تعيش مع زوج، ولا تتباهى به في حفلات العشاء وحفلات الشاي.

لقد كان لطيفًا على نحو استثنائي الليلة، وقد وقعت في هواه كل من السيدة لڤرمور وبتسي، أما أنا فلم أحبه إلا قليلًا. لقد أمتعنا بحديثه في الموضوع الرئيس المفضل له، أي رفاهية جاڤا. كنا نمر بوقت عصيب للعثور على مكان ينام فيه ذلك القرد، فأثبت غوردن بحس منطقي لا ريب فيه إنه مادام القرد تقدمة من جيمي، وجيمي صديق لپيرسي، فلا بد أن ينام مع پيرسي. إن غوردن خطيب بطبعه، ووجود الجمهور يُسكره مثلما تفعل الشامبانيا. وبوسعه الجدال حول أي موضوع مثل موضوع القرد بجدية انفعالية، بقدر ما يتحدث عن أعظم الأبطال الذين حاربوا يومًا من أجل هذا البلد.

راودتني رغبة بالبكاء حين تحدث عن وحدة جاڤا؛ وهو يراقب الليل في قبو غرفة التدفئة، وتخيل إخوته يلعبون في الأدغال الاستوائية البعيدة.

إن رجلًا يستطيع الحديث هكذا له مستقبل ينتظره، ولست أشك أنني سأنتخبه ليكون الرئيس بعد عشرين عامًا.

لقد قضينا جميعًا وقتًا رائعًا، ونسينا تمامًا -في فضاء ثلاث الساعات- أن مئة وسبعة أيتام يغفون حولنا. وبقدر ما أحب الصغار، إلا أنه من المبهج الهرب منهم بين الفينة والأخرى.

غادر ضيوفي الساعة العاشرة، ولا بد أن الوقت منتصف الليل الآن. (هذا هو اليوم الثامن، وقد توقفت ساعتي ثانية، وتنسى جين أن تضبطها بانتظام كلما اقترب يوم الجمعة). على أية حال، أعرف أن الوقت متأخر، ولأني امرأة؛ أعرف أن من واجبي أن أحاول النوم حفاظًا على الجمال، وبخاصة في وجود خاطب ملائم في اليد.

سأنهي الكتابة غدًا. ليلة سعيدة.

السبت

قضى غوردن الصباح يلعب في ملجئي ويخطط لإرسال بعض الهدايا الأنيقة. إذ يرى أن ثلاثة أعمدة طوطمية مصبوغة ستضفي جاذبية على مخيمنا الهندي، كما أنه سيهديا ستة وثلاثين ثوبًا زهريًا للأطفال. والزهري لون محبوب جدًا لدى مشرفة هذه الدار، التي ضجرت للغاية من الأزرق! كما أن صديقنا السخي يسعد نفسه بفكرة جلب حمارين وسرجين وعربة حمراء صغيرة. أليس من الجميل أن والد غوردن قد أنشأه في بحبوحة من العيش، وأنه شاب ميال إلى الإحسان؟ إنه في الوقت الراهن يتناول الغداء مع بيرسي في الفندق، وأنا واثقة من أنه يتشرب أفكارًا جديدة في مجال الإحسان.

قد يتبادر إلى ذهنك أنني لم أستمتع بمقاطعة الحياة الرتيبة في هذه الدار! يمكنك قول ما تشائين يا عزيزتي السيدة پندلتن، عن إدارتي للملجأ، لكن الأمر سيان، فليس من طبعي أن أكون جامدة جدًا، وأحب التغيير. ولهذا أرى غوردن، بكل جلبته المتفائلة وأفكاره الصبيانية، مبهجًا وبخاصة عند مقارنته بالطبيب.

صباح الأحد

علي إخبارك بنهاية زيارة غوردن. كان ينوي المغادرة عند الساعة الرابعة، ولكني توسلت إليه، في لحظة خبيثة، أن يبقى حتى الساعة ٩:٣٠، وقد ذهبنا البارحة في نزهة طويلة في الريف أنا وهو وسنغاپور، بعيدًا عن مرأى برجي الميتم، وتوقفنا في نزل صغير على جانب الطريق حيث تناولنا عشاء مشبعًا من لحم الخنزير والبيض والملفوف. لقد أكل سنغ الكثير بشكل معيب حتى أنه ظل خاملًا منذئذ.

كانت النزهة وكل شيء ممتعًا، وتغييرًا مناسبًا من الحياة الرتيبة التي أعيشها. وكانت ستبقيني سعيدة ومرتاحة لأسابيع لولا أن حدث أمر بغيض لاحقًا. لقد قضينا عصرية جميلة بهيجة خلية من الهموم، وأشعر بالأسف لأنها أفسدت. عدنا بطريقة لا رومانسية في تلك العربة، ووصلنا ميتم جون غرير قبل التاسعة، في الوقت المناسب له تمامًا للذهاب إلى المحطة واللحاق بقطاره. لذا لم أطلب منه أن يدخل، بل تمنيت له بأدب في الرواق رحلة سعيدة.

كانت ثمة سيارة تقف على جانب الدرب في ظل المنزل، وقد

عرفتها وظننت الطبيب في الداخل مع السيد وذرسپون، (كثيرًا ما يقضيان أمسياتهما في المختبر). حسن، استولت على غوردن في لحظة الوداع رغبة سيئة ليطلب مني أن أتخلى عن إدارة الميتم، وأن أضطلع بدلًا عنها بإدارة منزل خاص.

هل عرفت يومًا أحدًا كهذا الرجل؟ كان لديه كامل الوقت بعد الظهر وأميال من المروج الشاسعة ليناقشني فيها بالأمر، لكنه اختار فعل ذلك على سجادة الباب!

لست أدري ما الذي قلته، وحاولت إغلاق الموضوع بسرعة واستعجاله للحاق بقطاره، لكنه رفض. واتكأ على عمود وأصر على الجدل في الأمر. كنت أعرف أنه سيفوّت قطاره، وأن كل نافذة في هذه الدار كانت مفتوحة. لا يفكر الرجال مطلقًا بمسترقي السمع المحتملين، بل المرأة هي من تفكر دومًا بالأعراف.

ولأنني كنت مشدودة الأعصاب محاولة التخلص منه أظنني كنت فظة وخرقاء. وأخذ يغضب، ثم وقع نظره في لحظة شر على السيارة. وعرفها أيضًا، ولأنه كان في مزاج قاسٍ أخذ يسخر من الطبيب، فسماه «الجاحظ»، و«المغرور»، والكثير من الأمور السخيفة الوقحة البغيضة. كنت أؤكد له بجد مقنع أنني لا آبه البتة لأمر الطبيب، وأنني أراه مضحكًا وبغيضًا بقدره، حين خرج الطبيب فجأة من سيارته وتقدم نحونا.

كان بودي لو تبخرت من الأرض في تلك اللحظة!

كان ساندي شديد الغضب، كما ينبغي له، بعد الأمور التي

سمعها لكنه كان باردًا وهادئًا تمامًا. وكان غوردن حادًا ويتفوه بتهم وهمية، وأما أنا فكنت مذهولة لهذا المأزق الأحمق البغيض الذي انبثق فجأة من الفراغ. اعتذر ساندي لي بتهذيب حقيقي لسماعه غير المتعمد، ثم استدار بجفاء إلى غوردن ودعاه أن يركب سيارته ليوصله إلى المحطة.

توسلت إليهما ألا يذهبا، فلست أريد أن أكون سببًا في شجار سخيف بينهما. ولكن دون أن يلقيا لي أدنى بال صعدا السيارة وذهبا تاركين إياي أقف جامدة على سجادة الباب.

دخلت وذهبت إلى الفراش. واستلقيت يقظة لساعات متوقعة سماع انفجار من نوع لا أعرفه. إنها الحادية عشرة الآن، ولم يظهر الطبيب. لست أدري كيف سأقابله حين يأتي. أظنني سأختبئ في خزانة الثياب.

هل مررت يومًا بأمر رهيب غبي كهذا الوضع؟ أظن أنني تشاجرت الآن مع غوردن -ولست أدري حقًا علامَ- وستكون علاقتي بالطبيب جافة جدًا طبعًا. فقد قلت أمورًا مروعة عنه -تعرفين الأمور السخيفة التي أقولها- أمورًا لم أعنها أبدًا.

أتمنى لو كان اليوم هو البارحة في الوقت نفسه، لكنت جعلت غوردن يغادر عند الرابعة.

سالي.

بعد ظهر الأحد

عزيزي الطبيب مكراي

لقد كان ذلك أمرًا غبيًا مريعًا سخيفًا ليلة البارحة. لا بد أنك بت تعرفني جيدًا الآن بما يكفي لتدرك أنني لا أعني الأمور الحمقاء التي أقولها. فليس للساني أدنى صلة بعقلي، بل يمضي وحده من تلقاء نفسه. لا بد أنني أبدو في نظرك جاحدة للغاية لكل العون الذي قدمته لي في هذا العمل الجديد وللصبر الذي أبديته (أحيانًا).

أنا أقدر فعلًا أنني لم أكن لأدير الملجأ بنفسي بلا حضورك الداعم المسؤول، ورغم أنك كنت بين الحين والآخر، كما تعرف بنفسك، نافد الصبر وحاد المزاج وصعبًا، فإنني لم أتحامل عليك، وأنا حقًا لا أعني شيئًا من الأمور الكريهة التي قلتها ليلة البارحة. أرجوك اغفر لي وقاحتي، لأني أكره أن أخسر صداقتك، ونحن صديقان، ألسنا كذلك؟ أود أن أفكر بأننا كذلك.

س. مكب.

عزيزتي جودي

أنا متأكدة من أنني لا أدري إن كنا أنا والطبيب قد تجاوزنا خلافاتنا. لقد أرسلت له رسالة اعتذار مهذبة، استلمها في صمت مطبق. ولم يزرنا إلا بعد ظهر اليوم، ولم يشر ولو برفة جفن إلى اشتباكنا المؤسف. بل تحدثنا عن مرهم من الإكتيول سيزيل الحساسية من فروة رأس طفل، ثم تحول الحديث إلى القطط لأن سادي كيت كانت موجودة. تبين أن قطة الطبيب الرمادية قد أنجبت أربع هريرات، ولن تصمت سادي كيت حتى تراها. وقبل أن أدري ما الذي أفعله وجدت أنني كنت أضرب موعدًا لاصطحابها لرؤية هذه الهررة البائسة عند الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم غد.

عندها خرج الطبيب بانحناءة مهذبة بلامبالاة. وهذه هي النهاية كما يبدو.

وصلت رسالتك ليوم الأحد، وقد سررت لأنك حصلت على المنزل. سيكون من الجميل أن تجاورينا لوقت طويل. لا بد أن تمضي تجديداتنا بوجودك أنت والرئيس قربنا. لكن يبدو أن عليك القدوم هنا قبل السابع من أغسطس، هل أنت متأكدة من أن جو تلك المدينة يناسبك الآن؟ أبلغي احترامي للرئيس.

س. مكب.

الثاني والعشرون من يوليو

عزيزتي جودي

اقرئي هذا من فضلك!

أخذت سادي كيت في تمام الرابعة إلى منزل الطبيب لترى القطط. لكن فريدي هولند كان قد وقع قبل ذلك بعشرين دقيقة، ولذا كان الطبيب في منزل آل هولند يشغل نفسه بترقوة فريدي. كان قد ترك لنا رسالة بأن نجلس وننتظر، وأنه سيعود سريعًا.

أرشدتنا السيدة مكرك إلى المكتبة، ثم جاءت بنفسها، لئلا تتركنا وحدنا، متظاهرة أنها تلمع النحاس. لست أدري ما الذي ظنتنا سنفعله! أن نهرب وقد سرقنا البجعة ربما.

جلست لقراءة مقال عن وضع الصين في صحيفة سنتشري، وتجولت سادي كيت براحتها متفحصة كل ما تجده، مثل نمس صغير فضولي.

فبدأت بطائر النحّام المحنط، وأرادت معرفة ما الذي يجعله طويلًا وما الذي يجعله أحمر اللون. هل يأكل الضفادع دومًا؟ وهل تؤلمه قدمه الأخرى؟ كانت تختار الأسئلة باستمرار منتظم مثل ساعة اليوم الثامن[1].

---

(١) نوع من الساعات يحتاج تدويره مرة كل ثمانية أيام، والمقصود هنا أنها تسأل برتابة.

شغلت نفسي بقراءة المقال وتركت السيدة مكرك لتتولى أمر سادي. وأخيرًا بعدما انتهت من نصف الغرفة، جاءت إلى صورة شخصية لفتاة صغيرة، تشغل إطارًا جلديًا في وسط مكتب الطبيب، طفلة لها جمال غريب شبيهة بالجنيات وتشبه صغيرتنا ألغرا كثيرًا. قد تكون هذه صورة شخصية لألغرا وقد بلغت الخامسة من عمرها. رأيت الصورة منذ الليلة التي تناولنا فيها العشاء مع الطبيب، ونويت أن أسأل عن هذه المريضة الصغيرة، لحسن الحظ أنني لم أفعل!

«من هذه؟»، قالت سادي كيت مشيرة إليها.

- «إنها ابنة الطبيب الصغيرة».

- «أين هي؟».

- «إنها بعيدة للغاية مع جدتها».

- «من أين أتى بها؟».

- «أعطتها له زوجته».

فتركت كتابي بمفاجأة صاعقة.

- «زوجته!»، صرخت.

ثم غضبت من نفسي لأنني تحدثت، لكنني فقدت حذري تمامًا. اعتدلت السيدة مكرك وصارت تتحدث بطلاقة من فورها.

«ألم يخبرك مرة عن زوجته؟ لقد أصيبت بالجنون قبل ست سنوات. وتبين أنه ليس من الأمان إبقاؤها في البيت، وكان عليه

إبعادها، فقد كادت أن تقتله. لم أر سيدة تفوقها جمالًا، وأظنه لم يبتسم كثيرًا منذ عام. من الغريب أنه لم يخبرك شيئًا وأنت صديقته».

«إنه ليس موضوعًا يهتم بالحديث عنه عادة»، قلت أنا بجفاف، وسألتها عن ملمع النحاس الذي تستخدمه.

خرجنا أنا وسادي كيت إلى المرآب وطاردنا الهريرات بأنفسنا، وابتعدنا لحسن الحظ قبل عودة الطبيب.

ولكن هل لك أن تخبريني بمعنى هذا؟ ألم يعرف جيرفِس أنه متزوج؟ إنه أغرب ما سمعت. أظن، كما ألمحت مكرك، أن ساندي لا بد وأن ذكر عرضًا معلومة أن له زوجة في مستشفى المجاذيب.

غير أنها مأساة مروعة طبعًا وأظن أنه لا يحب الحديث عنها. أفهم الآن لم كان لحوحًا في مسألة الوراثة، وأجرؤ على القول إنه يخاف على تلك الفتاة. حين أتذكر كل النكات التي افتعلتها حول الموضوع ، أجزع لعمق الأذى الذي سببته له، وأغضب من نفسي وأغضب منه.

أشعر أنني لا أود لقاءه ثانية. يا إلهي! هل عرفت يومًا تخبّطًا كالذي نمر به؟

المخلصة،

سالي.

ملاحظة: دفع توم مكومب مامي براوت في برميل الملاط الذي يستخدمه البناؤون، وقد تسفعت بشرتها فأرسلتها للطبيب.

الرابع والعشرون من يوليو

سيدتي العزيزة

لدي فضيحة مريعة أبلغك بها عن مشرفة ميتم جون غرير، فلا تنشريها في الصحف من فضلك. يمكنني تخيل تفاصيل التحقيق المثير الذي سيسبق تسريحها بتهمة «القسوة».

كنت أجلس في ضوء الشمس قرب نافذتي المفتوحة هذا الصباح أقرأ كتابًا جميلًا عن نظرية فروبل[1] حول تثقيف الطفل؛ التي تقضي بألا تفقدي أعصابك وأن تتحدثي إلى الصغار بلطف دائمًا. ورغم أنهم يبدون أشقياء فإنهم ليسوا كذلك حقيقة. إذ يكون ذلك إما لأنهم ليسوا بصحة جيدة، أو ليس لديهم أمر ممتع يفعلونه. ولا تعاقبيهم، بل شتتي انتباههم ببساطة. كنت أتمتع بنزعة محبة راقية جدًا نحو هذه العالم الشاب حولي حين استرعى انتباهي مجموعة من الصبية الصغار تحت النافذة.

- «أوه جون، لا تؤذه!».

- «دعه يذهب!».

- «اقتله سريعًا!».

---

(١) (١٧٨٢-١٨٥٢)، مربٍّ ألماني أسس فكرة رياض الأطفال.

ثم علا على لغطهم صرخةُ أنين لحيوان يتألم، فألقيت كتاب فروبل، ونزلت الدرج أجري واندفعت إليهم من الباب الجانبي. رأوني قادمة فتفرقوا من فورهم، مخلفين وراءهم جوني كوبدن مشغولًا بتعذيب فأر. سأعفيك من التفاصيل المروّعة. دعوت واحدًا من الصبيان ليأتي وينقذ الكائن سريعًا! أما جون فقد أمسكت به من ياقته، وجذبته وهو يتلوى ويركل عند باب المطبخ. إنه ولد ضخم كبير في الثالثة عشرة من عمره، وقد قاوم مثل نمر صغير، ممسكًا بالأعمدة والأبواب أثناء مشينا. لست واثقة من أنني كنت سأسيطر عليه في الأحوال العادية، غير أن ذلك الجزيء الإيرلندي الذي أملكه كان في ذروته، وكنت أقاتل بجنون. اندفعنا إلى المطبخ، ونظرت حولي بسرعة بحثًا عن وسيلة للقصاص. وكان وعاء الكعك المحلى أول ماعون وقعت عليه عيني، فأخذته وضربت به ذلك الطفل بكل قوتي، حتى حولته إلى جبان متأوه مستجدٍ للرحمة، عوضًا عن العنيد الصغير المقاتل الذي كانه قبل أربع دقائق.

ومن برأيك دخل عندئذ في وسط هذا اللغط سوى الطبيب مكراي! كان وجهه شاحبًا من الدهشة. فتقدم وأخذ وعاء الكعك المحلى من يدي، وأوقف الصبي على قدميه. وقف جوني خلفه وتشبث به! كنت غاضبة لحد عجزي عن الكلام، وكل ما استطعت فعله ألا أبكي.

«هيا، سنأخذه إلى المكتب في الأعلى»، كان كل ما قاله الطبيب. ومشينا، وجوني يبقي نفسه بعيدًا عني قدر استطاعته وهو يعرج

بوضوح. تركناه في المكتب الخارجي، ودخلنا إلى مكتبي وأغلقنا الباب.

«ما الذي فعله الطفل بحق السماء؟»، سأل الطبيب.

في تلك اللحظة أرخيت رأسي بهدوء على الطاولة وأخذت أبكي! لقد كنت منهكة للغاية عاطفيًا وجسديًا، وقد استنزفت جهدي كله في جعل وعاء الكعك المحلى فعالًا.

سردت كل التفاصيل اللعينة ناشجة، وأخبرني ألا أفكر بالأمر، فالفأر ميت الآن. ثم أحضر لي بعض الماء لأشربه، وأخبرني أن أستمر في البكاء حتى أتعب لأن هذا سيفيدني. لست متأكدة إن كان قد ربّت على رأسي! على أية حال، كانت تلك أفضل أساليبه المهنية، فقد رأيته يصف العلاج نفسه مرات عديدة للأيتام المضطربين. وكانت هذه المرة الأولى منذ أسبوع التي نتحدث فيها بشيء غير تحية الصباح «صباح الخير» الرسمية!

حسن، ما إن وصلت إلى المرحلة التي استطعت فيها الاعتدال في جلستي والضحك، وأنا أربت على عينيّ بين الفينة والأخرى بلفافة منديلي، حتى بدأنا بمراجعة حالة جوني. إذ لدى الصبي صفات وراثية مرضية، وقد يكون مختلًا كما يقول ساندي. لذا علينا التعامل مع الحقيقة كما نتعامل مع أي مرض آخر. يمكن أن يكون الأولاد الطبيعيون قساة كثيرًا، فحس الطفل الأخلاقي لا يكون مكتملًا في الثالثة عشرة.

ثم اقترح علي أن أغسل عيني بماء ساخن وأستعيد وقاري، وهو

ما فعلته. وأدخلنا جوني، الذي وقف طوال اللقاء، بناء على رغبته. تحدث الطبيب بكثير من العاطفة واللطف والإنسانية! فاحتج جوني بقوله إن الفأر يجلب الطاعون، ولا بد من قتله. فأجابه الطبيب بأن خير الجنس البشري يتطلب التضحية بالكثير من الحيوانات لصالحه، وليس لغرض الانتقام، غير أن هذه التضحية لا بد أن تجرى بأقل ضرر للحيوان. وشرح جهاز الفأر العصبي، وكيف أن الكائن الصغير المسكين لم يكن لديه وسيلة للدفاع، وأن إيذاءه لأمر جبان. وأخبر جون أن ينمّي خياله بما يكفي لينظر إلى الأمر من زاوية الآخر، حتى إن لم يكن الآخر سوى فأر. ثم ذهب إلى الرف وأخذ نسخة من كتاب بيرنز، وأخبره أنه كان شاعرًا عظيمًا، وأن كل الاسكتلنديين يحبون ذكراه.

«وهذا ما كتبه عن فأر»، قال ساندي، منتقلًا إلى «حيوان صغير لامع جبان هياب»، وقرأها وشرحها للفتى باقتدار الاستكلندي وحده.

غادر جوني نادمًا، فوجه ساندي رعايته المهنية نحوي. قال إنني متعبة وبحاجة للتغيير، فلمَ لا أذهب إلى مخيم أدِرُنداكس لأسبوع؟ وسيشكل هو وبتسي والسيد وذرسپون هيئة لإدارة الملجأ.

أتعرفين أن هذا ما أتوق لفعله حقًا! أنا بحاجة لتجديد أفكاري ولشيء من الهواء العابق برائحة الصنوبر. لقد فتحت عائلتي المخيم الأسبوع الماضي، وأظنني مستاءة جدًا أنني لم أنضم إليهم. إنهم لا يفهمون أن ليس باستطاعتي، بعد أن قبلت هذه الوظيفة، أن ألقي

جانبًا كل شيء كلما شعرت برغبة لفعل ذلك دائمًا. لكنني أستطيع تدبر ذلك لبضعة أيام. إن داري تسير بانتظام مثل ساعة مضبوطة، وسيمضي الأمر كذلك لأسبوع حتى الساعة الرابعة من مساء الاثنين القادم، حين يعيدني قطاري. ثم سأكون مستقرة براحة قبل وصولك، دون خيالات جامحة في عقلي.

إن السيد جون مصقول الروح والبدن بسعادة في هذه الأثناء، وأشك قليلًا أن لوعظ ساندي قوة أكبر لأنه سُبق بوعاء الكعك المحلى! غير أنني واثقة من أمر واحد، أن سوزان إستيل تصاب بالذعر كلما دخلت المطبخ. فقد حملت مهرسة البطاطا هذا الصباح حين كنت أتحدث عن حساء ليلة البارحة المفرط الملوحة، فجرت لتختبئ خلف باب عرزال الحطب.

انطلقت في رحلتي اليوم عند التاسعة صباحًا، بعد أن مهدت الطريق بخمس برقيات. وأوه! لا يمكن أن تتصوري كم أتطلع لأصبح شابة مرحة وخلية البال ثانية، وإلى التجديف في البحيرة والتنزه في الغابات والرقص في النادي. كنت أهذي من تخيل هذا طوال الليل. لم أدرك حقًا كم كنت ضجرة حد الموت من رؤية هذا الملجأ.

قال لي ساندي: «إن ما تحتاجينه هو الابتعاد قليلًا واللهو».

كان التشخيص ألمعيًا للغاية، إذ لا أفكر بشيء أود فعله أكثر من العبث وأن أعيش شبابي. سأعود كاملة القوى، جاهزة للترحيب بك وبصيف حافل بالأعمال.

كالعادة،

سالي.

ملاحظة: سيكون كل من جيمي وغوردن هناك، كم أتمنى لو انضممت إلينا! إن وجود الزوج لأمر مزعج.

مخيم مكبرايد
التاسع والعشرون من يوليو

عزيزتي جودي

أود إخبارك أن الجبال أعلى من المعتاد، والغابات أكثر خضرة، والبحيرة أكثر زرقة.

يبدو أن الناس متأخرون في القدوم هذا العام، فمخيم آل هارمان هو المخيم الوحيد المفتوح على الضفة الأخرى من البحيرة. وليس في النادي سوى عدد قليل من الرجال الراقصين، غير أننا نستضيف سياسيًا شابًا كيسًا يهوى الرقص، لذا لست مستاءة من الندرة عمومًا.

لقد تجاهلنا شؤون الأمة ومثلها تنشئة الأيتام ونحن نجدّف بين براعم الزنبق في هذه البحيرة الممتعة. أنتظر الساعة ٧:٥٦ من صباح الاثنين المقبل بشيء من النفور، حين أدير ظهري لجبالي. إن الأمر البغيض هو أن سعادتك تتبلبل بقرب نهايتها في اللحظة التي تبدأ فيها الإجازة.

أسمع صوتًا على الشرفة يسأل إن كانت سالي في الداخل أم في الخارج.

إلى اللقاء!

س.

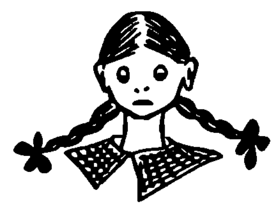
الثالث من أغسطس

عزيزتي جودي

عدت إلى جون غرير، لأحمل أعباء الجيل القادم. فمن الذي وقع عليه نظري لدى دخولي هذه الأراضي؟ جون كوبدن، ذي ذكرى وعاء الكعك المحلى، يضع وسامًا على كمه. فأدرته إلي وقرأت (ر. م. ق. ح) بحروف ذهبية! شكّل الطبيب، في غيابي، فرعًا محليًا لمكافحة القسوة على الحيوان، وجعل جوني رئيسًا لها.

سمعت أنه البارحة أوقف البنائين الذين يعملون على أساس كوخ المزرعة الجديد، ووبخهم بقسوة لجلدهم جيادهم لصعود المرتفع! لم ير أحد كل هذا ممتعًا سواي.

لدي الكثير من الأخبار، ولكن لمَ أزعجك بكتابتها وأنت قادمة بعد أربعة أيام؟ غير أني سأترك نبأ لذيذًا حتى النهاية، فاحبسي أنفاسك. ستقرئين شيئًا مثيرًا في الصفحة الرابعة. يمكنك سماع أنين سادي كيت، فجين تقص لها شعرها! وبدلًا من ربطه في ضفيرتين هكذا،



ستبدو آنستنا الصغيرة هكذا في المستقبل:



تقول جين: «إن الضفائر تزعجني جدًا».

لك أن تري أناقة تسريحة الشعر الحالية وجمالها. أظن أن أحدًا سيرغب في تبينها. وما دامت سادي مخلوقة صغيرة مستقلة بشجاعة، فإنها خليقة بطبعها بإعالة نفسها، لذا علي أن أبقي فرص التبني لأطفال عاجزين.

لا بد أن تري ثيابنا الجديدة! لا يمكنني انتظار اندفاع مجموعة براعم الورد هذه إليك. كما عليك أن تري هذه العيون التي لم تعرف سوى القماش القطني الأزرق تلمع، حين وزعت الفساتين الجديدة فعلًا؛ ثلاثة لكل فتاة بألوان مختلفة وكلها ملكية شخصية خاصة،

واسم المالكة مطبوع داخل الياقة. أما نظام السيدة ليپيت الكسول الذي يقضي بسحب أي فتاة لأي ثوب من الغسيل كل أسبوع، فلم يكن سوى إهانة للطبع الأنثوي.

تئن سادي كيت مثل خنّوص، وعلي أن أذهب لأرى إن كانت جين قد قصت أذنها بطريق الخطأ.

لم تفعل جين، وما زالت أذنا سادي الجميلتان سليمتين. إنها تئن للفكرة فقط، كما يفعل المرء على كرسي طبيب الأسنان، لإيمانه أنه سيؤلمه في اللحظة التالية.

لا أستطيع التفكير بأمر آخر أكتب عنه سوى أخباري -وها هي بين يديك- لذا آمل أن تعجبك. لقد خطبت وسأتزوج.

أرسل حبي لكليكما.

س. مكب.

ميتم جون غرير
الخامس عشر من نوفمبر

عزيزتي جودي

عدنا أنا وبتسي لتونا من نزهة في سيارتنا الجديدة. إنها تضيف بلا شك إلى متعة حياة الدار. انعطفت السيارة بمحض إرادتها إلى شارع لونغ ريدج، ثم توقفت أمام بوابة شاديوِل. كانت السلاسل مرفوعة والمصاريع مغلقة، وبدا المكان مغلقًا وكئيبًا ومبللًا بالمطر. لقد اكتسى بشيء من هيئة المنزل في انهيار منزل أشر[1]، ولم يشبه أبدًا المنزل البهيج الذي كان يحيّيني بكرم بعد الظهيرة.

أكره أن ينتهي صيفنا الجميل. يبدو أن قسمًا من حياتي قد خلفته ورائي، والمستقبل المجهول يدنو كثيرًا. أود كثيرًا أن أؤجل هذا الزفاف لستة أشهر أخر، غير أنني أخشى أن غوردن المسكين سيحدث جلبة كبرى. لا تظني أنني أغدو مترددة، لأنني لست كذلك. إلا أنني أحتاج المزيد من الوقت للتفكير بالأمر، ومارس يقترب أكثر كل يوم. أعرف حتمًا أنني أفعل أكثر الأمور عقلانية، إذ يحسن بكل امرئ، رجلًا كان أم امرأة أن يتزوج على نحو لائق وجميل وممتع، لكن يا إلهي! يا إلهي! أنا أكره الاضطراب، ويبدو أن

---

(١) قصة لإغار ألن بو.

هذا سيكون عالمًا من الاضطراب اللانهائي! أحيانًا لا أقوى على النهوض والمواجهة، حين ينتهي عمل اليوم وأكون متعبة.

والآن، أكره أن أرحل، خاصة بعد أن اشتريت منزل شاديوِل، وستقضين الصيف هنا كل عام. حين أكون بعيدة العام القادم سيستنزفني الحنين، وأنا أتخيل كل الأوقات السعيدة المشغولة في جون غرير، وأنت وبتسي وپيرسي ورجلنا الاستكلندي المتذمر تعملون جميعًا بسعادة من دوني. كيف يمكن لأي شيء أن يعزّي أمًا بعد فقدانها مئة وسبعة أطفال؟

متأكدة أن الصغيرة جودي قد احتملت الرحلة في المدينة دون إزعاج لهدوئها المعهود. سأرسل لها هدية صغيرة، صنعت جزءًا منها بنفسي، وصنعت جين معظمها. غير أن صفين صنعهما الطبيب، أؤكد لك ذلك. يسبر المرء أغوار طبيعة ساندي شيئًا فشيئًا، فبعد معرفتي بالرجل لعشرة شهور تبين لي أنه يجيد الحياكة، وهي مهارة تعلمها في صباه من راعٍ عجوز في السهول الاسكتلندية.

لقد زارنا قبل ثلاثة أيام ومكث لشرب الشاي، بمزاجه الودود المألوف. غير أنه تصلب ثانية ليصبح الرجل نفسه من الصوان الذي عرفناه طوال الصيف. لقد تخليت عن فكرة تغييره، وأفترض، على أية حال، أن يشعر أي امرئ بالإحباط، إن كان له زوجة في مصح للمجاذيب. وددت لو أنه تكلم عن الأمر مرة. فمن البغيض أن يكون ثمة ظلال تدوّم في فكرك ولا تخرج أبدًا إلى العيان.

أعلم أن هذه الرسالة ليس فيها كلمة من الأخبار التي تودين

سماعها، غير أن هذه ساعة شفق كئيبة من نهار نوفمبر رطب، وأنا في مزاج كئيب جدًا. أخشى أنني أتحول إلى شخص مزاجي، والرب يعرف أن غوردن مزاجي بما يمكن لعائلة واحدة احتماله! لست أدري أين سنصبح إن لم أحتفظ بطبعي المبهج المرح العقلاني.

هل قررت حقًا أن تذهبي إلى الجنوب مع جيرڤِس؟ أقدر (إلى حدٍّ بسيط) شعورك بعدم رغبتك في الافتراق عن زوجك، غير أن الأمر تحفه المخاطر بالنسبة لي أن تأخذي ابنة صغيرة للغاية إلى المناطق الحارة.

يلعب الأطفال الغميضة في الممر الأدنى، وأظنني سألعب جولة معهم وأحاول أن أكون في مزاج أكثر دماثة قبل الإمساك بقلمي.

إلى اللقاء!

سالي.

ملاحظة: ليالي نوفمبر هذه باردة فعلًا، ونحن نتأهب لنقل سكان المخيم للداخل. لقد صار هنودنا الحمر شبانًا متطلبين ووحشيين في الوقت الراهن، وقد زودنا كلًا ببطانيتين وقارورة من الماء الساخن. أكره إزالة المخيم، فقد أفادنا كثيرًا. سيصبح فتياننا أشداء بقدر صيادي الحيوانات الكنديين حين يدخلون.

العشرون من نوفمبر

عزيزتي جودي

قلق الأمهات الذي أبديته عذب، لكني لا أعني ما قلته. إن نقل جودي الصغيرة إلى الأراضي المدارية المعتدلة الحرارة التي يغسلها البحر الكاريبي آمن طبعًا، وستكبر ما دمت لا تضعينها على قمة خط الاستواء. ثم إن كوخك المظلل بالنخيل، الذي تهوّيه نسائم البحر، وبوجود آلة لصنع الثلج في الفناء الخلفي وطبيب إنجليزي عبر الوادي، يبدو مناسبًا لتربية الأطفال.

كانت اعتراضاتي كلها نابعة من أنانيتي لأنني سأكون أنا وجون غرير وحيدين هذا الشتاء دونك. أرى أن يكون لك زوجًا مشغولًا بأعمال مدهشة مثل تمويل السكك الحديدية المدارية، وتطوير بحيرات القير، ومزارع المطاط، وغابات الماهوغني أمرًا رائعًا حقًا. أتمنى لو أن غوردن يرغب بالعيش في هذه البلدان الرائعة، لكنت أشعر بالإثارة أكثر للاحتمالات الرومانسية في المستقبل. تبدو واشنطن مكانًا مبتذلًا قياسًا بهندوراس ونيكاراغوا وجزر الكاريبي.

سألوح لك بالوداع.

إلى اللقاء!

سالي.

الرابع والعشرون من نوفمبر

عزيزي غوردن

عادت جودي إلى المدينة، وستبحر الأسبوع المقبل شطر جامايكا، حيث ستجعل منها مقرًا لها، في حين يبحر جيرڤِس في المياه القريبة في مشاريعه الممتعة الجديدة. ألا يمكنك أن تعمل بالتجارة في المحيط الهادي؟ أظنني سأكون أسعد لترك الميتم لو كان لديك شيء رومانسي ومثير عوضًا عنه. ثم تخيل كم ستبدو جذابًا بثياب الكتان البيضاء! أظنني قادرة على أن أظل أهوى رجلًا للأبد إن كان يرتدي الأبيض دومًا.

لا يمكنك تصور مدى افتقادي لجودي، فغيابها يخلف ثقبًا موحشًا في أوقات بعد الظهيرة. ألا يمكنك القدوم لقضاء نهاية الأسبوع قريبًا؟ أشعر أن رؤيتك ستكون مبهجة، وأنا أشعر بالكآبة كثيرًا في الآونة الأخيرة. تعرف يا عزيزي غوردن أنني أحبك حين تكون أمام ناظريّ، أكثر بكثير مما أحبك وأنا أفكر بك على البعد. أعتقد أن لك تأثيرًا مخدرًا. أحيانًا وبعد غيابك بوقت طويل تبدأ رقيتك بالذبول قليلًا، ولكن ما إن أراك حتى يعود كل شيء. لقد كنت بعيدًا لوقت طويل جدًا، فتعال أرجوك واسحرني ثانية!

س.

الثاني من ديسمبر

عزيزتي جودي

هل تذكرين حين كنا في الكلية وكنا نخطط أنا وأنت لمستقبلنا كما نفضله، وكيف كنا نيمم وجوهنا شطر الجنوب دومًا؟ وها قد تحقق ذلك فعلًا وأنت هناك، تبحرين في تلك الجزر المدارية! هل مررت بإثارة مماثلة في حياتك، باستثناء مرة أو مرتين مرتبطتين بجيرفِس، حين صعدت على ظهر السفينة في وقت مبكر من الفجر، ووجدت نفسك تصعدين على المرساة في ميناء كنغزتن، والماء شديد الزرقة والنخيل شديد الخضرة والشاطئ شديد البياض؟

أذكر أول مرة استيقظت فيها في ذلك الميناء؛ إذ شعرت أنني بطلة في أوبرا عظيمة، محاطة بمشهد جميل مرسوم وليس حقيقيًا. لم يثرني شيء أبدًا في رحلاتي الأربع إلى أوروبا مثل المناظر العجيبة والنكهات والروائح لتلك الأسابيع الثلاثة الدافئة قبل سبع سنوات. وقد عزمت على العودة منذئذ. حين أتوقف للتفكير بالأمر، بالكاد أجبر نفسي على ابتلاع وجباتنا المملة، وأتمنى لو تناولت شيئًا من الكاري والتامال[1] وثمار المانغو. أليس ذلك طريفًا؟ قد يخطر لك أن لي أصولًا كريولية أو أسبانية، أو أن لدي دمًا حارًا في مكان ما، غير

(١) طعام مكسيكي.

أنني لست سوى مزيج بارد من الأصول الإنجليزية والإيرلندية والاسكتلندية. ربما هذا هو سبب سماعي لنداء الجنوب، «النخيل يحلم بالصنوبر، والصنوبر يحلم بالنخيل».

حين رأيتك تغادرين، عدت إلى نيويورك بتعطش للسفر ينهش روحي. فقد رغبت أنا أيضًا أن أنطلق في رحلتي، مرتدية قبعة زرقاء جديدة وبدلة زرقاء جديدة، وفي يدي باقة كبيرة من زهور البنفسج. كنت لخمس دقائق سأقول وداعًا إلى الأبد للمسكين العزيز غوردن، مقابل العالم الشاسع لأسافر فيه. أفترض أنك تظنين أنهما ليسا متعارضين كليًا -غوردن والعالم الشاسع- غير أنني أعجز عن فهم وجهة نظرك فيما يتعلق بالأزواج. أرى الزواج كما ينبغي للرجل أن يراه؛ مؤسسة جيدة معقولة يومية، غير أنه قيد كبير لحرية المرء. إذ تفقد الحياة، بشكل ما، روح المغامرة بعد أن تتزوجي إلى الأبد، فلا يبقى هناك احتمالات رومانسية بانتظار أن تفاجئك في كل ناصية.

إن الحقيقة المشينة تكمن في أن رجلًا واحدًا ليس كافيًا لي كما يبدو، فأنا أحب تنوع العواطف الذي لا تنالينه إلا من عدة رجال. أخشى أنني قضيت شبابًا في المغازلة الكثيرة، ولا يسهل علي الاستقرار.

يبدو أن لدي قلمًا جامحًا. فلأعد لموضوعي: رأيتك تغادرين، فأخذت العبّارة إلى نيويورك بمشاعر خاوية للغاية. فبعد أشهرنا الحميمة الثلاثة من الثرثرة معًا، يبدو إخبارك بمتاعبي بنبرة تبلغ

قاع القارة مهمة شاقة. لقد توقفت العبّارة تحت باخرتك تمامًا، وكنت أستطيع رؤيتك أنت وجيرڤِس بوضوح متكئين على السياج. لوحت لكما بحرارة، لكن لم يرف لكما جفن. كانت أنظاركما ثابتة في تأمل من الحنين لقمة مبنى وولورث.

حين عدت إلى نيويورك، ذهبت إلى متاجر التجزئة لإنجاز بعض الأمور الصغيرة على سبيل التسوق. وحين كنت أدخل أبوابها الدوارة، من كان يدوّر الباب من الاتجاه المقابل برأيك سوى هلين بروكس؟! وقضينا وقتًا عسيرًا في محاولة اللقاء، حين كنت أحاول الخروج وهي تحاول الدخول، أظن أننا استدرنا للأبد. لكننا التقينا أخيرًا وتصافحنا، وقد ساعدتني بامتنان على اختيار خمس عشرة دزينة من الجوارب، وخمسين قبعة وكنزة ومئتي طقم داخلي، وتحدثنا طوال الطريق إلى الشارع الثاني والخمسين، حيث تناولنا الغداء في نادي جامعة النساء.

لقد أحببت هلين دومًا، صحيح أنها ليست مدهشة، غير أنها عاقلة ويعتمد عليها. هل تذكرين الطريقة التي تولت بها لجنة موكب طالبات السنة النهائية وأعادت ترتيبه بعد أن عبثت به ملدرد؟ ما رأيك بها خليفة لي؟ تغمرني الغيرة كلما فكرت بأمر خليفتي، غير أن علي مواجهة الأمر.

«متى رأيت جودي أبوت آخر مرة؟»، كان سؤال هلين الأول.

قلت: «قبل خمس عشرة دقيقة، فقد أبحرت قبل قليل إلى البحر الكاريبي مع زوج وابنة ومربية وخادمة وغلام وكلب».

- «هل زوجها لطيف؟».

- «ليس هنالك من هو ألطف منه».

- «وهل ما زالت تحبه؟».

- «لم أر زواجًا أسعد من زواجهما».

أدهشني رؤية هيلن حزينة قليلًا، ثم تذكرت كل النميمة التي أخبرتنا بها مارتي كيني الصيف الماضي؛ لذا انتقلت بالحديث بسرعة إلى موضوع آمن مثل الأيتام.

لكنها أخبرتني لاحقًا بالقصة كاملة بنفسها بطريقة موضوعية، كأنها كانت تناقش الشخصيات في كتاب ما. كانت تعيش وحيدة في المدينة، ولا ترى أحدًا إلا نادرًا، وبدت معنوياتها هابطة وراغبة بالحديث. تبين أن المسكينة هلين قد أحدثت بلبلة كبيرة في حياتها. لست أعرف أحدًا مر بكل هذا في وقت قصير. لقد تزوجت بعد تخرجها، وأنجبت طفلًا وفقدته وطلقت من زوجها وتشاجرت مع عائلتها، وجاءت إلى المدينة لتكسب عيشها. إنها تقرأ المخطوطات لدار نشر.

يبدو أنه ليس من سبب لطلاقها من وجهة النظر العادية، سوى أن الزواج لم ينجح ببساطة. لم يكونا صديقين، ولو كان امرأة فلم تكن لتضيع نصف ساعة في الحديث إليه. ولو كانت رجلًا لقال «يسرني رؤيتك، كيف حالك؟» ومضى. غير أنهما تزوجا رغم ذلك. أليس مريعًا كم يجعل الجنس الناس عميان؟

لقد أنشئت على النظرية التي ترى أن الوظيفة الشرعية الوحيدة للمرأة هي تأسيس أسرة. حين تخرجت من الكلية كانت متلهفة طبعًا لبدء مسيرتها المهنية، فقدم هنري نفسه. تفحصته عائلتها عن كثب، ووجدته مثاليًا في كل شيء؛ فهو من عائلة طيبة وأخلاقه حسنة ويتمتع بوضع مالي جيد، كما أنه حسن الطلعة. وقعت هلين في حبه، وأقامت زفافًا كبيرًا واشترت الكثير من الثياب الجديدة والكثير من المناشف المطرزة. وبدا كل شيء مبشرًا بالخير.

ولكن ما إن أخذا يعرفان بعضهما، حتى وجدا أنهما لا يحبان الكتب أو النكات أو الأشخاص أو التسليات نفسها. لقد كان اجتماعيًا وودودًا وخفيف ظل، لكنها ليست كذلك. فشعرا بالملل من بعضهما بعضًا في بادئ الأمر، ثم شعرا بالضيق. إذ جعله ترتيبها نافد الصبر، وجعلتها فوضاه عصبية. كانت تقضي نهارًا في ترتيب الخزائن وأدراج المكتب، ويبعثرها هو في خمس دقائق. فيترك ثيابه لتحملها هي، ويرمي مناشفه في كومة فوضى على أرضية الحمام، ولم ينظف الحوض أبدًا. أما هي من جهتها فقد كانت مزعجة وباردة -إنها تدرك ذلك تمامًا- وقد وصلت إلى حد أنها لم تعد تضحك على نكاته.

أظن أن الأشخاص قديمي الطراز المحافظين سيرون تحطيم الزواج على تفاصيل تافهة أمرًا بغيضًا. فقد شعرت بذلك في بادئ الأمر، غير أني اتفقت مع هيلن في أن الاستمرار كان صعبًا، كلما مضت في مراكمة التفصيل تلو الآخر، وكل واحد ضئيل في حد ذاته غير أن مجموع التفاصيل يغدو هائلًا. لم يكن ذلك زواجًا حقًا، بل كان غلطة.

لذا ذات صباح على الإفطار، حين دار نقاش حول ما سيفعلانه في الصيف، قالت بهدوء تمامًا إنها تفكر في الانتقال غربًا والإقامة في ولاية ما يمكن فيها الحصول على الطلاق لسبب معقول، وقد وافقها للمرة الأولى منذ أشهر.

ولك أن تتخيلي الغضب العارم الذي انتاب أسرتها المحافظة، إذ لم يسبق لهم طوال سبعة أجيال من إقامتهم في أمريكا أن حدث لهم أمر مماثل ليدون في الكتاب المقدس للعائلة[1]. وقد حدث هذا كله بفعل ذهابها إلى الكلية، والسماح لها بقراءة أعمال كتّاب حديثين مبتذلين من مثل إلين كي[2] وبرنارد شو.

تذمرت هلين قائلة: «لو أنه كان ثملًا وجرني من شعرني، فسيكون ذلك مقبولًا. لكن لأننا لا نتراشق الأغراض فيما بيننا فلا أحد يرى سببًا يستدعي الطلاق».

وأما الجزء المثير للشفقة في الأمر أن كليهما هي وهنري كانا مناسبين لإسعاد شخص آخر، إنهما لم يتوافقا مع بعضهما ببساطة، وإن لم ينسجم شخصان، فلا يمكن لأي مواعظ في العالم أن تجمع بينهما.

---

(١) تستخدمه العائلة في تلاوة صلواتها، ويكون عادة مزودًا بصفحات بيضاء تدون فيها الأسرة أحداثًا هامة.

(٢) (١٨٤٩-١٩٢٦) كاتبة سويدية نسوية، تتركز أعمالها على تربية الأطفال وحقوق المرأة، منها أخلاق النساء، والحركة النسوية، والحرب والسلام والمستقبل.

صباح السبت

نويت إنهاء هذه الرسالة قبل يومين، وها أنذي قد كتبت مجلدات، لكنني لم أرسلها.

لقد قضينا ليلة بائسة مخادعة، إذ يكون الجو باردًا ومتجمدًا حين أخلد للفراش، ودافئًا وساكنًا حين أستيقظ في العتمة، مختنقة تحت جبل من البطانيات. ثم فكرت بالأطفال الأربعة عشر الملفوفين في الهواء النقي في الحضانة، حين أزحت واحدًا من الأغطية الإضافية، وعدلت وسادتي واضطجعت براحة. فالتي تدعى مربيتهم الليلية تغطّ في نوم عميق طوال الليل، (اسمها هو التالي في قائمة التسريح)، لذا نهضت ثانية وقمت بجولة لإزالة البطانيات، وما إن فرغت حتى أصبت بالأرق. أنا لا أعاني الأرق كثيرًا، لكن حين أفعل فإنني أحل مشاكل العالم. أليس طريفًا أن يكون ذهنك أكثر اتقادًا حين تضطجعين مستيقظة في العتمة؟

أخذت أفكر بهلين بروكس، وقد خططت حياتها ثانية. لست أدري لم سيطرت علي قصتها التعسة، فهو موضوع يوهن عزم فتاة مخطوبة إن فكرت فيه. وظللت أقول لنفسي، هل سنغير أنا وغوردن، حين نعرف بعضنا جيدًا، رأينا حيال حبنا لبعضنا؟ إن الخوف يجثم على قلبي ويعصره عصرًا. غير أنني لا أتزوجه لأي سبب سوى الحب، إذ إنني لست طموحة على وجه الخصوص، فلا منصبه ولا ماله أغرياني يومًا البتة، كما أنني لا أتزوجه لأعثر على عمل مدى الحياة، لأنني سأتخلى عن العمل الذي أحبه لأجل الزواج منه. أنا

أحب هذا العمل حقًا، إذ أواظب على التخطيط لمستقبل أطفاله، شاعرة أنني أبني الأمة. وأيًا ما يحدث لي في الحياة الأخرى، فإني واثقة أنني سأكون أكثر براعة لأني حظيت بهذه التجربة الهائلة. وهي تجربة هائلة فعلًا، أعني القرب من الجنس البشري الذي يحققه الملجأ. أتعلم الكثير من الأشياء كل يوم، وكلما جاءت ليلة السبت أفكر بسالي ليلة السبت الماضي، وأدهش لجهلها.

أتعلمين أنني أنمّي صفة قديمة طريفة، إذ أغدو كارهة للتغيير. لا أحب فكرة أن تصيب حياتي الفوضى. أحببت دائمًا الإثارة التي تمنحها لي رؤية البراكين، غير أن السهل المرتفع الآن هو المفضل عندي في المناظر الطبيعية. أنا مرتاحة كثيرًا حيث أنا، ومكتبي وخزانتي وأدراجي منظمة لتناسبني، كما أنني أخشى بشكل مشين التفكير بالمأزق الذي سيحدث لي العام المقبل! أرجو ألا تظني أنني لا آبه لأمر غوردن بقدر ما يحق لأي رجل أن يؤبه به. فلا يعني ذلك أنني أحبه أقل، غير أنني مأخوذة بحب الأيتام أكثر.

التقيت مستشارنا الصحي قبل قليل دقائق معدودة أثناء خروجه من الحضانة، فألغرا هي الشخص الوحيد في الدار الذي يحظى بزياراته الودية الرصينة. وقد توقف أثناء مروره ليبدي تعليقًا مهذبًا حول تغير الطقس المفاجئ، وأن يعبر عن أمله في أنني أذكره عند الكتابة للسيدة پندلتن.

سأطلق هذه الرسالة التعسة في رحلتها، لأنها لا تكاد تحوي شيئًا من الأخبار التي تودين سماعها. غير أن ميتمنا الصغير الشاحب

على التلال مختلف اختلافًا شديدًا عن النخيل وبساتين البرتقال والعظاءات والعناكب الذئبية التي تستمتعين بها.

أتمنى لك وقتًا طيبًا، ولا تنسي ميتم جون غرير

و

سالي.

الحادي عشر من ديسمبر

عزيزتي جودي

وصلت رسالتك من جامايكا، وسررت بمعرفة أن جودي الصغيرة تستمتع بالسفر. اكتبي لي عن بيتك بالتفصيل، وأرسلي بعض الصور لأستطيع رؤيتك فيه. لا بد أن امتلاكك لقارب خاص بك يقرقر في تلك البحار الرائعة أمر ممتع! هل أبليت فساتينك البيضاء الثمانية عشر كلها؟ وألست سعيدة أنني جعلتك تتريثين في أمر شراء قبعة القش حتى وصلت كنغزتن؟

نحن هنا نمضي أمورنا كالمعتاد دون حدوث أي شيء مثير. أنت تذكرين الصغيرة مايبل فولر، ابنة فتاة الفرقة الموسيقية التي لا يحبها طبيبنا، أليس كذلك؟ لقد أرسلناها لعائلة راعية. حاولت أن أجعل المرأة تأخذ هاتي هيبي بدلًا منها، تلك الصغيرة الهادئة التي سرقت كأس المناولة. لكن لا، لقد فازت رموش مايبل. إن الأمر الأهم في النهاية، كما تقول ماري المسكينة، هو أن تكوني جميلة، إذ تتوقف كل الأمور الأخرى في الحياة على ذلك.

حين عدت للديار الأسبوع الماضي، بعد زيارة خاطفة لنيويورك، ألقيت خطابًا موجزًا على الأطفال، وأخبرتهم أنني ودعت العمة جودي على متن باخرة كبيرة، وأشعر بالحرج للقول إن الاهتمام

-وبخاصة من طرف الأولاد- سرعان ما انفضّ عن العمة جودي وتركز على السفينة. كم طنًا من الفحم تحرق في اليوم؟هل كانت طويلة بما يكفي لتصل بين المرآب والمخيم الهندي؟ هل كان على متنها أي مدفع، وإن هاجمها مركب قراصنة فهل يمكنها الدفاع عن نفسها؟ وإن تمرد البحارة، هل يمكن للقبطان أن يطلق النار على من يريد، وألن يعدم شنقًا إن وصل إلى الشاطئ؟ كان علي استدعاء ساندي بشكل مذل لأنهي خطابي. أدركت أن أفضل العقول النسائية في العالم لا يمكنها التعاطي مع الصنف الغريب من الأسئلة التي تتكون في عقل صبي في الثالثة عشرة.

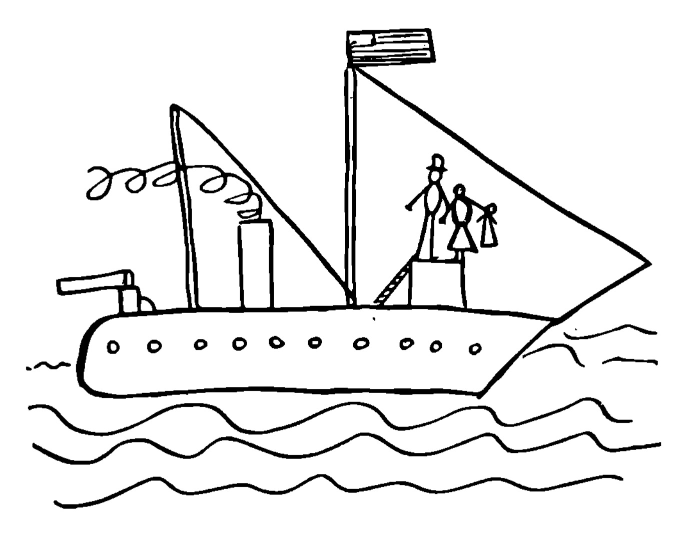
اقترح الطبيب، إثر اهتمامهم بالبِحارة، فكرة دعوة سبعة من أكبر الفتية وأكثرهم ذكاء لقضاء يوم معه في نيويورك ورؤية عابرة المحيط بأم أعينهم. نهضوا في الساعة الخامسة من صباح البارحة، واستقلوا قطار السابعة والنصف، وحظيوا بأروع المغامرات التي حدثت لهم في كل حيواتهم السبعة. لقد زاروا واحدة من أكبر العبارات (يعرف ساندي المهندس الاسكتلندي)، وأخذوا في جولة من العنبر في الأسفل إلى مستراح الطاقم في الأعلى، ثم تناولوا الغداء على سطح الباخرة. ثم زاروا بعد الغداء الحوض المائي وقمة مبنى سنغر، واستقلوا قطار الأنفاق في المدينة لقضاء ساعة مع طيور أمريكا في مواطنها. وانتزعهم ساندي بكثير من الصعوبة من متحف التاريخ الطبيعي للحاق بقطار السادسة والربع. وتناولوا العشاء في عربة الطعام. وقد تساءلوا بدهشة كبيرة عن تكلفة ذلك، وحين سمعوا أن الأجر كان نفسه، مهما كان مقدار ما أكلته،

تنفسوا الصعداء واضطلعوا بهدوء وثبات بمهمة عدم السماح بخداع مضيفهم. لم تؤثر السكة الحديدية بتلك المجموعة، وتوقف جميع من على الطاولات المجاورة عن الأكل وحدقوا. سأل أحد المسافرين الطبيب إن كانوا طلاب مدرسة داخلية وهو مسؤول عنهم، فلك أن تتخيلي مدى رقي سلوك فتيتنا وآدابهم. لا أود التباهي، لكن لم يكن لأحد أن يسأل سؤالًا كهذا يتعلق بسبعة من فتية السيدة ليبيت. بل سيكون السؤال الاعتيادي بعد رؤية آداب المائدة لذريتها «هل هم نزلاء إصلاحية؟».

عادت فرقتي الصغيرة في حوالي العاشرة، وهم يعددون بحماس أرقام المحركات البخارية الترددية، والحواجز الإنشائية المقاومة للماء، والأخطبوطات وناطحات السحاب، وطيور الفردوس. ظننت أنني لن أتمكن من جعلهم ينامون، لكنهم قضوا يومًا عظيمًا! أتمنى لو كان بوسعي أن أكسر الروتين كثيرًا. إذ يمنحهم هذا رؤية جديدة للحياة، ويجعلهم أكثر شبهًا بالأطفال الطبيعيين. أليس هذا لطفًا بالغًا من ساندي؟ لكن عليك رؤية سلوك الرجل حين حاولت شكره. لقد لوّح لي بيده حين كنت في منتصف حديثي، وسأل الآنسة سنيث مدمدمًا إن كان بإمكانها أن تقتصد قليلًا بالحمض الكربولي، فالدار تفوح منها رائحة المستشفى.

علي إبلاغك أن پَنْش عاد إلينا ثانية، وقد تعدلت أخلاقه تمامًا، وأنا أبحث عن عائلة تتبناه. وددت لو أن هاتين العانسين الذكيتين تقرران الاحتفاظ به للأبد، لكنهما ترغبان بالسفر وتشعران أنه يقيد من حريتهما كثيرًا. سأرفق رسمًا بالطباشير الملونة لباخرتك، الذي

أنهاه لتوه. ثمة شيء مريب في اتجاهها، إذ يبدو أنها تتقدم للخلف وينتهي بها الأمر في بروكلن. ونظرًا لفقدان قلمي الأزرق، كان على علمنا أن يتبنى ألوان العلم الإيطالي.



الأشخاص الثلاثة على الجسر هم أنت وجيرِفس والصغيرة. يؤلمني أن أذكر أنك تحملين ابنتك من عنقها وكأنها هرة. ليست هذه هي الطريقة التي نمسك بها الأطفال في حضانة ميتم جون غرير. كما أرجو أن تنتبهي أيضًا إلى أن الفنان قد منح جيرِفس كامل اهتمامه فيما يتعلق بالساقين. حين سألت پَنْش عما حدث للقبطان، قال إن القبطان في الداخل يضع الفحم في الموقد. كان پَنْش منبهرًا جدًا، كما ينبغي له، حين عرف أن باخرتك تحرق ثلاثمئة حمل عربة من الفحم في اليوم، وافترض طبعًا أن كل الملاحين استدعوا لإذكاء النار.

باو! واو!

هذا نباح سنغ، أخبرته أنني أكتب رسالة لك، وقد استجاب على الفور.

يرسل كلانا حبه.

المخلصة،

سالي.

ميتم جون غرير
السبت

عدوي اللدود

لقد كنت شديد الفظاظة ليلة البارحة حين حاولت شكرك لمنح فتيتي يومًا رائعًا، حتى أنني لم أتمكن من التعبير عن نصف الامتنان الذي شعرت به.

ما هو خطبك يا ساندي؟ لقد كنت رجلًا لطيفًا إلى حد لا بأس به، في بعض المواطن، غير أنك كنت لطيفًا مع آخرين، لا معي في هذه الأشهر الثلاثة أو الأربعة الأخيرة.

لقد كان لدينا منذ البدء سلسلة طويلة من سوء الفهم والحوادث الحمقاء، ولكن بعد كل واحدة منها بدا أننا نصل إلى أساس أمتن من التفاهم، حتى ظننت أن صداقتنا كانت مبنية على أساس صلب، قادرة على الصمود في وجه أي صدمة محتملة.

ثم جاءت الأمسية المؤسفة في شهر يونيو الماضي حين سمعت صدفة بعض الوقاحات والحماقات، التي لم أعنها مطلقًا ولا بأي شكل، ومنذئذ اختفيت بعيدًا. لقد شعرت بالاستياء كثيرًا، وأردت الاعتذار، غير أن أسلوبك لم يكن موحيًا بالثقة. لا يعني ذلك أن لدي عذرًا أو تفسيرًا، لأني ليس لدي واحدًا. لكنك تعرف كم

أكون حمقاء وسخيفة أحيانًا، وينبغي أن تدرك أنني رغم كوني حمقاء وصفيقة وتافهة من الخارج، إلا أنني حصيفة جدًا من الداخل، وعليك أن تصفح عن الجزء السخيف. يعرف آل پندلتن هذا منذ زمن طويل، وإلا ما كانوا ليرسلوني هنا. لقد حاولت جاهدة أن أقدم عملًا أمينًا، لأني أردت من جهة أن أؤكد حكمهما، ومن جهة أخرى لأني كنت مهتمة حقًا في إعطاء الأطفال المساكين حصتهم من السعادة، غير أن ذلك غالبًا، كما أرى، لأني أردت أن أثبت لك أن رأيك الأول الذي يحط من شأني كان مبنيًا على خطأ. ألا يمكنك أن تمحو تلك الدقائق الخمس عشرة التعسة عند الباب في يونيو الماضي، وتتذكر عوضًا عنها الساعات الخمس عشرة التي قضيتها في قراءة آل كاليكاك من فضلك؟

أود أن نكون أصدقاء من جديد.

سالي مكبرايد.

ميتم جون غرير
الأحد

عزيزي الطبيب مكراي

لقد تلقيت بطاقة الاتصال الخاصة بك التي كتبت على ظهرها إحدى عشرة كلمة ردًا على رسالتي. لم أقصد إزعاجك بمخاوفي، غير أن تفكيرك وسلوكك يسبب لي الكثير من الاستياء. كن وقحًا قدر ما تشاء.

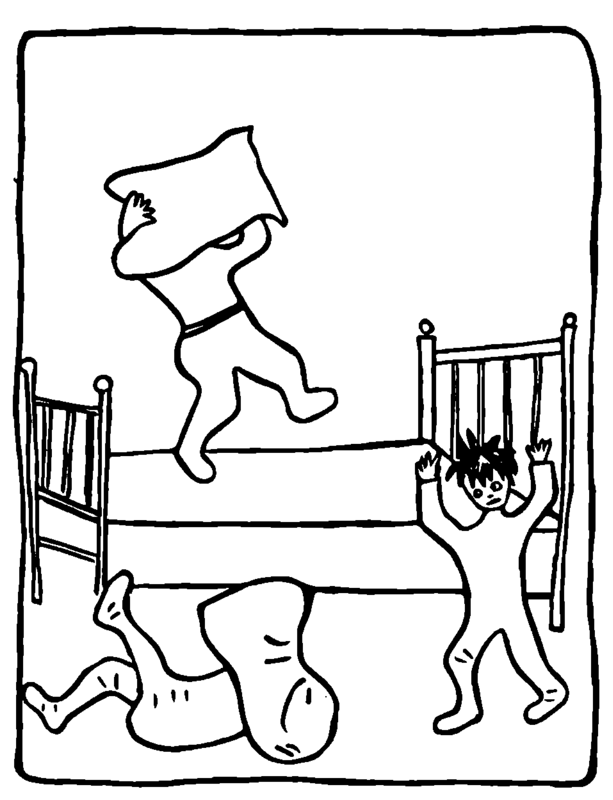
س. مكب.

الرابع عشر من ديسمبر

عزيزتي جودي

أكثري من فضلك من الطوابع في رسالتك، داخلها وخارجها، فلدي ثلاثون جامعًا للطوابع في العائلة. منذ أن سافرتِ، تحتشد مجموعة متلهفة عند البوابة في وقت وصول البريد كل يوم، بانتظار انتزاع أي رسالة لها مظهر أجنبي وحين تصلني الرسائل، تصلني في مزق بفعل تشبث المختطفين المتنافسين. أبلغي جيرفِس ليرسل لنا مزيدًا من أشجار الصنوبر الأرجوانية من هندوراس، إلى جانب بعض الببغاوات الخضر من غواتيمالا. يمكنني الاستفادة منها فعلًا!

أليس رائعًا أن يكون هؤلاء المساكين الصغار متحمسين جدًا؟ يغدو أطفالي مثل الأطفال الحقيقيين تقريبًا. اندلعت حرب بالوسائد ليلة البارحة في مهجع ب بمحض إرادتهم، ورغم أنها كانت استنزافًا لمخزوننا من البياضات، إلا أنني وقفت جانبًا وابتسمت، بل إنني ألقيت وسادة بنفسي.



أمضى صديقا پيرسي اللطيفان السبت الماضي يلعبان مع الأولاد طوال بعد الظهيرة. وقد جلبا ثلاث بندقيات، وأخذ كل رجل قيادة خيمة من الهنود، وأمضوا بعد الظهر في مسابقة الرمي على الزجاجات، وتقديم جائزة للخيمة الفائزة. جلبا الجائزة معهما، كانت رأسًا مروّعًا لهندي مرسوم على جلد. يا له من ذوق فظيع، لكن الرجال رأوه جميلًا، لذا أبديت إعجابي به بكل ما استطعت من حماسة.

وحين انتهوا، كافأتهم بالكعك والشوكولاته الساخنة، وأظن أن الرجال استمتعوا حقًا بقدر الفتيان، بل لا بد أنهم استمتعوا أكثر

مما فعلت أنا. لم أستطع الكف عن البقاء في مزاج أنثوي طوال وقت إطلاق النار؛ خوفًا من أن يطلق أحدهم النار على أحد آخر. غير أنني أعلم أنني لا أستطيع إبقاء أربعة وعشرين هنديًا مربوطين إلى خيوط مئزري، ولم أكن لأجد في العالم الواسع كله ثلاثة رجال ألطف من هؤلاء ليتولوا أمرهم.

تخيلي فقط كل تلك المساعدة الطوعية الفياضة الحيوية التي نصرفها في صالح الملجأ! أفترض أن الجوار مفعم بالكثير منها، وسآخذ على عاتقي مهمة التنقيب عنها.

أكثر ما أرغب فيه هو ثماني نساء لطيفات جميلات عاقلات للقدوم هنا ليلة في الأسبوع، والجلوس قرب النار وسرد القصص أثناء تناول الصغار للفشار. أود حقًا أن أخترع رفاهية صغيرة خاصة لصغاري. أنا أذكر طفولتك، كما ترين يا جودي، وأحاول جاهدة أن أسد الثغرات.

مضى اجتماع الأوصياء على نحو رائع الأسبوع الماضي، وكانت النسوة الجديدات عونًا حقيقيًا، ولم يأت سوى الرجال الطيبين. كما يسعدني أن أعلن أن المبجل سايرس وايكف يزور ابنته المتزوجة في سكرنتن. أتمنى أن تدعو أباها للعيش معها دومًا.

الأربعاء

أشعر بغضب صبياني شديد من الطبيب. ودون سبب محدد. إنه يحافظ على طريقته الباردة الحيادية دون أن يلقي أدنى بال لأحد. لقد أعرضت عن تجاهله في هذه الأشهر القليلة الماضية أكثر مما

فعلت في كل حياتي قبلًا، وقد صار لدي طبع يهوى الانتقام كثيرًا. أقضي وقتي الفارغ كله في التخطيط لأوضاع ينجرح فيها بشدة ويحتاج فيها لمساعدتي، فأرفع كتفيّ وأدير ظهري بأقصى قسوة. أنني أغدو شخصًا غريبًا تمامًا عن الشابة الباسمة العذبة التي عرفتها.

المساء

هل تدركين أنني مسؤولة عن رعاية أطفال معوزين؟ سأزور غدًا أنا وعدد من المسؤولين رسميًا ميتم جمعية الحارس الحامي اليهودية في پلزنتڤيل (هذا كله اسمه!) إنها رحلة شاقة ومتعرجة الطريق للغاية من هذا المكان، باعتبار أنها ستنطلق عند طلوع الصبح واستقلال قطارين وسيارة، ولكن ما دمت مسؤولة فلا بد أن أكون على مستوى المنصب. أتلهف لرؤية الدور الأخرى، واكتساب أفكار قدر المستطاع فيما يتعلق بتغييراتنا العام القادم. وملجأ پلزنتڤيل هذا تحفة معمارية.

أقر الآن، بتأمل وقور، أننا كنا حكيمين في تأجيل عمليات البناء الممتدة حتى الصيف قادم. صحيح أنني شعرت بخيبة، لأن هذا كان يعني ألا أكون في مركز التجديد، وأنا أحب مركز التجديد كثيرًا! لكن على أية حال، هل ستعملين بنصيحتي حتى إن لم أعد مديرة رسميًا؟ إن تفاصيل المبنيين اللذين أنجزناهما واعدة جدًا، وتصبح غرفة الغسيل لدينا أفضل وأفضل، فقد أزاحت عنا تلك الرائحة البخارية المعروفة في الملاجئ. سيكون كوخ المزارع جاهزًا

للسكن الأسبوع القادم، وكل ما ينقصه الآن طبقة من الطلاء وبعض مقابض الأبواب.

أوه يا إلهي! يا إلهي! لقد انفجرت فقاعة أخرى! إن السيدة تيرنفِلت، رغم كل قوامها المريح وابتسامتها الودودة، تكره عبث الأطفال، فهم يجعلونها عصبية. والأمر نفسه بالنسبة لتيرنفِلت، رغم كونه بستانيًا ماهرًا ودقيقًا وممتازًا، إلا أن تفكيره ليس مثلما تمنيته تمامًا. حين جاء هنا أول مرة، سمحت له بالاطلاع على المكتبة. فبدأ بالخزانة الأقرب إلى الباب، التي تضم سبعة وثلاثين مجلدًا من أعمال پانسي[1]. أخيرًا، وبعد أن قضى أربعة أشهر في قراءتها، اقترحت شيئًا مختلفًا على سبيل التغيير وأرسلته إلى البيت مع هكلبري فن[2]. لكنه أعادها بعد أيام قلائل، وهز رأسه. قال إن أي شيء يبدو تفِهًا بعد قراءة پانسي. وأخشى أن علي البحث عن أحد أكثر تطورًا، لكن تيرنفِلت مثقف، عند مقارنته بستِري على الأقل!

وبالحديث عن ستِري، فقد جاء لزيارتنا زيارة ودية قبل بضعة أيام، بطبع مهذب تمامًا. يبدو أن «رجل المدينة الثري»، الذي يتولى شؤون أراضيه لم يعد بحاجة لخدماته، ويود ستِري أن نتكرم بقبول عودته إلينا، وسيسمح للأطفال بأن يكون لهم حدائق إن أرادوا. غير أنني رفضت طلبه بلطف لكن بإقناع.

(١) هذا الاسم المستعار للكاتبة الأمريكية إيزابيلا مكدونالد ألدن (١٨٤١-١٩٣٠).

(٢) رواية لمارك توين.

الجمعة

عدت ليلة البارحة من پلزنتڤيل بقلب يغمره الحسد. أرجوك سيدي الرئيس أرغب ببعض الأكواخ المزخرفة بالجص الرمادي، وعليها تماثيل لوكا دِلا روبيا[1] في الأمام. لديهم ٧٠٠ طفل هناك، وكلهم أطفال ضخام، وهذا طبعًا يعني مشكلة تختلف عن مشاكلي المئة والسبع، التي تبدأ من الرضع فصاعدًا. لكني استعرت من مشرفتهم عددًا من الأفكار الجميلة. فسأقسم فراخي إلى إخوة وأخوات كبار وصغار، وكل واحد كبير له واحد صغير يحبه ويساعده ويدافع عنه. على الأخت الكبيرة سادي كيت أن تنتبه ليكون شعر الأخت الصغيرة غلادولا مسرّحًا بأناقة، وجواربها مرفوعة للأعلى، وأن تذاكر دروسها، وتحصل على شيء من الدلال ونصيبها من الحلوى، وسيكون ذلك سارًا لغلاديولا، غير أنه سيطور سادي كيت على وجه الخصوص.

كما أنني سأبدأ بين أطفالنا الأكبر سنًا شكلًا من الحكم الذاتي كالذي مارسناه في الكلية. سيساعدهم هذا في الخروج إلى العالم والتحكم بذواتهم حين يكونون هناك. ويبدو إطلاق الأطفال إلى العالم بعمر السادسة عشرة أمرًا عديم الرحمة كثيرًا. لدي خمسة من صغاري على أهبة الإطلاق، لكني لا أستطيع إجبار نفسي على فعل ذلك. وأظل أتذكر ذاتي الشابة اللاهية السخيفة وأتساءل عما كان سيحل بي لو أنني ذهبت للعمل بعمر السادسة عشرة!

---

(١) نحات إيطالي (١٣٩٩/ ١٤٠٠–١٤٨٢)، اشتهر بأعماله في الطين النضيج وتزجيج الخزف.

علي أن أتركك الآن لأكتب رسالة جميلة لرجلي السياسي في واشنطن، وهو عمل شاق. فما الذي أقوله ويهم سياسيًا؟ لا يمكنني فعل شيء سوى الثرثرة عن الأطفال، وهو لن يبالي إن اختفى كل طفل على وجه البسيطة. أوه، بلى سيهتم أيضًا! أخشى أنني أفتري عليه. فالأطفال، الأطفال الذكور على الأقل، سيكبرون ليصبحوا ناخبين.

إلى اللقاء،

سالي.

الغالية جودي

إن كنت تتوقعين مني رسالة سعيدة اليوم، فلا تقرئي هذه. إن حياة المرء درب شتوي، ضباب وثلج ومطر وثلج مائع ورذاذ وبرد، يا له من طقس! يا له من طقس! وأنت في جامايكا العزيزة محاطة بضوء الشمس وأزهار البرتقال!

لقد أصبنا بسعال ديكي، ويمكنك سماع شهيقنا حين تنزلين من القطار على بعد ميلين. لسنا ندري كيف أصبنا به، فهي واحدة من مسرات حياة الدار. غادرت الطاهية -ليلًا- فيما يسميه الاسكتلندي «هروب في ضوء القمر». لست أدري كيف استطاعت إخراج حقيبتها، لكنها ليست هنا. وقد رحلت معها نار المطبخ، وكل الأنابيب متجمدة، وقد جاء السباكون وأرضيات المطبخ قد كشطت. وأصيب واحد من جيادنا بالجرذ[1]، وعلاوة على كل هذا فقد غرق عزيزنا المرح الباسم بيرسي في أعماق اليأس. لم نكن متأكدين تمامًا لثلاثة أيام خلت إن كنا نستطيع منعه من الانتحار. فقد رحلت الفتاة في دتروت -التي عرفت أنها لعوب بلا رأفة- دون حتى أن تتبع العرف في أن ترسل له خاتمه، وتزوجت برجل وعدد من السيارات ويخت. إنه أفضل ما قد يحدث لبيرسي، غير أن وقتًا طويلًا جدًا سيمضي قبل أن يدرك ذلك.

---

(١) ورم في عرقوب الفرس.

لقد أعدنا هنودنا الحمر الأربعة والعشرين داخل الدار معنا. وقد كنت أشعر بالأسف لإدخالهم، لكن الأكواخ لم تكن مهيأة للإقامة شتاء. لقد أسكنتهم براحة تمامًا على أية حال والفضل يعود للشرفات المعدنية الرحبة المحيطة بمخرج الحريق الجديد. لقد كانت فكرة جميلة من جيرفِس أن تزجج لتكون أروقة للنوم. وقد كانت ردهة تشميس الأطفال إضافة رائعة للحضانة. يمكننا أن نرى الصغار يزهرون فعلًا بتأثير مزيد من الهواء ونور الشمس.

انتهى عمل بيرسي بعودة الهنود إلى الحياة المتمدنة، وكان يفترض به أن ينقل نفسه إلى الفندق. لكنه لم يرغب بذلك، فقد اعتاد وجود الأيتام، كما يقول، وسيفتقد رؤيتهم. أظن أن الحقيقة بأنه يشعر بالحزن على خطوبته الفاشلة وأنه يخشى البقاء وحيدًا، ويحتاج إلى شيء يشغل به كل لحظة يقظة من أيام العمل القصيرة، والرب يعلم كم يسعدنا إبقاؤه! فقد كان رائعًا مع الصغار، وهم بحاجة لتأثير رجل. ولكن ما الذي نفعله بالرجل بحق السماء؟ لقد رأيت بنفسك الصيف الماضي أن هذا القصر الواسع ليس فيه غرفة ضيوف للإدارة. لقد استقر أخيرًا في مختبر الطبيب، ونقلتِ الأدوية إلى خزانة في آخر القاعة. واتفق هو والطبيب فيما بينهما، فإن كانا مستعدين للإزعاج المشترك، فلست أرى بأسًا في الأمر.

يا إلهي! ألقيت نظرة على التقويم لتوي، ووجدت اليوم هو الثامن عشر، وعيد الميلاد بعد أسبوع فحسب. هل سنتمكن من إنجاز خططنا في أسبوع؟ يعد الأطفال هدايا لبعضهم بعضًا، وقد همسوا في أذني بما يقارب الألف سر.

أثلجت ليلة البارحة. قضى الأولاد الصباح في الغابة يجمعون أشجار الزينة، ويجرونها إلى الدار على الزلاجات، وقضت عشرون فتاة بعد الظهيرة في الغسيل وحياكة الأكاليل للنوافذ. لست أدري كيف سنغسل ثيابنا هذا الأسبوع. نود إبقاء شجرة عيد الميلاد سرًا، غير أن خمسين طفلًا قد رفعوا إلى نوافذ المرآب ليختلسوا النظر، وأخشى أن الخبر ذاع بين الخمسين الآخرين.

وبإلحاح منك روجنا لأسطورة سانتا كلوز، لكنها لم تقابَل بكثير من التصديق «لماذا لم يأت قبلًا؟» كان سؤال سادي كيت المتشكك. غير أن سانتا كلوز سيأتي هذا العام، وقد طلبت من الطبيب بكل تهذيب، أن يؤدي الدور الرئيس لدى شجرة عيد الميلاد. ولأني واثقة مسبقًا أنه سيرفض، فقد وضعت پيرسي ليكون تحت الطلب. غير أنه لا يمكن توقع رد فعل رجل اسكتلندي، فقد قبل ساندي بكثير من الامتنان غير المسبوق، وكان علي أن أسرح پيرسي سرًا!

الثلاثاء

أليست غريبة الطريقة التي يفصح فيها الناس غير المنطقيين عما يدور في خلدهم أيًا كان فورًا؟ يبدو أنه ليس لديهم بقية من كلام تافه، وليسوا بقادرين على نسيان مشكلة لنقاش الطقس.

هذا غرض الزيارة التي تلقيتها اليوم. جاءت امرأة لتضع ابنة أختها، والأخت في مصح لأنها مصابة بذات الرئة، وعلينا الاحتفاظ بالطفلة حتى تستعيد الأم عافيتها، رغم أنني أخشى، مما سمعت، أن هذا لن يحدث. لكن على أية حال، اتخذت كل الترتيبات، وما

كان على المرأة سوى أن تسلم الفتاة الصغيرة وترحل. لكن ما دام لديها بضع ساعات بين قطاريها، فقد أبدت رغبة في إلقاء نظرة، فأريتها غرفة الروضة والسرير الصغير الذي ستشغله ليلي، وغرفة طعامنا الصفراء، بإفريز الأرانب، بغية أن تنقل تفاصيل مبهجة قدر المستطاع للأم المسكينة. وبعد هذا بدت متعبة، فطلبت منها بود أن تذهب معي إلى ردهتي لشرب كوب من الشاي. وجاء أيضًا الطبيب مكراي، الذي كان قريبًا وجائعًا (وهذا حدث نادرٌ منه، فهو يشرب الشاي هذه الأيام مع مراقبات الدار مرتين في الشهر) وأقمنا حفل شاي صغير.

بدا أن المرأة شعرت أن عبء التسلية يقع على عاتقها، ومن أجل فتح حوار أخبرتنا أن زوجها وقع في هوى فتاة تبيع التذاكر في صالة سينما (امرأة ذات شعر أصفر مصبوغة الوجه تمضغ العلكة مثل بقرة، كان هذا وصفها للفاتنة) وقد بدد كل ماله على الفتاة، ولم يكن يعود إلى البيت إلا إن كان ثملًا. ثم حطم الأثاث تحطيمًا فظيعًا، ومنه إطار يحمل صورة أمها، كانت تحتفظ به قبل زواجها، ورماه من أجل متعة سماعه يتحطم فقط. وأخيرًا أصابها الملل من الحياة، فشربت زجاجة من مياه قاع المستنقع، لأن أحدهم أخبرها أنها سامة إن شربتها دفعة واحدة. لكنها لم تقتلها بل جعلتها تشعر بالغثيان فقط. فعاد وقال إنه سيخنقها إن حاولت فعل ذلك ثانية، لذا فقد ظنت أنه ما زال يهتم بها. وكل هذا قالته بعفوية وهي تقلّب الشاي.

حاولت التفكير بشيء أقوله، لكن المجاملات الاجتماعية أصابتني بالبكم. غير أن ساندي تصدى للمهمة مثل رجل مهذب،

فتحدث إليها حديثًا جميلًا وعقلانيًا وتركها تذهب شاعرة بالتفاؤل. يمكن أن يكون رجلنا ساندي، حين يحاول، لطيفًا لطفًا استثنائيًا، وبخاصة نحو الأشخاص الذين لا يتبجحون أمامه. أفترض أن هذا شأن من شؤون أداب المهنة، فجزء من مهمة الطبيب أن يشفي الروح كما يشفي الجسد، ويبدو أن كثيرًا من الأرواح بحاجة لذلك في هذا العالم. كنت أتساءل منذئذ عما سأفعله إن تزوجت رجلًا يهجرني من أجل فتاة تمضغ العلكة، ويعود إلى البيت ويكسر تحفي. أظن، بالحكم على مسرحيات هذا الشتاء، أنه أمر قد يحدث لأي أحد، وبخاصة في المجتمع الراقي.

لا بد أن تكوني شاكرة أنك حصلت على جيرفِس، فثمة أمر موثوق للغاية حول رجل مثله. كلما عشت أكثر ازددت قناعة أن الشخصية هي الشيء الوحيد المهم، ولكن كيف يمكنك معرفة ذلك؟ فالرجال بارعون جدًا في الحديث!

إلى اللقاء وعيدًا مجيدًا لجيرفِس ولكلتا جودي.

س. مكب.

ملاحظة: سيكون أمرًا رائعًا لو أنك تجيبين رسائلي بنحو أسرع قليلًا.

ميتم جون غرير
التاسع والعشرون من ديسمبر

عزيزتي جودي

قضت سادي كيت أسبوع في كتابة رسالة عيد الميلاد لك، ولا يبقي هذا شيئًا لي لقوله. أوه، لقد قضينا وقتًا رائعًا! فإلى جانب كل الهدايا والألعاب والأشياء الجميلة التي أكلناها، فقد حظينا بجولات في عربات التبن وحفلات تزلج وحلوى. لست أدري إن كان هؤلاء الأيتام الصغار المدللون سيعودون ثانية ليصبحوا أطفالًا عاديين.

شكرًا جزيلًا على هداياي الست، فقد أحببتها كلها وبخاصة صورة جودي الصغيرة، إذ تضيف السن بهجة على ابتسامتها.

سيسرك معرفة أنني أرسلت هاتي هيبي إلى عائلة قس، ولأنهم عائلة لطيفة فلم يرف لهم جفن حين أخبرتهم بقصة كأس المناولة. لقد قدموا لها هدية عيد الميلاد، وذهبت بسعادة شديدة، متشبثة بيد أبيها الجديد!

لن أكتب أكثر لأن خمسين طفلًا يكتبون رسائل شكر، وستطمر العمة جودي المسكينة تحت الرسائل حين تصل باخرة هذا الأسبوع.

حبي لآل پندلتن.

س. مكب.

ملاحظة: يرسل سنغابور حبه إلى توغو، ويأسف لأنه عضه من أذنه.

ميتم جون غرير
الثلاثون من ديسمبر

أوه يا إلهي يا غوردن، لقد كنت أقرأ أسوأ الكتب!

حاولت التحدث بالفرنسية ذلك اليوم، ولأني لا أجيدها إجادة حسنة، قررت أن من الأفضل التحدث بالفرنسية إن لم أرغب بنسيانها تمامًا. لقد تخلى طبيبنا الاسكتلندي عن أمر تثقيفي العلمي حمدًا لله، لذا كان لدي قليل من الوقت تحت تصرفي. ولسوء الحظ بدأت قراءة نوما رومستان لدوديه. إنه كتاب مزعج للغاية لتقرأه فتاة مخطوبة إلى سياسي. اقرأه يا غوردن العزيز ودرب نفسك بجد لتكون مختلفًا عن شخصية نوما. إنها قصة سياسي ساحر للغاية (مثلك)، ويحبه كل من يعرفه (مثلك)، ولديه طريقة مقنعة في الحديث ويلقي خطابات رائعة (مثلك مرة أخرى). الجميع يعبدونه ويقولون لزوجته «لا بد أنك تعيشين حياة سعيدة لأنك تعرفين ذلك الرجل الرائع معرفة وطيدة!».

لكنه لم يكن رائعًا حين يعود إليها، يكون كذلك إن كان لديه جمهور يصفق فحسب. كان يتناول الشراب مع كل صديق عابر ويكون مرحًا وحيويًا وودودًا، ثم يعود نكدًا ومتجهمًا ومحبطًا. سعيد في الخارج، كئيب في البيت، هذه هي الفكرة الرئيسة في الكتاب.

قرأته حتى الثانية عشرة ليلة البارحة، ولم أنم لأنني شعرت بالخوف صراحة. أعلم أنك ستغضب، لكن صدقًا وحقًا يا عزيزي غوردن، ثمة الكثير جدًا من الحقيقة فيها رغم استمتاعي بها. لم أقصد أن أشير ثانية إلى واقعة ٢٠ أغسطس المؤسفة -فقد تحدثنا عنها طوال الوقت- لكنك تعلم تمامًا أنك بحاجة لشيء من الرقابة، وأنا لا أحبذ الفكرة. أود أن يكون لي شعور بالثقة المطلقة والهدوء في الرجل الذي سأتزوجه، ولا أستطيع مطلقًا العيش في حالة من الانتظار القلق بانتظار عودته إلى البيت.

اقرأ نوما لنفسك، وستعرف وجهة نظر المرأة. أنا لست صبورة، ولا حليمة، أو طويلة الاحتمال بأي شكل. لكنني خائفة قليلًا مما يمكنني فعله حين أتعرض لاستفزاز. يجب أن يكون قلبي راغبًا في إنجاح الأمر، وأنا أود كثيرًا أن ينجح زواجنا!

اغفر لي كتابتي كل هذا من فضلك، فلست أظن فعلًا أنك ستغدو «سعادة للخارج، وكآبة للبيت»، لكن هذا لأني لم أنم ليلة البارحة وأشعر بثقب خلف العينين.

ليكن العام القادم عام النوايا الطيبة والسعادة والهدوء لكل منا!

للأبد،

س.

الأول من يناير

عزيزتي جودي

لقد حدث أمر غريب للغاية، وبصراحة لست أدري إن كان قد حدث فعلًا أو أنني حلمت به. سأخبرك الأمر من البداية، وأظن أن من الأفضل أن تحرقي هذه الرسالة، فهي ليست مناسبة تمامًا ليقرأها جيرفِس.

هل تذكرين إخباري لك عن حالة تاماس كيهوي، الذي أرسلناه لعائلة راعية يونيو الماضي؟ لقد كان له أسلاف مدمنو الكحول من كلا الجانبين، ويبدو أنه غُذي في طفولته على الجعة بدلًا من الحليب. لقد دخل ميتم جون غرير في عمر التاسعة، وقد أفلح، وفقًا لسجله في كتاب يوم الحساب، مرتين في أن يثمل، مرة بشرب الجعة المسروقة من بعض البنائين، ومرة (بشكل أكبر) بشرب البراندي في المطبخ. ولك أن تتخيلي الهواجس التي رافقت إرسالنا له، لكننا حذرنا العائلة (عائلة مجدة دافئة تعمل بالزراعة) وتمنينا الأفضل.

أرسلت العائلة برقية البارحة مفادها أنهم لا يستطيعون الاحتفاظ به أكثر، وهلا قابلته عند قطار الساعة السادسة من فضلي؟ استقبل تيرنفِلت قطار الساعة السادسة، لكنه لم يجد الولد. أرسلت رسالة ليلية أبلغ عن عدم وصوله، وأسأل عن تفاصيل.

ظللت مستيقظة أكثر من المعتاد ليلة البارحة أحاول ترتيب مكتبي، وأهيئ ذهني لاستقبال العام الجديد. ثم أدركت حوالي الساعة الثانية عشرة أن الوقت متأخر وأنني متعبة جدًا، وقد أخذت أستعد للخلود للنوم حين أخافني قرع على الباب الأمامي. أخرجت رأسي من النافذة وسألت عمن هناك.

«تومي كيهوي»، قال صوت مرتجف جدًا.

نزلت وفتحت الباب، ودخل ذلك الفتى ذو الستة عشر عامًا، ثملًا تمامًا. حمدًا للرب أن پيرسي وذرسپون كان قريبًا، وليس بعيدًا في المخيم الهندي. أيقظته، ونقلنا تاماس معًا إلى غرفة الضيوف، البقعة الوحيدة المعزولة تمامًا عن بقية المبنى. ثم اتصلت بالطبيب الذي كان قد مر بيوم طويل، كما أخشى. فجاء وقضينا ليلة رهيبة، إذ تبين لاحقًا أن الصبي قد جلب مع أمتعته زجاجة من المروخ تعود لرئيسه، وقد صُنع من الكحول من جهة، ومن بندق الساحرة من جهة أخرى، فأنعش تاماس نفسه في الرحلة بهذا المشروب!

لقد كان في هيئة لم أتخيل أننا سنخرجه منها حقًا، وأملت ألا نفعل. لو كنت طبيبًا لكنت جعلت حالات كهذه تقضي لصالح المجتمع، لكن كان عليك أن تري عمل ساندي! ثارت غريزة الحفاظ على الحياة الرهيبة لديه، وقد حارب بكل ذرة من جهده.

أعددت قهوة سوداء، وساعدت بقدر استطاعتي، غير أن التفاصيل كانت مزرية فعلًا، فتركت الرجلين ليتعاملا معه وحدهما وعدت إلى غرفتي، غير أنني لم أحاول الخلود للفراش، إذ خشيت

أن يحتاجوني ثانية. جاء ساندي حوالي الرابعة إلى مكتبي ليقول إن الولد نائم وأن بيرسي جلب سريرًا وسينام في غرفته لبقية الليلة. بدا المسكين ساندي رثًا ومنهكًا ويائسًا من الحياة. حين نظرت إليه تخيلت كم عمل جاهدًا لإنقاذ الآخرين ولم ينقذ نفسه أبدًا، وذلك المنزل الكئيب بلا أدنى لمسة بهجة، والمأساة المروعة في تاريخ حياته. وبدا أن كل الضغينة التي أحملها قد تلاشت، واجتاحتني موجة من التعاطف. فمددت يدي إليه، ومد يده إلي. ثم فجأة -لست أدري- حدث أمر مروّع، فقد كنا متعانقين في اللحظة التالية. فحرر ذراعي وأجلسني في الكرسي الكبير ذي الذراعين. «يا إلهي يا سالي! هل تظنينني مخلوقًا من حديد؟»، قال وخرج. فنمت على الكرسي، وحين صحوت كانت الشمس تشرق في عيني، وجين تقف قربي في ذعر مشدوه.

لقد عاد في الحادية عشرة من هذا الصباح ونظر إلي في عينيّ ببرود دون أدنى رفة جفن، وأخبرني أن تاماس لا بد أن يشرب الحليب الساخن كل ساعتين، وأنه لا بد من مراقبة البقع على رقبة ماغي بيتر.

ها قد عدنا إلى منوالنا القديم، وحقيقة لست أدري سوى أنني حلمت بتلك اللحظة ليلة البارحة!

لكن ذلك سيكون وضعًا مثيرًا، إن اكتشفنا أنا وساندي أننا واقعان في غرام بعضنا، وهو لديه زوجة جميلة جدًا في مصح المجاذيب، وأنا لي خطيب حانق في واشنطن، أليس كذلك؟ لست

أدري غير أن الأمر الأكثر حكمة لأفعله هو أن أستقيل حالًا وأعود للبيت، حيث يمكنني التركيز بهدوء لبضعة أشهر على تطريز «س. مكب.» على مفارش الطاولة، مثل أي فتاة مخطوبة محترمة.

أكرر بحزم شديد أن هذه الرسالة ليست صالحة لقراءة جيرفِس. مزقيها إلى قطع وانثريها في البحر الكاريبي.

س.

الثالث من يناير

عزيزي غوردن

لك الحق في أن تغضب. أعرف أنني لست مُرضية في كتابة رسائل الحب، لكني إن ألقيت نظرة على الرسائل المنشورة بين إليزابيث بارت وروبرت براوننغ، لأدركت أن دفء أسلوبي لا يوافق المواصفات. لكنك تعرف مسبقًا -وعرفت لوقت طويل- أنني لست شخصًا عاطفيًا جدًا. أفترض أن عليّ كتابة الكثير من أشياء من قبيل «أنت تحتل أفكاري في كل لحظة يقظة»، «فتاي العزيز، إنني أحيا حين تكون بقربي فقط»، لكن ذلك لن يكون حقيقيًا تمامًا. أنت لا تشغل فكري كله، بل يشغله مئة وسبعة أيتام، كما أنني على قيد الحياة مرتاحة سواء إن كنت هنا أم لا. علي أن أكون طبيعية، وأنت لا تريدني حتمًا أن أتظاهر بأسى أكثر مما أشعر. لكنني أحب رؤيتك -وأنت تعرف هذا تمام المعرفة- وأشعر بالخيبة حين لا تتمكن من القدوم. وأقدر تمامًا كل صفاتك الساحرة، لكن يا فتاي العزيز، لا يمكنني أن أكون عاطفية على الورق. أفكر دومًا بخادمة الغرف في الفندق، التي تقرأ الرسائل التي ربما تركتها عفويًا على طاولتك. ولا داعي لأن تحتج بأنك تحملها قرب قلبك، لأنني أعرف يقينًا أنك لا تفعل.

اغفر لي رسالتي الأخيرة إن جرحت مشاعرك، فقد صرت حساسة في أمر الشراب منذ أن جئت إلى هذا الملجأ، وستكون أنت

كذلك أيضًا لو أنك رأيت ما رأيت أنا. إن الكثير من صغاري هم نتاج بائس لأهل من مدمني الكحول، ولن يحظوا مطلقًا بفرصة عادلة طوال حياتهم. لا يمكنك النظر إلى مكان كهذا دون «أن تستمر في التفكير السيء دائمًا».

أخشى أنك محق بشأن كونها مجرد حيلة لامرأة تتباهى بالصفح عن رجل، ثم لا تسمح له بمعرفة أن الأمر انتهى. حسن، يا غوردن أنا حقًا لا أدري ما معنى كلمة «الصفح»، ولا يمكن لها أن تعني «النسيان» لأنه عملية طبيعية، ولا تحدث حسب الرغبة. لدينا كلنا مجموعة من الذكريات التي نود أن ننساها بسعادة، غير أن تلك نوعًا ما هي التي تصر على البقاء. وإن كانت كلمة الصفح تعني الوعد بألا نتحدث عن أمر ما ثانية، فيمكنني تدبر ذلك بلا شك. غير أنها ليست الطريقة الأكثر حكمة دومًا أن تحبس ذكرى حزينة داخلك، لأنها تكبر وتكبر وتجري في كل جسدك مثل السم.

أوه يا إلهي! أنا لم أقصد قول هذا كله. بل أحاول أن أكون سالي المبتهجة، وخلية البال، (والجذِلة نوعًا ما) التي تحبها أكثر، غير أنني صادفت الكثير من الواقعية في هذه السنة الأخيرة، وأخشى أنني صرت امرأة شديدة الاختلاف عن الفتاة التي هويتها. فلم أعد شابة مرحة تلعب مع الحياة، وأعرف ذلك جيدًا الآن، وهذا يعني أنني لا أستطيع الضحك دومًا.

أعلم أن هذه رسالة أخرى كئيبة للغاية -سيئة بقدر الأخيرة، بل ربما أسوأ- ولكن ليتك تعلم ما الذي مررنا به! سمم ولد -في

السادسة عشرة- ذو أصول سيئة نفسَه تقريبًا بمزيج مقرف من الكحول وبندق الساحرة. وقضينا ثلاثة أيام في علاجه، وأثق الآن أنه سيتعافى تمامًا ليعيد الكرة! «إنه عالمٌ طيب، غير أن فيه كثير من المتاعب».

أرجو أن تغفر لي حديثي بالاسكتلندية، فقد انزلقت مني بلا قصد. أرجو أن تغفر لي كل شيء.

سالي.

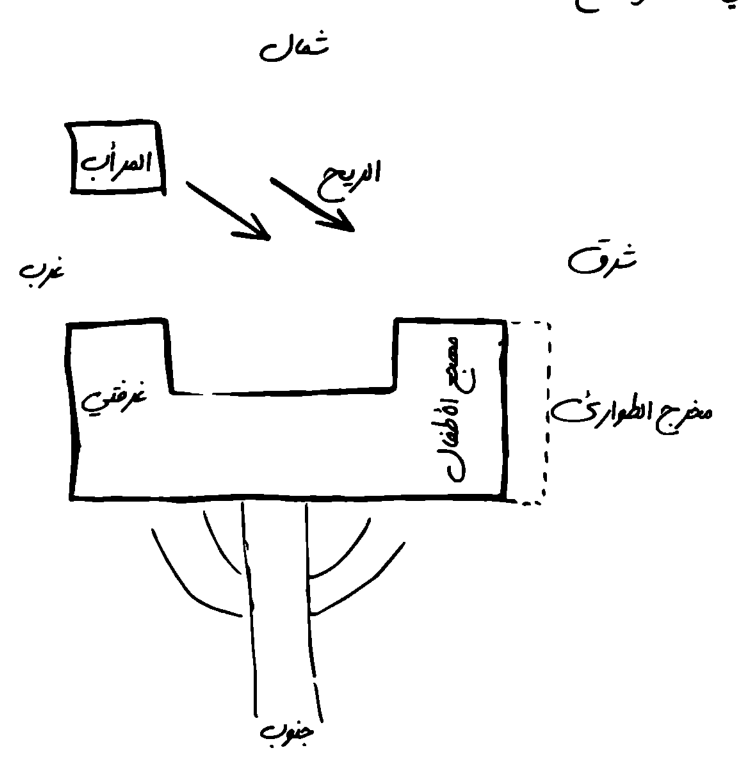
الحادي عشر من يناير

عزيزتي جودي

أرجو أن برقيتيّ لم يسببا لك صدمة رهيبة. كنت سأنتظر لأكتب الأخبار الأولى في رسالة بشيء من التفاصيل، لولا أنني خشيت أن تسمعي بالأمر بطريقة غير مباشرة. إن الأمر برمته رهيب بما يكفي، لكن لم نخسر أرواحًا، ووقع حادث خطير واحد. ولا نستطيع الكف عن التفكير بأنه كان من الممكن أن يكون أسوأ، بوجود أكثر من مئة طفل ينامون في شرك النار هذا. كان مخرج الطوارئ الجديد بلا فائدة مطلقًا، إذ كانت الريح تهب نحوه وقد طوقه اللهب بسرعة. لقد أنقذناهم جميعًا عبر الدرج الرئيس، لكنني سأبدأ من البداية وأروي القصة كاملة.

أمطرت السماء طوال يوم الجمعة، شكرًا للعناية الإلهية الرحيمة، وقد تبلل السطح كليًا، ثم بدأت تُثلج بدنو الليل، وتحول المطر إلى شفشاف. كانت الريح تهب بحلول الساعة العاشرة، حين خلدت للفراش، في عاصفة هوجاء من الشمال الغربي، وكل شيء غير محكم الإغلاق حول المبنى كان يخبط ويصلصل. صحوت فجأة متيقظة تمامًا بحوالي الساعة الثانية، وضوء ساطع في عيني، فقفزت من فراشي وركضت نحو النافذة. كان المرآب كتلة من اللهب، وكان رشاش من الشرر يتطاير فوق جناحنا الشرقي. جريت نحو

الحمام وأطللت من النافذة، فرأيت السطح فوق الحضانة قد اشتعل في ستة مواضع.



حسن يا عزيزتي، لم ينبض قلبي لدقيقة، إذ فكرت بهؤلاء الصغار تحت ذلك السطح، وعجزت عن ازدراد ريقي. ثم استطعت أخيرًا أن أجبر ركبتي القاصفتين على المشي ثانية، وأسرعت بالعودة إلى الصالة وجذبت معطف السيارة وأنا أجري.

فقرعت الباب على بتسي والآنسة ماثيوز والآنسة سنيث، حين جاء السيد وذرسبون أيضًا الذي أيقظه اللهب يقفز الدرج ثلاث عتبات معًا في كل قفزة، جاهدًا في ارتداء معطفه وهو ينزل.

«اجلبوا كل الأطفال إلى غرفة الطعام، والرضع أولًا» لهثت، «وأنا سأدق جرس الحريق».

فهرع مسرعًا إلى الطابق الثالث حين كنت أجري نحو الهاتف، وقد ظننت أنني لن أتمكن من التحدث للبدالة، فقد بدت العاملة نائمة.

فقلت: «ميتم جون غرير يحترق، أطلقي جرس إنذار الحريق وأيقظي القرية. وحوليني إلى ٥٠٥».

وفي ثانية واحدة رد عليّ الطبيب، وكنت سعيدة بسماع صوته الضجر البارد.

فصحت: «نحن نحترق. تعال بسرعة واجلب معك كل من تستطيع من الرجال».

«سأصلكم خلال خمس عشرة دقيقة، املئي أحواض الاستحمام بالمياه وضعي فيها البطانيات»، وأغلق السماعة.

أسرعت عائدة إلى الردهة، كانت بتسي ترن جرس إنذار الحريق لدينا ووذرسپون أخرج قبيلتيه الهنديتين في مهجع ب وج.

لم يكن إيقاف النار أول اهتماماتنا، بل إخراج الأطفال إلى مكان آمن. فبدأنا بالمهجع د ومضينا من سرير إلى آخر ننتزع الطفل والبطانية، ونندفع بهم إلى الباب ونسلمهم خارجًا إلى الهنود الذين وضعوهم أسفل الدرج. كان المهجعان د وف مملوءان بالدخان والأطفال ناعسون جدًا، للحد الذي عجزنا فيه عن جعلهم

يمشون. شكرت العناية الإلهية -وپيرسي وذرسپون- مرات عديدة في الساعة التالية على تدريبات الحريق الصاخبة التي عانينا منها كل أسبوع. إذ لم يفقد الأولاد الأربعة والعشرون الأكبر سنًا صوابهم ولو للحظة بفضل توجيهاته. بل انقسموا إلى أربع قبائل واضطلعوا بمهامهم مثل جنود صغار. ساعدت قبيلتان في إخلاء المهاجع والحفاظ على النظام بين الأطفال المذعورين. وجلبت قبيلة أخرى الخرطوم من خزان القبة حتى وصل رجال الإطفاء، وكرس البقية أنفسهم للإنقاذ. فبسطوا الملاءات على الأرض، وأفرغوا محتويات الخزائن وأدراج المكتب عليها، ولفوها ونزلوا بها الدرج. وأنقذت كل الثياب الإضافية عدا تلك التي كان الصغار يرتدونها اليوم السابق، ومعظم أغراض الطاقم. غير أن الثياب وأغطية السرير وكل ما يعود للمهجعين د وف قد احترق. كانت الغرف مملوءة بالدخان ولم يكن من الآمن دخولها بعد إخراج آخر طفل.

حين وصل الطبيب مع لولن وجارين أحضراهما معهما، كنا نأخذ أطفال آخر مهجع نحو المطبخ إلى أبعد منطقة عن النار. كان الصغار المساكين حفاة الأقدام وملفوفين بالبطانيات، وطلبنا منهم أن يحضروا ثيابهم حين أيقظناهم، لكنهم لم يفكروا إلا بالخروج لذعرهم.

ملأ الدخان المكان، وبالكاد استطعنا التنفس. وبدا كأن المبنى بأكمله سيحترق، رغم أن الريح كانت تهب بعيدًا عن الجناح الغربي.

سرعان ما وصلت سيارة أخرى مكتظة بالخدم من نولتوپ،

وهرعوا جميعًا لإطفاء النار. لم تأت دائرة الإطفاء النظامية إلا بعد ذلك بعشر دقائق. وكما تعرفين ليس لديهم سوى الخيول ونحن على بعد ثلاثة أميال، وكانت الطرق سيئة جدًا. لقد كانت ليلة رهيبة باردة ومتجمدة، وريح كهذه تعصف حتى ليعجز المرء عن الوقوف. تسلق الرجال إلى السطح مرتدين جواربهم المزدوجة لتحاشي الانزلاق. وانهالوا على الشرر ببطانيات مبللة، وضربوا خزان المياه بالفؤوس وبعجوه وتصرفوا كالأبطال.

حمل الطبيب أثناء ذلك مسؤولية الأطفال. فقد كان هاجسنا الأول إخراجهم من المكان إلى مكان آمن، إن كان المبنى كله سيحترق، ولم نستطع أخذهم إلى الخارج في ظل تلك الريح العاصفة، وهم لا يرتدون سوى ثياب النوم والبطانيات لحمايتهم. وصل عدد من السيارات المملوءة بالرجال في ذلك الوقت، ونحن شغلنا العربات.

كان منزل نولتوپ مفتوحًا برحابة لنهاية الأسبوع، من أجل إقامة حفل منزلي على شرف عيد ميلاد الرجل السابع والستين. غير أنه كان من أوائل الواصلين، وقد وضع كامل بيته رهن إشارتنا، وكان الملجأ الأقرب إلينا، فقبلنا ذلك على الفور. وضعنا صغارنا العشرين بالعربات، وأرسلناهم إلى المنزل. استقبل الضيوف، الذين كانوا يتأهبون للقدوم إلى موقع الحريق، الصغارَ ووضعوهم في فرشهم.

وقد ملأ هذا كامل المساحة المتوفرة، لكن السيد رايمر (اسم

عائلة سيد نولتوپ) كان قد بنى حظيرة كبيرة جديدة من الجص، ولها مرآب متصل بها، وكلاهما جيد التدفئة، وجاهز لاستقبالنا.

وبعد أن أدخل الأطفال إلى المنزل، هرع هؤلاء الضيوف المساعدون إلى العمل، وهيؤوا الحظيرة لاستقبال الأطفال الأكبر سنًا. فغطوا الأرض بالقش، وفرشوا البطانيات وأغطية العربات عليها، ونوموا ثلاثين طفلًا في صفوف مثل العجول الصغيرة. ذهبت معهم الآنسة ماثيوز ومربية، وقدم لهم الحليب الساخن، وفي غضون نصف ساعة كان الأطفال ينامون بسلام كما يفعلون في سررهم الصغيرة.

غير أننا في الدار في أثناء ذلك كنا نعاني القلق. إذ كان أول سؤال طرحه الطبيب لدى وصوله «هل أحصيتم الأطفال؟ هل تأكدتم أنهم موجودون جميعًا؟».

فأجبت: «لقد تأكدنا أن كل مهجع فارغ قبل أن نغادره».

لم يكن لي، كما تعرفين، أن أحصيهم وسط هذه المعمعة، كان عشرون أو نحوهم من الأولاد ما زالوا في المهاجع يعملون تحت إدارة پيرسي وذرسپون لإنقاذ الثياب والأثاث، وكانت الفتيات الأكبر سنًا يفصلن بوشلات من الأحذية، محاولات إلباسها للصغار الذين كانوا يجرون حفاة ويبكون بصخب.

حسن، بعد أن حملنا سبع حمولات سيارة من الأطفال وأفرغناها، صاح الطبيب فجأة:

«أين ألغرا؟».

فخيم صمت مذعور. لم يرها أحد، ثم نهضت الآنسة سنيث وزعقت، وأمسكت بها بتسي من كتفيها وهزتها لتعيد لها صوابها.

تبين أنها تذكرت ألغرا قادمة تسعل، وبغية أن تبعدها عن البرد كانت قد نقلت سريرها من الحضانة المهواة إلى غرفة المخزن ونسيتها هناك.

حسن يا عزيزتي، تعرفين أين تقع غرفة المخزن! نظرنا إلى بعضنا بعضًا بوجوه شاحبة. فقد كان الجناح الشرقي بأكمله في هذا الوقت قد أتلف، ودرج الطابق الثالث مشتعل. لم يبد أن ثمة أملًا بأن تكون الطفلة على قيد الحياة . كان الطبيب أول من تحرك، فانتزع بطانية مبللة كانت ملقاة في كومة مشبعة بالماء على أرض الردهة وقفز نحو السلالم. صحنا به ليعود، فقد بدا ذلك انتحارًا، لكنه واصل سيره واختفى في الدخان. اندفعت نحو الخارج وصحت برجال الإطفاء على السطح. كانت نافذة غرفة المخزن صغيرة ليدخلها رجل، ولم يفتحوها خوفًا من خلق تيار هوائي.

لا يمكنني وصف ما حدث في الدقائق العشر المروعة. إذ سقط درج الطابق الثالث مدويًا، واشتعلت النيران لخمس ثوان بعد أن وطئها الطبيب. لقد ظننا أننا فقدناه حين انطلقت صرخة من الحشد على المرج، وقد ظهر للحظة في واحدة من نوافذ المهاجع في العلية، وصاح برجل الإطفاء أن يقرب السلم. ثم اختفى، وبدا لنا أنهم لن يضعوا السلم في مكانه، لكنهم فعلوا أخيرًا وارتقاه رجلان. كان فتح النافذة قد شكل تيارًا هوائيًا، وكاد يغلبهم مقدار الدخان الذي

انبعث من الأعلى. وبعد دهر ظهر الطبيب ثانية حاملًا لفافة بيضاء بين ذراعيه، ومررها للرجال، ثم اندفع داخلًا واختفى عن الأنظار.

لست أدري ما الذي حدث في الدقائق العشر التالية، لأنني أدرت ظهري وأغمضت عينيّ. بطريقة أو بأخرى أخرجوه ووضعوه على السلم ثم جعلوه ينزلق. لقد فقد وعيه كما تعرفين بسبب الدخان الذي استنشقه، وكان السلم متزعزعًا وزلقًا بفعل الثلج. على أية حال، حين نظرت ثانية كان مستلقيًا في كومة على الأرض، والحشد كله يركض وأحدهم يصيح لمنحه الهواء. ظنوا في بادئ الأمر أنه ميت، غير أن طبيب القرية مِتكالف فحصه وقال إن ساقه مكسورة، إضافة لضلعين آخرين، وأنه يبدو معافى فيما عدا هذا. كان لم يزل فاقد الوعي حين وضعوه على فراشين من فرش الصغار التي ألقيت من النوافذ، وأضجعوه في العربة التي جلبت السلالم وانطلقوا به إلى البيت.

أما البقية منا، الذين مكثوا، فقد واصلوا العمل كأن شيئًا لم يحدث. الأمر الغريب في كارثة كهذه أن ثمة الكثير مما يفعل على كل صعيد، حتى أن المرء لا يحظى بلحظة للتفكير، ولا يحسن التقدير إلا بعد انقضائها. لقد غامر الطبيب، دون لحظة تردد، بحياته لإنقاذ ألغرا، وكان ذلك أشجع ما رأيته، ومع ذلك فإن الأمر لم يشغل سوى خمسة عشر دقيقة من تلك الليلة المرعبة. ولم يكن ذلك عندئذ سوى أمر عرضي.

لقد أنقذ ألغرا. وخرجت من تلك البطانية بشعر أشعث،

ونظرة من الدهشة السعيدة للعبة الجديدة وكانت تبتسم! كانت نجاة الطفلة أقل من المعجزة بقليل، فقد اشتعلت النيران بمحيط ثلاث أقدام من حولها، لكن بفضل اتجاه الريح كانت قد اشتعلت بعيدًا عنها. لو آمنت الآنسة سنيث قليلًا بالهواء النقي وتركت النافذة مفتوحة لالتهمتها النيران، لكن لحسن الحظ أن الآنسة سنيث لا تؤمن بالهواء النقي، ولم يحدث أمر مماثل. لو حصل شيء لألغرا ما كنت لأغفر لنفسي لعدم سماحي لآل برتلند بأخذها، وأعلم أن ساندي لن يفعل.

رغم كل الخسائر، لا يمكنني إلا أن أكون سعيدة حين أتذكر المأساتين الرهيبتين اللتين تجنبناهما، فقد عشت لسبع دقائق حين كان الطبيب محاصرًا في الطابق الثالث المشتعل، في عذاب التصديق بأن كليهما قد مات، وقد استيقظت ليلًا أرتجف من الذعر.

لكني سأحاول إخبارك ما تبقى. عمل رجال الإطفاء والمتطوعين -السائق وعمال الإسطبل من نولتوپ على وجه الخصوص- طوال الليل بنشاط مطلق. وقد انطلقت طاهيتنا الجديدة الزنجية، البطلة بطريقتها الخاصة، وأشعلت نار غرفة الغسيل.وأعدت ملء مرجل من القهوة. وكانت تلك فكرتها هي. وقدمتها البطلة التي لا تضاهى لرجال الإطفاء، حين كانوا يتناوبون لبضع دقائق من الراحة، وكان ذلك مفيدًا.

أخذنا بقية الأطفال إلى عدد من منازل الضيافة، باستثناء الأولاد الأكبر سنًا، الذين عملوا طوال الليل بجد بقدر أي منا. لقد كان من

الرائع حقًا رؤية الهيئة التي هبت بها كامل هذه البلدة للمساعدة. والأشخاص الذين لم يعرفوا بوجود الميتم جاؤوا منتصف الليل ووضعوا كل منازلهم رهن إشارتنا. فأخذوا الأطفال وغسلوهم بالمياه الساخنة وقدموا لهم الحساء الساخن ووضعوهم في الفراش وبقدر ما يمكنني القول، لم يصب أي من صغاري المئة والسبعة بأذى من القفز على الأراضي الندية بأقدامهم الحافية، ولا حتى المصابين بالسعال الديكي.

لقد طلع النهار جليًا قبل أن تخمد النار تمامًا ليتيح لنا رؤية ما أنقذ. وأبلغك أن جناحي سليم تمامًا، رغم أنه مدخن بعض الشيء، والممر الرئيس على ما يرام تقريبًا حتى الدرج الأوسط، لكن كل شيء بعده مخرب وتالف. أما الجناح الشرقي فقوقعة مسودة بلا سطح. وجناح ف الذي تكرهينه، يا عزيزتي جودي، قد ذهب للأبد. أتمنى أن تتمكني من إزاحته من ذهنك، كما انزاح كليًا من على وجه البسيطة. إن ميتم جون غرير محطم تمامًا جسدًا وروحًا.

لا بد من إخبارك بأمر طريف، ولم أر في حياتي أمورًا طريفة بهذا القدر كما حدث في تلك الليلة. حين كان الجميع مرتديًا لباس البيت -فالرجال يرتدون المنامات والمباذل، وكلها بلا ياقات- ارتدى المبجل سايرس وايكف زيًا قديمًا، وكأنه ذاهب لشاي ما بعد الظهيرة. فقد وضع مشبكًا من اللؤلؤ للوشاح وطماقين أبيضين! لكنه كان مساعدًا جدًا، فقد وضع منزله تحت تصرفنا، وأرسلت إليه الآنسة سنيث في حالة من الهياج وقد انشغل بحالتها العصبية كثيرًا حتى إنه لم يعترض طريقنا طوال الليل.

لا يمكنني كتابة المزيد من التفاصيل الآن، فلم أكن في حياتي مستعجلة بهذا القدر، سأؤكد لك أنه لا داعي أبدًا لأن تختصري رحلتك. جاء إلى المكان خمسة من الأوصياء صباح السبت، وقد عملنا جميعًا كالمجانين لنضع الأمور في نصابها إلى حد ما. إن ملجأنا مبعثر في أنحاء البلدة في الوقت الراهن، لكن لا تفرطي بالقلق، فنحن نعلم أين هم الأطفال، ولم يضل أحدهم إلى الأبد. لم أعلم أن الغرباء يمكن أن يكونوا طيبين. وقد تحسن رأيي بالجنس البشري.

لم أر الطبيب. لقد أبرقوا إلى نيويورك في استدعاء جراح جبر كسر ساقه. كان الكسر سيئًا جدًا وسيستغرق وقتًا ليبرأ، ولا يظنون أنه يعاني من إصابات داخلية، رغم أنه قد وقع بشدة. حالما يسمح لنا برؤيته سأرسل المزيد من التفاصيل المسهبة. علي التوقف الآن إن كنت أود اللحاق بباخرة الغد .

إلى اللقاء، لا تقلقي. ثمة الكثير من البطانات الفضية لهذه السحابة وسأكتب لك غدًا.

سالي.

يا إلهي! ها قد وصلت سيارة يستقلها ج. ف. برتلند!

ميتم جون غرير
الرابع عشر من يناير

عزيزتي جودي

أصغي لهذه الأنباء! قرأ ج. ف. برتلند عن حريقنا في صحيفة نيويورك (سأقول إن صحافة المدينة قد اختلقت معظم التفاصيل)، وجاء هنا في نوبة من القلق. كان سؤاله الأول حين وطئ رواقنا المسود «هل ألغرا بخير؟».

قلت: «أجل».

«حمدًا للرب!» صاح وارتمى على الكرسي، «هذا ليس مكانًا ملائمًا للأطفال»، قال بمرارة، «وقد جئت لآخذها إلى البيت. وسآخذ الصبيين أيضًا»، ثم أضاف بسرعة قبل أن يتسنى لي الحديث «ناقشنا الأمر أنا وزوجتي، وقررنا أننا ما دمنا سنتكبد عناء حضانة طفل، فيمكننا تكبد عناء حضانة لثلاثة».

أخذته إلى الأعلى إلى مكتبي حيث كانت تقيم عائلتنا الصغيرة منذ الحريق، واستدعيت بعد عشر دقائق للتشاور مع الأوصياء، تركت ج. ف. برتلند وابنته الجديدة تجلس على ركبته، وابن يتكئ على كل ذراع من ذراعي الكرسي، وهو أكثر الآباء فخرًا في الولايات المتحدة.

وهكذا، كما ترين فقد حقق الحريق أمرًا واحدًا، إذ استقر الحال بهؤلاء الأطفال الثلاثة مدى الحياة. وهذا يستحق الخسارة.

غير أنني لا أظنني أخبرتك كيف اندلع الحريق. ثمة أمور كثيرة لم أخبرك بها حتى أن ذراعي يؤلمني عند التفكير في كتابتها كلها. كان ستـري، كما عرفنا بعدئذٍ، يقضي نهاية الأسبوع في ضيافتنا، وبعد انقضاء أمسية في الشرب في «حانة جاك»، عاد إلى مرآبنا وقد تسلل إليه من النافذة، وأشعل شمعة وهيأ لنفسه أسباب الراحة وغط في النوم. ولا بد أنه نسي إطفاء الشمعة. على أية حال، اندلعت النار ونجا ستـري بحياته. إنه الآن في مستشفى المدينة يغرق بزيت الزيتون ويأسفَ بحسرة لأنه ساهم في متاعبنا.

يسعدني أن أعرف أن التأمين كان كافيًا تمامًا، فلن تكون خسارتنا المالية هائلة في النهاية. لأنه قياسًا إلى الخسائر الأخرى، ليس لدينا خسائر مالية! في الحقيقة لا شيء ذو أهمية حتى الآن كما يمكنني القول، باستثناء طبيبنا المكسور طبعًا. كان الجميع رائعين، ولم أعلم بوجود كل هذا الخير والإحسان في الجنس البشري. هل قلت يومًا شيئًا ضد الأوصياء؟ أسحبه إذًا. لقد جاء أربعة منهم من نيويورك في الصباح الذي تلا الحريق، وكل أهل البلدة كانوا رائعين. حتى المبجل سايرس كان منشغلًا جدًا في الثناء على أخلاق خمسة من الأيتام أقاموا لديه حتى إنه لم يسبب لنا أي متاعب.

اندلع الحريق صباح السبت الباكر، ودعا كل القساوسة في كنائسهم يوم الأحد المتطوعين لقبول طفل أو اثنين في منازلهم

ضيوفًا لثلاثة أسابيع، حتى يتمكن الملجأ من إعادة مبناه الى العمل ثانية.

كانت رؤية ردود الفعل مبهجة، فقد أخذ كل الأطفال في غضون نصف ساعة. وفكري بما يعنيه هذا مستقبلًا، ستهتم كل واحدة من هذه الأسر اهتمامًا شخصيًا بهذا الملجأ من الآن فصاعدًا. وفكري أيضًا بما يعنيه للأطفال، إذ سيعرفون كيف تعيش الأسرة الحقيقية، وهذه هي المرة الأولى التي يطأ الكثير منهم عتبات منازل خاصة.

وأما فيما يتعلق بالخطط الدائمة التي ستجعلنا نقضي الشتاء، فإليك بها. لنادي الريف نادٍ للفتية لا يستخدمونه شتاء وقد وضعوه تحت تصرفنا بتهذيب. إنه يجاور أراضينا من الخلف، وسنهيئه ليكفي أربعة عشر طفلًا وتكون الآنسة ماثيوز مسؤولة عنهم. ما زالت غرفة الطعام والمطبخ سليمين، وسيأتي الأطفال هنا لتناول الوجبات وتلقي الدروس ثم يعودون إلى البيت ليلًا مشيًا لنصف ميل على أقصى تقدير. وبتنا نسميه السرادق على الحدود.

ثم إن السيدة ولسن، جارة الطبيب -كانت فعالة للغاية مع لوريتا الصغيرة- وافقت على أخذ خمس أخريات مقابل أربع دولارات لكل منهن. وسأترك في عهدتها الفتيات الواعدات الأكبر سنًا اللاتي أبدين مهارة في تدبير المنزل ويرغبن في تعلم الطهي جيدًا في نطاق محدود. إن السيدة ولسن وزوجها زوجين رائعين حقًا، ماهرين وكادحين وبسيطين ومحبين، وأظن أن مراقبتهما ستكون في صالح الفتيات. سيكون هذا صفًا لتعليم الحياة الزوجية!

هل أخبرتك عن سكان نولتوپ شرقنا، الذين أخذوا سبعة وأربعين طفلًا ليلة الحريق، وكيف تحول حضور الحفل إلى مربيات في حالة طوارئ؟ لقد أرحناهم من ستة وثلاثين طفلًا، وما زال لديهم أحد عشر. هل نعتّ سيد نولتوپ بالقاسي والبخيل؟ أسحب كلامي، وأستميحه عذرًا. إنه عجوز لطيف. الآن، في وقت حاجتنا، ما الذي فعله هذا الرجل المبارك؟ لقد هيأ منزلًا مستأجرًا فارغًا في أراضيه لأطفالنا الصغار، وعين بنفسه مربية إنجليزية خبيرة لتكون مسؤولة عنهم، وزودهم بالحليب الممتاز من مزرعة ألبانه النموذجية. قال إنه تساءل لسنوات عما يفعله بالحليب، إذ لا يطيق بيعه، لأنه سيخسر أربعة سنتات في كل ربع غالون!

أما الفتيات الاثنتا عشرة الأكبر سنًا من مهجع أ، فسأسكنهن في كوخ المزارع الجديد، أما الزوجان المسكينان تيرنفِلت اللذين سكناه ليومين، فقد اضطرا للانتقال الى القرية. لكنهما لم يكونا ليحسنا صنعًا في العناية بالأطفال، وأنا بحاجة لمنزلهما، إذ عادت ثلاث أو أربع من هؤلاء الفتيات من الأسر الراعية لأنهن عنيدات، وبحاجة لإشراف حصيف. لذا ماذا تظنين أني فعلت؟ أبرقت لهلين بروكس لتهجر دار النشر، وتتولى مسؤولية فتياتي بدلًا من ذلك. تعلمين أنها ستكون رائعة معهن، وقد قبلت بامتنان. لقد نالت المسكينة هلين كفايتها من هذا العمل الممل، فهي تريد كل شيء في الحياة أن يكون خاضعًا للتجربة!

وقد حدث شيء لطيف للأولاد الأكبر سنًا على وجه الخصوص، فقد تلقينا منحة امتنان من السيد ج. ف. برتلند. فقد ذهب ليشكر

الطبيب على ألغرا، وتناقشا مطولًا عن حاجات الدار، وعاد ج. ف. برتلند وأعطاني صكًا بمقدار ٣٠٠٠ دولار لبناء مخيم الهنود الحمر على أساس متين. وقد وضع المخطط هو وپيرسي ومعماري القرية وستنتقل القبائل، كما نأمل، في غضون أسبوعين إلى المقر الشتوي.

ما الذي يهم إن احترق مأوى صغار المئة والسبعة، ما داموا يعيشون في عالم طيب القلب كهذا؟

الجمعة

أفترض أنك تتساءلين لم لا أتلطف بذكر شيء من التفاصيل عن حالة الطبيب. لا يمكنني تقديم أي معلومات مباشرة، لأنه لا يود رؤيتي. لقد رأى الجميع على أية حال سواي، بتسي وألغرا والسيدة لفرمور والسيد برتلند وپيرسي والعديد من الأوصياء، وكلهم يقولون إنه يتحسن جيدًا بقدر ما يتوقع من امرئ كسر له ضلعان وقصبة صغرى، وهذا كما أظن، الاسم العلمي لعظمة الساق نفسها التي كسرها. لا يحب إحداث جلبة حوله، ولن يقف بعظمة كأنه بطل. أنا نفسي، بوصفي مدير الدار، ذهبت في مناسبات مختلفة لتقديم شكري الرسمي، غير أني قوبلت عند الباب بالقول إنه كان نائمًا ولا يرغب بإزعاجه. صدقت السيدة مكرك في المرتين الأوليين، وبعد ذلك، حسن أنا أعرف طبيبنا! لذا حين حان موعد إرسالنا لآنستنا الصغيرة لتودع بلا وعي الرجل الذي أنقذ حياتها، فقد أرسلتها في عهدة بتسي.

لست أدري ما خطب الرجل. لقد كان ودودًا بما يكفي

الأسبوع الماضي، لكن الآن إن أردت مشورة منه أرسلت پيرسي لاستخلاصها. أظن حقًا أن عليه أن يراني بوصفي مشرفة الدار؛ حتى إن لم يكن راغبًا أن تكون معرفتنا على أساس شخصي. غير أن ساندي اسكتلندي، ليس في الأمر شك!

لاحقًا

سأحتاج إلى ثروة لشراء الطوابع وإرسال هذه الرسالة إلى جامايكا، لكني أود حقًا أن تعرفي كل الأخبار، ولم يسبق أن كان لدينا هذا القدر من الأخبار المثيرة منذ تأسس الملجأ عام ١٨٧٦. لقد أحدث بنا هذا الحريق صدمة ستجعلنا أكثر حيوية لعدة سنوات. أرى أن كل دار لا بد أن تحترق مرة كل خمسة وعشرين سنة، بغية التخلص من المعدات القديمة الطراز والأفكار المتخلفة. أنا سعيدة للغاية في أننا لم ننفق مال جيرفِس الصيف الماضي، إذًا لكانت مأساة لو احترق في هذا الحريق. لست أبالي كثيرًا بما أنفقه جون غرير حيث أنه جمع ماله من صنع الأدوية المخدرة كما سمعت.

بالنسبة للبقية الباقية من الميتم التي نجت من الحريق، فقد ركبت فيها الألواح، وغلفت بورق القطران ونعيش براحة في قسمنا من الدار. إذ يقدم مساحة كافية للطاقم وغرفة طعام الأطفال والمطبخ ويمكن وضع خطط دائمة في وقت لاحق.

هل تعرفين ما الذي حدث لنا؟ لقد استجاب الرب الرحيم لدعائي وقد صار جون غرير دارًا بأكواخ.

أنا،

الشخص الأكثر انشغالًا في القارة الشمالية،

س. مكب.

ميتم جون غرير
السادس عشر من يناير

عزيزي غوردن

من فضلك، من فضلك كن مهذبًا ولا تجعل الأمور أقسى مما هي عليه. إن تخليّ عن الملجأ بهذه السرعة أمر لا يقبل النقاش مطلقًا. عليك أن تعي أنني ليس بمقدوري هجر صغاري وهم في أمس الحاجة إليّ. ولست مستعدة أيضًا أن أكف عن هذا العطف القاتل. (يمكنك أن ترى كيف تبدو كلماتك بخط يدي!)

لا حاجة بك للقلق، فأنا لا أفرط في العمل. بل أستمتع به، ولم أكن يومًا مشغولة وسعيدة هكذا في حياتي. لقد جعلت الصحف الحريق أكثر فظاعة مما كان عليه حقًا، وتلك الرسمة لي وأنا أقفز من السطح حاملة طفلًا تحت كل ذراع كانت مبالغة. فقد أصيب واحد أو اثنان من الأطفال بالتهاب في الحلق، ووضع طبيبنا المسكين في جبيرة، لكننا جميعًا على قيد الحياة، حمدًا للرب! وسنمضي دون ندبات دائمة.

لا يمكنني كتابة تفاصيل الآن، فأنا مستعجلة حد الموت. وأوه، لا تأت من فضلك! حين تستقر الأمور قليلًا في وقت لاحق، علينا أن نتحدث أنا وأنت عنك وعني، غير أنني بحاجة للوقت

للتفكير بالأمر أولًا.

س.

الحادي والعشرون من يناير

عزيزتي جودي

تتولى هلين بروكس رعاية فتياتنا الأربع عشرة الشكسات بطريقة بارعة. كان هذا أصعب عمل أعرضه عليها، لكنها تحبه، وأرى أنها ستكون إضافة قيمة لطاقمنا.

ونسيت أن أخبرك عن پَنْش. حين اندلع الحريق، كانت هاتان المرأتان اللطيفتان اللتان استضافتاه الصيف الماضي على وشك ركوب قطار إلى كاليفورنيا، وأخذتاه معهما إلى جانب أمتعتهما، وانطلقتا به. لذا سيمضي پَنْش الشتاء في پاسادنا، وأتصور أنه سيكون مهذبًا. هل تتعجبين من أنني في مزاج نشوان رغم كل الحوادث؟

لاحقًا

كان المسكين پيرسي الثاكل يقضي المساء معي، لأنه يفترض بي تفهم متاعبه. ولمَ يفترض بي تفهم متاعب الجميع؟ من المرهق للغاية أن تبدي التعاطف من قلب خال. إن الفتى المسكين محبط في الوقت الراهن، لكنني أشك قليلًا -بمساعدة بتسي- أنه سيجتاز الأمر. إنه على وشك الوقوع في هوى بتسي، لكنه لا يعلم ذلك. فهو الآن في المرحلة التي يستمتع فيها بمتاعبه، إذ يرى نفسه بطلًا مأساويًا، ورجلًا يعاني بشدة. لكنني لاحظت أنه حين تكون بتسي في الجوار،

فإنه يقدم العون مبتهجًا في أي عمل مطلوب.

أبرق غوردن اليوم يبلغ بقدومه غدًا. أخشى مقابلته، لأنني أعرف أننا سندخل في مشادة. لقد كتب إلي في اليوم الذي تلا الحريق وتوسل الي أن أهجر الميتم، وأن نتزوج فورًا، وها هو قادم الآن للجدل حول ذلك. لا يمكنني جعله يفهم أن عملًا يتعلق بسعادة مئة طفل أو يزيدون لا يمكن الاستقالة منه بلامبالاة ساحرة هكذا. حاولت جهدي أن أبقيه بعيدًا، لكنه عنيد، مثل البقية من بني جنسه. يا إلهي، لست أدري ما الذي ينتظرنا! أتمنى لو كان بوسعي إلقاء نظرة على السنة القادمة للحظة.

ما زال الطبيب في الجبيرة، لكني سمعت أنه يبلي حسنًا، بعد كثير من التذمر. بإمكانه الجلوس قليلًا كل يوم لاستقبال قائمة منتقاة بعناية من الزوار، إذ تفصلهم السيدة مكرك عند الباب، وتمنع من لا تحب.

إلى اللقاء. كنت سأكتب المزيد غير أنني نعسة للغاية، حتى أن عيني تنغلق علي (هذا التعبير تعبير سادي كيت) عليّ الخلود للفراش والنوم قليلًا لمواجهة المشاكل المئة والسبع التي أواجهها غدًا.

أبلغي حبي لآل پندلتن،

س. مكب.

الثاني والعشرون من يناير

عزيزتي جودي

ليس لهذه الرسالة شأن بميتم جون غرير، إنها من سالي مكبرايد فحسب.

هل تذكرين قراءتنا لرسائل هكسلي في سنتنا النهائية من الكلية؟ تضمن هذا الكتاب عبارة علقت بذاكرتي منذئذٍ «ثمة جرف شديد الانحدار في حياة المرء دومًا، فإما أن يبحر منه أو يحطم نفسه فيه»[1]. إنها صحيحة تمامًا، والمشكلة أننا لا نستطيع دومًا معرفة جرفنا حين نراه. إذ يغدو الإبحار ضبابيًا بعض الشيء، ويتحطم المرء قبل أن يدرك ذلك.

أدركت مؤخرًا أنني بلغت جرف حياتي. لقد قبلت خطبتي من غوردن بصدق وأمل، غير أنني غدوت شيئًا فشيئًا مرتابة بالعواقب. فالفتاة التي يحبها ليست أنا التي أود أن أكونها، إنها الشخصية التي كنت أحاول أن أنضج وأختلف عنها تمامًا طوال العام الماضي. ولست واثقة أنها كانت حقاً موجودة. ولعل غوردن يتخيل وجودها فحسب. على أية حال هي لم تعد موجودة، والأمر العادل الوحيد بحقه وبحق نفسي كان بإنهاء الخطبة.

---

(١) تستخدم الكاتبة كيب هورن (رأس هورن) وهو رأس في جزيرة تشيلي له جوانب شديدة الانحدار ويعرف بشدة رياحه ووعورته ويخشى البحارة الملاحة فيه.

لم يعد لدينا اهتمامات مشتركة، ولسنا أصدقاء. إنه لا يفهم الأمر، بل يظن أنني أختلق ذلك، وأن كل ما علي فعله هو الاهتمام بحياته، وسيمضي كل شيء بسعادة. أنا أهتم طبعًا حين يكون معي، فأتحدث عن الأمور التي يود الحديث عنها، ولا يدري أن جزءًا كاملًا مني -وهو الجزء الأكبر- لا يتفق معه في أي شيء ببساطة. إنني أتظاهر حين أكون معه، ولا أكون نفسي، وإن كنا سنعيش معًا في تماس يومي مستمر، فسيتعين علي مواصلة التظاهر طوال حياتي. يريدني أن أنتبه لوجهه وأبتسم حين يبتسم وأعبس حين يعبس، ولا يعي أنني إنسانة مثله.

لدي امتيازات اجتماعية، فأنا حسنة الهندام ورائعة، وسأكون مضيفة مثالية في منزل سياسي، ولهذا يحبني.

على أية حال، رأيت فجأة بإدراك بغيض أنني لو واصلت سأصل إلى ما وصلت إليه هلين بروكس في سنوات. إنه مثال للحياة الزوجية أتأمله في هذه المرحلة، أكثر بكثير منك يا عزيزتي جودي. أظن أن موضوعًا مثيرًا مثلك أنت وجيرفِس خطر على المجتمع. فأنتما تبدوان سعيدين وهادئين وودودين حتى لتغريا المتفرجة العزلاء بالاندفاع والتشبث بأول رجل تلتقيه، ويكون دومًا الرجل الخطأ.

لقد تشاجرنا، رغم ذلك، أنا وغوردن نهائيًا وأخيرًا. كان حريًا بي إنهاء الخطبة دون شجار، لكن بالنظر إلى حساسيته -وحساسيتي أيضًا كما أعترف- فقد كان علينا أن ننهيها بانفجار كبير ينبعث منه

الدخان. فقد جاء بعد ظهر البارحة، بعد أن كتبت إليه ألا ياتي، وذهبنا للمشي في نولتوپ. ولثلاث ساعات ونصف ذرعنا السهل العاصف جيئة وذهابًا وناقشنا نفسينا في أعماق كينونتنا. لا يمكن لأحد ان يقول إن الانفصال حدث لسوء فهم!

انتهى الأمر برحيل غوردن على ألا يعود أبدًا. حين وقفت هناك على الطرف وشاهدته يختفي عن النظر خلف قوس التل، وأدركت أنني حرة ووحيدة وسيدة نفسي، حسن يا جودي، اجتاحني إحساس بالراحة الفرحة والحرية! لا أستطيع الشرح، فلا أظن أن أي شخص متزوج زواجًا سعيدًا يمكنه أن يدرك كم شعرت بالوحدة شعورًا رائعًا وجميلًا. أردت أن أفتح ذراعيّ وأعانق العالم المنتظر أمامي بأكمله الذي صار فجأة ينتمي إلي. إنه لأمر مريح حقًا أنني سويت الأمر! واجهت الحقيقة ليلة الحريق حين رأيت جون غرير القديم ينهار، وأدركت أن جون غرير جديدًا سيبنى في محله، ولن أكون هنا لفعل ذلك. فاستولت الغيرة على قلبي، لا يمكنني الاستسلام وخلال هذه الدقائق الحزينة التي ظننت فيها أننا فقدنا الطبيب، أدركت ما تعنيه حياته، وكم تفوق حياة غوردن أهمية. وعرفت حينها أنني لا أستطيع هجره، علي المضي ومتابعة الخطط التي وضعناها سويًا.

لا يبدو أنني أخبرك شيئًا سوى كلمات مبعثرة، أنا مفعمة بفوضى من المشاعر المزدحمة، أود الحديث والحديث والحديث، شارحة نفسي في ترابط منطقي. لكن على أية حال، وقفت وحيدة في الغسق الشتائي وأخذت نفسًا عميقًا من الهواء البارد النقي

وشعرت أني حرة بروعة وجمال وحماس، ثم جريت وقفزت ووثبت أسفل التل وعبر المراعي نحو سياجنا المعدني، وغنيت لنفسي. لقد كان فعلًا مشينًا، حيث كان ينبغي وفق كل ما سبق أن أعود إلى الدار أجرجر أذيال الخيبة بجناح مكسور. لم أفكر أبدًا بالمسكين غوردن الذي كان يحمل قلبًا مكسورًا متألمًا شاعرًا بالخيانة إلى محطة القطار.

حين دخلت الدار حياني جمع مرح من الأطفال كانوا يتجهون لتناول عشائهم. لقد صاروا لي فجأة، ومؤخرًا، حين غدا قدري أكثر وضوحًا، بدا أنهم يبهتون ليصبحوا غرباء صغار. أمسكت بأقرب ثلاثة وعانقتهم بقوة، فقد عثرت فجأة على حياة جديدة وحيوية، وشعرت كما لو أنني أطلق سراحي من سجن وصرت حرة. أشعر، أوه سأتوقف- لا تعرضي الرسالة على جيرفِس، بل أخبريه بفحواها بطريقة ملطفة ومتفجعة بطريقة مقبولة.

إنه منتصف الليل الآن، وسأحاول النوم. رائع أنني لن أتزوج شخصًا لا أود الزواج منه. أنا سعيدة بكل حاجة هؤلاء الأطفال، وسعيدة بهلين بروكس، وأجل سعيدة بالحريق وكل شيء جعلني أرى الأمور بوضوح. ليس في عائلتي أي حالات طلاق، وكانوا سيكرهون الأمر.

أعلم أنني بالغة الأنانية والغرور، وعلي التفكير بقلب غوردن المحطم المسكين، لكن ذلك سيكون محض تكلف لو أنني تظاهرت بالحزن. سيعثر على أخرى لها شعر فاقع مثل شعري، وستكون مضيفة ساحرة، ولن تزعج نفسها بهذه الأفكار الحديثة اللعينة عن

الخدمة العامة ومهمة النساء وباقي الهراء الذي يولع به جيل النساء الحديث (أنا أشرح لألطف كلمات رجلنا المحطم القلب) .

إلى اللقاء يا أحبتي. كم أتمنى لو كان بمقدوري الوقوف معكم على شاطئكم والنظر إلى البحر الشديد الزرقة! تحياتي للبحر الكاريبي.

إلى اللقاء!

سالي.

السابع والعشرون من يناير

عزيزي الطبيب مكراي

أتساءل إن كانت هذه الرسالة محظوظة لتجدك مستيقظًا؟ ربما لست تعرف أنني جئت أربع مرات لتقديم الشكر والمواساة بأفضل أسلوب لعيادة المريض لدي! لقد آلمتني الأخبار التي تفيد بأن وقت السيدة مكرك مشغول تمامًا في تلقي الورد والهلام وحساء الدجاج، التي ترسلها السيدات المحبوبات من الأبرشية إلى البطل الذي يرقد في الجبيرة. أعلم أنك ترى قبعة منزلية الصنع أفضل من هالة النور على رؤوس القديسين، غير أنني أظنك تنظر إليّ نظرة مختلفة عن السيدات المجنونات محل الحديث. لقد كنا صديقين (على نحو متقطع) ورغم أن تفصيلًا أو اثنين في ماضينا يفضل محوهما، ما زلت لا أرى سببًا لجعلهما يفسدان علاقتنا، ألا يمكننا أن نكون عاقلين ونمحوهما؟

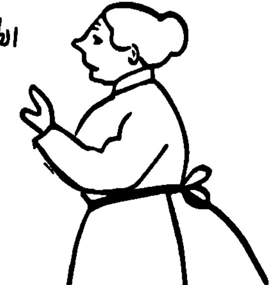
لقد أظهر الحريق الكثير من الخير والعطف، ووددت لو أنه أظهر شيئًا منهما فيك، فأنا أعرفك جيدًا كما تعرف يا ساندي. ربما تتظاهر للعالم بكونك فظًا وجافًا وقاسيًا وعلميًا ومتوحشًا واسكتلنديًا لكن لا يمكنك خداعي. لقد أبقيت عيني التي صارت خبيرة بالنفس مؤخرًا عليك لعشرة شهور، وطبقت اختبار بنيت.

إنك لطيف وعطوف وحكيم ومتسامح وكبير، لذا كن في المنزل من فضلك في المرة القادمة التي آتي فيها لرؤيتك، وسنجري عملية جراحية للزمن، ونبتر خمسة أشهر.

هل تذكر بعد ظهيرة يوم الأحد الذي هربنا فيه بعيدًا، وأي وقت جميل قضينا؟ لنتظاهر أن اليوم هو اليوم الذي تلا ذلك.

سالي مكبرايد.

ملاحظة: إن تنازلت لزيارتك ثانية، فتنازل من فضلك لتراني، لأنني أؤكد لك أنني لن أحاول أكثر من مرة! كما أؤكد لك أنني لن أذرف دمعة على شرشفك أو أحاول تقبيل يدك، كما فعلت سيدة معجبة حسب ما وصلني.



ميتم جون غرير
الخميس

عدوي اللدود

أشعر بكثير من الود نحوك هذه اللحظة كما ترى، فحين أدعوك مكراي لا أكون أحبك، ولكني أحبك حين أدعوك عدوي.

أوصلت سادي كيت رسالتك (بعد أن أعدت النظر) وإنه لخط جيد من رجل أعسر، ظننتها للوهلة الأولى من پَنْش.

يمكنك انتظاري غدًا عند الرابعة، وآمل أن تكون مستيقظًا! يسرني أنك تعتبرنا صديقين، حقًا أشعر أنني استعدت شيئًا ثمينًا أضعته بلا مبالاتي.

س. مكب.

ملاحظة: أصيب جاڤا بالزكام ليلة الحريق ويعاني من ألم في الأسنان، فيجلس ممسكًا خده مثل طفل صغير مسكين.

التاسع والعشرون من يناير

عزيزتي جودي

لا بد أنها كانت عشر صفحات مفككة، تلك التي أرسلتها إليك الأسبوع الماضي. هل استجبت لطلبي في إحراق تلك الرسالة؟ ليس علي القلق حيال ظهورها في مجموعة رسائلي. أعلم أن مزاجي وقح وصادم ومشين، لكن المرء لا يستطيع إخفاء مشاعره. تعد الخطبة عادة إحساسًا جميلًا، لكنها لا تقارن مطلقًا بالإحساس الحر المرح الهانئ لفسخ الخطبة! انتابتني مشاعر مضطربة خلال هذه الأشهر القليلة الماضية، غير أنني هدأت أخيرًا. لم يتطلع أحد للعزوبية بامتنان أكثر مني.

لقد بدأت أصدق أن حريقنا كان عناية إلهية، إذ أُرسل إلينا من السماء لتمهيد الطريق أمام جون غرير جديد. نحن غارقون في خططنا من أجل الأكواخ، وأنا أفضل الجص الرمادي وبتسي تفضل القرميد وپيرسي يفضل أن يكون نصفه من الخشب. ولا أدري ما يفضله طبيبنا المسكين، إذ يبدو أن ذوقه هو الزيتوني وسطح بعليّة.

سيتعلم أطفالنا الطهي، بوجود عشرة مطابخ مختلفة للتدرب فيها! بدأت البحث عن عشر أمهات محبات لتعيينهن، أظنني حقًا سأبحث عن إحدى عشرة أم، بغية ترك واحدة لساندي. إنه بحاجة

شديدة لقليل من الأمومة بقدر أي من صغاري. فلا بد أن العودة للبيت كل يوم إلى خدمات السيدة مكرك أمر محبط.

كم أكره تلك المرأة! لقد أخبرتني بحزم مجامل أربع مرات مختلفة أن الطبيب نائم ولا يرغب بإزعاجه. لم ألقِ نظرة عليه بعد، وتهذيبي يوشك أن ينفد. على أية حال، سأؤجل الحكم حتى الرابعة من يوم غد، حين أزوره زيارة قصيرة مملة لنصف ساعة. لقد ضرب الموعد بنفسه، وإن أخبرتني ثانية أنه نائم فسأدفعها بلطف وأدوس عليها (إنها بدينة ومزعزعة جدًا) وأغرس قدمًا بقوة في بطنها، وأشق طريقي بهدوء نحو الداخل والأعلى. لولن، الذي كان في السابق سائقًا وخادمًا وبستانيًا، صار ممرضًا بارعًا. أتلهف لرؤية مظهره مرتديًا القبعة والمئزر الأبيضين.

وصل البريد، وفيه رسالة من السيدة برتلند تقول إنهم سعداء جدًا بأخذ الأطفال. وقد أرفقت أول صورة لهم، كلهم محشورون في عربة، وكلفورد يمسك الزمام بفخر ويمسح على رأس المهر. كيف ترين ذلك بالنسبة إلى ثلاثة نزلاء من جون غرير؟ إنه لأمر سعيد حقًا حين أفكر بمستقبلهم، لكنه حزين بعض الشيء حين أتذكر والدهم الذي عمل حتى الموت من أجل الصغار الثلاثة الذين سينسونه. سيعمل آل برتلند جهدهم لتحقيق هذا. فهم يغارون من أي مؤثر خارجي ويريدون جعل الأطفال لهم تمامًا. في النهاية، أظن أن الطريقة الطبيعية هي المثلى، أي أن تنجب كل عائلة أطفالها وتحتفظ بهم.

الجمعة

رأيت الطبيب اليوم، إن منظره مثير للشفقة، يتألف في معظمه من الضمادات. وقد سوينا سوء الفهم بطريقة أو بأخرى. أليست بغيضة الطريقة التي يمكن لشخصين، يملك كلاهما قدرة على الحديث، ألا ينقلا شيئًا من أحاسيسهما لبعضهما بعضًا؟ لم أفهم موقفه العقلي منذ البداية، كما أنه لم يفهم موقفي. يا لهذا التحفظ المقيت الذي نجهد نحن، أهل الشمال، للإبقاء عليه! لست أدري بعد ذلك سوى أن طريقة أهل الجنوب اللطيفين في التنفيس هي الفضلى.

لكن يا جودي، وقع أمر رهيب، هل تذكرين العام الماضي حين زار المصح النفسي ومكث عشرة أيام، وأحدثت جلبة سخيفة حول الأمر؟ أوه يا إلهي كم أفعل أشياء رهيبة! لقد ذهب لحضور جنازة زوجته، فقد ماتت في المصح. علمت السيدة مكرك بذلك طوال الوقت، وكان يمكنها إضافته لبقية أخبارها لكنها لم تفعل.

أخبرني كل شيء عنها، بعذوبة شديدة. لقد مر الرجل لسنوات وسنوات بضغط رهيب، وأظن أن موتها راحة ونعمة، لقد اعترف أنه كان يعلم طوال زواجه أنه لم يكن عليه الزواج منها، فقد عرف بأمر اضطرابها العصبي. لكنه ظن أن بمقدوره، بوصفه طبيبًا، التغلب عليه. كما أنها جميلة! فتخلى عن عيادته في المدينة وجاء إلى الريف من أجلها، وبعد ولادة الطفلة الصغيرة انهارت تمامًا وكان عليه إبعادها حسب تعبير السيدة مكرك. تبلغ الطفلة السادسة من

العمر الآن، طفلة حلوة ومحبوبة لكن أظن أنها ليست طبيعية حسبما قاله. لديه مربية مؤهلة معها دومًا. تخيلي كل هذه المآسي التي تحوم فوق طبيبنا المسكين الصبور، فهو صبور رغم كونه أكثر الرجال نفاد صبر!

اشكري جيرڤِس على رسالته، إنه رجل لطيف ويسعدني أن أراه يجني ثمار عمله. يا للمتعة التي سنحظى بها حين تعودون لشاديول، ونضع خططنا لجون غرير الجديد! أشعر كأنما أمضيت السنة الماضية في التعلم، وأنني جاهزة الآن للانطلاق. سنحول هذا إلى أجمل ملجا للأيتام على وجه الأرض. أنا سعيدة للغاية بالفكرة حتى أنني أبدأ صباحي بقفزة وأذهب للاعتناء بشؤوني المختلفة وأنا أغني في داخلي.

يرسل جون غرير مباركته لأفضل صديقين عرفهما يومًا!

إلى اللقاء!

سالي.

ميتم جون غرير

السبت، السادسة والنصف صباحًا!

عدوي الألد

«سيحدث أمر جميل في وقت قريب».

ألم تكن مندهشًا حين استيقظت هذا الصباح وتذكرت الحقيقة؟ أنا كنت مندهشة! لم أستطع تذكر ما جعلني سعيدة للغاية لدقيقتين.

لم يطلع الضوء بعد، لكني مستيقظة تمامًا ومتحمسة وأكتب لك. سأرسل هذه الرسالة مع أول يتيم موثوق يظهر لي، وستصلك على صينية إفطارك إلى جانب الشوفان.



سأعود سريعًا عند الرابعة بعد ظهر اليوم، هل تظن أن السيدة مكرك ستتساهل بأمر الفضيحة، لو أنني مكثت لساعتين دون أن يكون معي مرافق من الأيتام؟

لقد كنت صادقة في نيتي يا ساندي حين وعدت ألا أقبل يدك أو أذرف دمعة على غطائك، غير أني أخشى أني فعلت الأمرين أو أسوأ! لم أشك حقًا بمدى اهتمامي بك، حتى عبرت العتبة ورأيتك متكئًا على الوسائد، ومغطى بالضمادات وشعرك محروق. كان منظرك غريبًا! وإن أحببتك الآن وثلثك مغطى في الجبيرة الباريسية والضمادات الطبية، فلك أن تتخيل كم سأحبك حين تعود كلك!

لكن يا عزيزي روبن يا لك من رجل أحمق! كيف كان بإمكاني قط أن أحلم كل هذه الشهور أنك تهتم بأمري إن كنت تتصرف بطريقة اسكتلندية للغاية؟ فسلوكك، لدى معظم الرجال، لن يعد إشارة للحب. أتمنى لو أنك أعطيتني أدنى فكرة عن الحقيقة، فلربما كنت أنقذت كلينا من وجع القلب.

لكن ليس علينا النظر للماضي، بل النظر للمستقبل وأن نكون ممتنين، لأننا سنحصل على أسعد أمرين في الحياة، زواج جميل وعمل نحبه.

البارحة، بعد تركك، مشيت نحو الملجأ مدوخة بعض الشيء، وأردت أن أتمالك نفسي وأفكر. لكن بدلًا من البقاء وحدي، جاءت بتسي وبيرسي والسيدة لڤرمور للعشاء (دعوتهم مسبقًا)، ثم نزلت للحديث مع الأطفال، فليلة الجمعة هي الأمسية الاجتماعية. كان لديهم الكثير من التسجيلات لجهاز الحاكي الذي قدمته السيدة لڤرمور، وكان علي الجلوس بتهذيب والإصغاء إليهم. وكان آخر ما شغلوه يا عزيزي -سترى هذا مضحكًا- أغنية «جون أندرسن،

حبيبي جون»[1]، ووجدت نفسي فجأة أبكي! كان علي التشبث بأقرب الأيتام وأن أعانقها بقوة ورأسي مدفون في كتفها، لأمنع الجميع من الرؤية.

جون أندرسن، حبيبي جون،

لقد ارتقينا التلال سويًا،

ويا للأيام الجميلة الكثيرة يا جون،

التي قضيناها معًا،

وعلينا أن نهبط التل الآن،

لكننا سنمضي يدًا بيد،

وننام معًا على السفح،

يا جون أندرسن، حبيبي جون.

أتساءل حين نهرم وتنحني ظهورنا ونترنح، هل يمكننا أنا وأنت النظر للماضي دون ندم على الأيام الجميلة الكثيرة التي قضيناها سويًا؟ من الجميل أن تتطلع إلى حياة من العمل واللهو وقليل من المغامرة اليومية إلى جانب شخص تحبه، أليس كذلك؟ لست خائفة من المستقبل بعد الآن، ولست أمانع في الهرم معك يا ساندي «فليس الوقت إلا النهر الذي أمضي إليه لأصيد السمك فيه».

---

(١) قصيدة حب لروبرت بيرنز، تشبه المتحدثة (الزوجة) رحلة الحياة بصعود التلال والهبوط منها، ولأنها قضت مع زوجها حياة سعيدة، فهما مستعدان للموت وقد اقترب دون أن يفترقا.

السبب الذي يدعوني لحب الأيتام إلى هذا الحد هو أنهم بحاجة لي، وهذا هو السبب -أحد الأسباب على الأقل- الذي جعلني أحبك فأنت رجل مثير للشفقة يا عزيزي، ولأنك لن تعتني بنفسك، فلا بد لك من أحد يعتني بك.

سنبني منزلًا على التل خلف الملجأ تمامًا، ما رأيك بدارة صفراء على الطراز الإيطالي، أو ربما زهرية؟ لن تكون خضراء بأي حال من الأحوال، ولن يكون لها سطح بعليّة وسيكون لدينا غرفة معيشة كبيرة مبهجة، فيها مصطلى ونوافذ وإطلالة، ولا مكرك. ياللسيدة العجوز المسكينة! ألن تكون غاضبة وتطهو لك عشاء مروعًا حين تسمع الأخبار! لكننا لن نخبرها لوقت طويل طويل، ولن نخبر أي أحد آخر، فهو أمر مخجل، نظرًا لفسخ خطبتي. كتبت لجودي الليلة الماضية وبكثير من ضبط النفس غير المسبوق لم أكتب سوى لمحة، فأنا أغدو استكلندية!

ربما لم أخبرك الحقيقة تمامًا يا ساندي حين قلت إنني لم أعلم كم أهتم بك. أظن الأمر تبين لي ليلة احترق جون غرير، حين كنت تحت ذلك السطح المشتعل، ولنصف ساعة تلت لم نعلم إن كنت على قيد الحياة أم لا، لا يمكنني إخبارك أي عذاب عشته. تبين لي إن حدث لك شيء، فإنني لن أتجاوز الأمر طوال حياتي، وأنني جعلت بطريقة ما أفضل صديق لي يموت بهوة بغيضة من سوء الفهم بيننا، حسن، لم أستطع انتظار اللحظة التي سيمسح لي فيها برؤيتك، وقول كل ما كنت أحفظه داخلي لخمسة أشهر. ثم، أنت تعلم أنك أعطيت أوامر صارمة لإبعادي، وهذا جرحني كثيرًا. كيف لي أن أظن أنك أردت

رؤيتي حقًا أكثر من الآخرين، وأن الأسلوب الاسكتلندي الرهيب هو ما كان يمنعك؟ إنك ممثل بارع يا ساندي، لكن يا عزيزي، لو حدث أن تشكلت أصغر غيمة من سوء الفهم ذلك في حياتنا ثانية، دعنا نتعهد ألا نبقيها داخلنا بل أن نتحدث.

ليلة البارحة، بعد أن غادروا جميعًا، باكرًا يسعدني قول ذلك، باعتبار أن الصغار لا يقيمون في الدار في الوقت الراهن، صعدت للأعلى وأنهيت رسالتي لجودي ثم نظرت للهاتف وقاومت إغراء ما، فقد أردت ان أطلب الرقم ٥٠٥ وأقول لك تصبح على خير، لكني لم أجرؤ فما زلت جبانة جدًا. لذا فعلت أفضل ثاني أمر بعد الحديث إليك، فأخرجت كتاب بيرنز وقرأته لساعة، ثم غططت في النوم وكل أغاني الحب الاسكتلندية تلك تدور في عقلي، وها أنا ذي أكتبها لك عند بزوغ النهار.

إلى اللقاء أيها الفتى روبن، أحبك جدًا.

سالي.

* * *

النهاية

من منا لا يحب جودي أبوت؟

لا أحد!

ربما كانت هذه إجابة متسلطة بعض الشيء، لكني أستطيع أن أجزم أن الجميع يحب جودي أبوت!

بدأ التعارف بيني وبين جودي منذ أن كنت في الصف الثاني الثانوي، ودامت علاقتنا منذ ذلك الوقت وحتى اليوم، وأظنها ستستمر طويلًا طويلًا. كانت بداية معرفتي بجودي من خلال مسلسل صاحب الظل الطويل، وقد شدني العنوان الشاعري للغاية! وتابعت المسلسل الذي أنتجته شركة نيبون أنيميشن اليابانية -كتب المسلسل نوبويوكي فوجيموتا وأخرجه كازويوشي يوكوتا- بشغف كبير (لمرات عديدة) دون أن أعرف وقتها أنه مأخوذ عن رواية، واكتشفت هذا الأمر بعد سنوات طويلة، وقرأت الرواية أيضًا (لمرات عديدة)، وشاهدت نسخة حكايات عالمية من الرواية -كانت بعنوان ذو الأرجل الطويلة وعرضت على جزأين- لكن ظلت جودي طوال هذه السنوات أقرب الشخصيات إلى نفسي، والمرجع الذي أعود إليه كلما اعتراني شيء من الحزن، وظل صاحب الظل حلمًا بعيد المنال يتحقق اليوم بترجمتي للكتاب!

كانت جودي في ذلك الوقت بالنسبة إليّ فتاة تواجه مصاعب

الحياة القاسية التي عاشتها بشجاعة، مثل غيرها من بطلات مسلسلات الرسوم المتحركة -سالي ولين في ليدي ليدي أو حتى سدريك في الفتى النبيل- ولكنها لم تكن مثل هؤلاء تدير خدها الآخر للصفعات المتتالية، وتقبل باستكانة ظلم الآخرين، الذي يمر وقت طويل للغاية -أطول من ظل السيد جون سميث- قبل أن تجني ثماره الحلوة. كانت جودي تحافظ على ابتسامتها وروحها ووعت باكرًا أن العالم لا يدين لها بشيء، وأن عليها أن تسعى جاهدة للحصول على ما تريد، وتظل محتفظة باستقامتها.

لكن جودي مع الجزء الثاني من الرواية، تنحت عن الأضواء قليلًا، وصار الميدان واسعًا، مخيفًا بعض الشيء، أمام سالي.

لا تختلف سالي عن جودي في روح المرح وحب المغامرة والعناد أيضًا، الذي عزته إلى أصولها الإيرلندية، وهذه سمة لم تكن واضحة تمامًا في الجزء الأول من الرواية -أو حتى في المسلسل- لكنها مثل جودي، سعت إلى تطوير الميتم بصبر عظيم على المبجل سايرس والطاهيات والآنسة سنيث التي لا تفضل ترك النوافذ مفتوحة، وكل التفاصيل الأخرى الصغيرة التي جعلت من الميتم مكانًا يقتل روح الطفولة.

ولا بد أن يلاحظ القارئ أن الكاتبة جين وبستر كانت ذكية جدًا في التمييز بين قائمة القراءة لجودي -التي تغري بأن تكون قائمة للجميع- وتلك التي اختارتها لسالي، وما بينهما من اختلاف واضح يظهر اهتمام الكاتبة بأدق التفاصيل. فسالي نشأت نشأة

طبيعية في منزل العائلة، لذلك تعرف القصص الخرافية وحكايا الأم الإوزة وجين إير وغيرها مما تقرأه فتيات ذلك العصر (ولا يشمل هذا فتيات ينشأن في ميتم)، لذا بدت خياراتها ممثلة أكثر لما تقرأه الشابات اللاتي تلقين تعليمًا عاليًا، فقرأت لهنري ديڤد ثورو وسلما لاغرلوف، إلى جانب الكتب المرعبة التي يزودها بها الطبيب مكراي! كان جهل سالي وجودي، كل واحدة من جانبها، يملؤهما دهشة حين تتعرفان أمرًا لم تتخيل أي منهما أن أحدًا في العالم يعيشه، إذ لم تعرف جودي حياة العائلة يومًا ولا متعة أن يكون لها أعمام وأخوال وأجداد، ولا عرفت سالي أن على الأرض مكانًا كئيبًا بائسًا يقضي على المرء ويجعله نسخة من آخرين مثل ميتم جون غرير.

لا أود الحديث أكثر، لأن القارئ -حين يصل هذه الصفحة- سيكون قد عرف عن هاتين الشابتين أكثر مما يمكن كتابته في هذه الأسطر، وستكون في ذهنه صورة لكل منهما تتعدد بتعدد القراء. ظل أن أنوه فقط أن بعض المصطلحات المستخدمة هنا، لم تستخدم بوصفها إهانة أو إساءة، بل لأنها المستخدمة في ذلك العصر. ورغم أن سالي حين تصف الطاهية أو عامل التدفئة بالزنجي فإنها تعني أنه ملون في سياق وصفه جسديًا، وقد استخدم الأسبان والبرتغاليون كلمة negro حين ذهبوا إلى أفريقيا الجنوبية بحثًا عن طريق بري يوصلهم إلى الهند، وهي كلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية niger التي تعني الأسود، أما كلمة أسود أو أفرو-أمريكي فهذان مصطلحان حديثان لا يتوافقان وأجواء الرواية. والأمر نفسه ينطبق على كلمة

المعاق. ورغم نوايا سالي الطيبة فإنها تعبر عن بعض الآراء التي تشبه آراء هتلر في هذا الإطار كثيرًا!

آمل أن تكون الرحلة مع هاتين الشابتين ممتعة للقارئ، كما كانت ممتعة لي.

إلى اللقاء!

ب. إ

"لقد منحك الرب يدين اثنتين وعقلًا وعالمًا كبيرًا تستخدمها فيه"

عدوّي اللدود هو العمل اللاحق لرائعة جين وبستر "صاحب الظل الطويل"، وقد نشرت لأول مرة عام ١٩١٥، وكانت من بين الكتب العشرة الأفضل مبيعًا في الولايات المتحدة لعام ١٩١٦.

ومثل جزئها الأوّل، تتألف هذه الرواية من سلسلة من الرسائل، لكنها تُكتب هذه المرة بقلم سالي مكبرايد، الصديقة الأقرب لجودي آبوت، التي، كما سيتضّح للقارئ منذ البداية، عهدت إليها بمهمة إدارة ميتم جون غرير، لكي تتولى الإشراف على إصلاحه، والتخلص من السياسات القديمة التي جعلت من الملجأ مكانًا قاتمًا وكئيبًا.

منذ حالة الهلع الأولى التي تنتابُ سالي مكبرايد لتوليها المهمة وحتى نهاية العمل، يتتبع القارئ، بإلهامٍ وشغف، القوة الأنثوية الناعمة وتأثيرها في إعادة صياغة الذات والعالم.

هذه رواية عن النمو، والتغيير، والمبادرة، وإنقاذ العالم بسلسلة خطواتٍ صغيرة تتحرك في الاتجاه الصحيح، وبقدر ما سنرى ميتم جون غرير ينمو إلى مكان مفعم بالضوء، سنرى مديرة الملجأ الصغيرة، سالي مكبرايد، تتحوّل من فتاةٍ مرفهة باهتماماتٍ سطحية، إلى امرأة ناضجة ومديرة تنفيذية قديرة. هذه رواية ملهمة، نحتاجُ كلنا أن نقرأها، لكي نتذكّر مكاننا الصحيح في العالم ونتصرّف على أساسه. ولكن أكثر من يحتاج قراءتها هم الشباب، لأنه سيكون رائعًا جدًا، أن نذهب إلى المستقبل بيدين بارعتين وعقلًا حسن الاستعمال، فهذا العالم الذي نوجدُ فيه يحتاج إلى كثيرٍ من الأيادي والعقول، على طريقة سالي مكبرايد.

الناشر



جين ويبستر

عدوّي اللدود







www.takweeen.com | Publishing@takweeen.com